مع الملك الموحد

في مسيرة التوحيد والبناء

تأليف:

الدكتور عثمان بن صالح العلي الصوينع



صدر بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية

مع الملك الموحّد

في مسيرة التوحيد والبناء

تأليف

الدكتور عثمان بن صالح العلي الصوينع

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

صدر بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

© عثمان الصالح الصوينع، ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصوينع، عثمان الصالح

مع الملك الموحد في مسيرة التوحيد. - الرياض.

٥٢٦ صفحة، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٣-٨-٠-٧٦٥-٠-٩٩٦٠

١- السعودية- تاريخ -الملك عبدالعزيز   أ - العنوان

ديوي ٩٥٣،١٠٥   ٢٠/٢٢٤٢

رقم الإيداع : ٢٠/٢٢٤٢

ردمك : ٣-٨-٠-٧٦٥-٠-٩٩٦٠

Twitter: @sarmed74   Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا علـى الظـالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ... أما بعد :

فإن إعادة كتابة التـاريخ بتنـاول جديـد ، وباللغـة المعاصرة ، والمفاهيم الحديثة ، يتيح الفرصـة لتطويـر أسلوب التـاريخ ، وتهذيـب ألفاظـه، وتقريـب معانيــه، وتسهيل عباراته، وتصحيح أخطائه ، وإضافة ما أهمله المؤرخون، وتنقيته من الشوائب، وتصفيته مـن الغـث، وإبعاده عن إثارة النعرات القبلية ، ونقله إلـى الإشـادة، ببطولات القادة ، وربط ماضيه التليد، بحاضره المجيد، وتجديـد الرؤيـة التـي كـان البعض يظـن أنهـا مجـرد نزاعات من أجل السلطة ، ثم يصل الأحـداث ببعضها ليتضح أن مسيرة الحـاضر الناميـة المتطـورة ، امتـداد مطور للدولة النـواة ، التـي تفرعـت إلـى دوحـة عاليـة الشأن، كثيرة الأغصان، يانعة الثمـار، وارفـة الظـلال.

ولا شـك أن الذكـرى المئويـة لتأسـيس الملكـة العربيـــة

السعودية التي نظمها المسؤولون ، قد أدت دوراً فعالاً -كما أرادوا- للثروة العلمية التي طرحت في هذه المناسبة عبر المقالات المتعددة ، والمؤتمرات الفكرية المتنوعة، والندوات الأدبية التي أقيمت، والأحاديث الصحفية التي نشرت ، فقد وفرت المادة العلمية التي تساعد على إعادة كتابة تاريخ التوحيد ، واستخلاص القواعد ، والمبادئ الأساسية التي انطلق منها جهاد الملك عبدالعزيز ، والاتجاهات الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسة التي سار عليها في بناء مؤسسات الدولة بعد التوحيد، وإبراز معالم القوة، ومعالجة مواطن الضعف، والفتور ، على أسس ثابتة تمليها الفطرة القيادية المبدعة، وقد كانت فرصة نادرة حيث جرى استدعاء الكثير من الكتاب، وما كتب عن الجزيرة العربية، وخاصة الكتاب الأجانب، والمستشرقين، فقد كانت الجزيرة العربية ولا تزال مثار اهتمام الكثير من الباحثين، والمهتمين بتاريخ الشعوب، لما تميزت به من آثار تراثية عريقة ، إذ كانت ملتقى الحضارات

القديمة، ونقطة اتصال بين تلك الحضـارات، بالإضافة إلى ما لها من خصوصيات دينية، لوجودالمسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، وانبثاق نورالإسلام من تلك البقاع، وقد نشطت تلك الحركة بعد قيام الملك عبدالعزيز بتأسيس المملكة العربية السعودية، وتسابق الدول على بسط نفوذها على الخليج العربي، الذي زاد الاهتمام به بعد اكتشاف منابع البترول في جوف الخليج.

ولقد التقت الرغبة الخاصة بالاتجاه العام ، وسار الاثنان جنباً إلى جنب نحو الاشتغال بتاريخ المملكة العربية السعودية والغوص في أعماقه البعيدة ، فكان اندماج هذين الاتجاهين أحد الأسس القوية التي دفعتني إلى القيام بهذا العمل الشاق الممتع ، كما أن ما أشار به علي أحد الأعزاء الذين أجلهم ، ولهم مكانة عالية في نفسي ، بأن أشارك مشاركة فعالة في هذه المناسبة العزيزة على كل مواطن يستظل في ظل هذه الدوحة المباركة ، كل هذه العوامل بعد توفيق الله قد منحتني

قدرة فائقة وعزيمة صادقة على المضي في ذلك ، وحينما تلتقى الرغبة الشخصية بالتوجهات العامة مع التشجيع الخارجي تتساقط المعوقات ، وتذوب الحواجز، ويتم العمل مهما كان فيه من مشقة ، وقد يدرك مجرب هذه المهنة ، وخاصة ماله صلة بالأحياء، ومساس بالسياسات القائمة أنه عمل شاق وليس مجرد استنساخ من مراجع سابقة، إذا عُلِم أن ما يكتبه المؤلف يكون مسؤولاً عنه مسؤولية مباشرة بصرف النظر عن المؤلفين السابقين الذين انتهت علاقتهم بالنص بعد التداول ، وقد لا يشفع للمؤلف من سبقه لأن إدراج آرائه ضمن آراء المؤلف يعد متابعة وموافقة ، وهذا وحده كاف لتحمل المسؤولية التي حدثت مع العمل الجديد. وقد تناول مجهودي هذا جهاد الملك عبدالعزيز، وتوحيد أقطار المملكة ، وأعماله الإصلاحية، وإنجازاته التنموية، وكان من المعالم التي ميزت أعمال الملك عبدالعزيز أنه جاء إلى نجد فاتحاً عام ١٣١٩هـ، ولم يكن وقتها يوجد في شبه الجزيرة

العربية دولة بمعناها الحقيقي المتمثل بوجود حدود جغرافية معترف بها دولياً وكيان اقتصادي مستقل، وخارطة سياسية ، وتمثيل دبلوماسي وأجهزة عسكرية منظمة، ونظم مدنية مدونة، تمارس أجهزة الدولة المختلفة أنشطتها في ضوء تلك النظم ، ولم يكن موجوداً آنذاك سوى زعامات إقليمية وعشائريةوأقليات قبلية مستبدة بعيدة كل البعد عن معنى الدولة الحقيقي.

فأسس الملك عبدالعزيز من تلك القطاعات دولة موحدة مستقلة ذات سيادة وقيادة وريادة ، لها حدود، وخارطة سياسية معترف بها دولياً، وتمثيل دبلوماسي، وأجهزة حكومية متعددة ، وقيادات عسكرية ، ودستور محكم ، ونظم مدنية ، ومن هذا المنطلق تميزت جهود الملك عبدالعزيز وإنجازاته التي سبقت زمانه، وأقرانه بعشرات السنين.

وقد يكون المجهود الذي أقدمه يغطي بعض جوانب ذلك الكفاح المتوج بالنجاح ، وقد جاء على أربعة أقسام : القسم الأول عن الجهاد المتواصل الذي دام أكثر من

ثلاثين سنة من ١٣١٩هـ الى عام ١٣٥١هـ ، وقد ابتعدْتُ عن كثير من الأمور الجانبية ذات الحساسية المفرطة ، التي قد لاتزيد المواقف وضوحاً، ولا تنقص من الأحداث شيئاً ذا أهمية.

أما القسم الثاني فقد خصصته لنوع آخر من الجهاد وهو قمع أهل الشغب والمعارضة ، ومروجي الفتن ، وهو ما يعد بمثابة تصحيح لأوضاع كانت سائدة ، وامتداد لسلوكيات كانت متبعة ، ولكن الملك عبدالعزيز لمّا كان رائده التوحيد ، والقضاء على تعدد الزعامات ، ترصد لتلك الظاهرة من البداية ، وأولاها جل اهتمامه، فكان كلما ظهر ناعق يريد خلق الفوضى السياسية ، والاجتماعية في أي مكان قمعه ، حتى قضى على ذلك الوباء الاجتماعي ، والسياسي بجرعات "مصلية" متتابعة من المرهفات الممزوجة بالحكمة والسياسة.

أما القسم الثالث فقد تناول أعمال الملك عبدالعزيز البارزة ، وإصلاحاته التنموية التي أثرت إيجاباً على سير الأحداث الحاضرة. وأما القسم الرابع فقد تناول المقومات الأساسية لبناء شخصية الملك عبدالعزيز التاريخية ، وقد

ابتعدت ما استطعت في مجهودي هذا عن جوانب كثيرة يدركها القارئ المطلع كان ذكرها لايخدم الوحدة الوطنية، ولا الأهداف الأساسية التي قامت عليها هذه الدولة العريقة الفتية منذ إنشائها.

وكان رائدي في هذا صلاح الراعي والرعية، وخدمة الطرفين لأن الراعي بمنزلة الرأس ، والرعية هي الجسد وكل من الاثنين متصلان لا يمكن أن يعيش أحدهما مستقلا عن الآخر ، ولذلك وجب الاهتمام بالاثنين معاً ، فهما يسيران في مسار واحد ، واللهَ أسأل أن يحفظ لنا ديننا وأمننا واستقرارنا ، ووحدتنا الوطنية وأن يصلح شأن المسلمين في كل بلاد العالم إنه جواد كريم ...

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

تحريراً في ٥/١٠/١٤١٩هـ

المؤلف

الدكتور / عثمان الصالح الصوينع

القسم الأول:

جهاد الملك عبدالعزيز ، وجهوده التوحيدية في مسيرته التاريخية الخالدة والمعارك التي خاضها أثناء ذلك التوحيد

أيام ما قبل الرحيل

الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي هو ولي العهد، والحاكم الشرعي للبلاد بعد وفاة والده فيصل بن تركي، ولكن أخاه سعوداً نافسه أشد المنافسة ، فكان لهذا أنصار وللآخر أنصار، فأغروا الطرفين بالحرب، فضاعت هيبتهم أمام رعيتهم، وأمام الأعداء المتربصين، أمثال محمد بن رشيد، وكان من الأمور التي أقدم عليها عبدالله ، ولم تكن موفقة لخدمة قضيته في خلافه مع أخيه سعود ، وأولاده من بعده.

أولها: مسألة تأييد (العليان) الأمراء السابقين "لبريدة" ضد ابن "مهنا" الحاكم القوي القائم ، وهذه المسألة أثارت أحقاد "المهنا" على الإمام ، مما دعاهم إلى التخلي عن التعاون معه ، والتحالف مع ابن رشيد الذي يترقب مثل هذه الفرصة.

الأمر الثاني: أنه استعان بالدولة العثمانية ضد أخيه ، ولا تخفى عداوة الدولة العثمانية لآل سعود ، فطمعوا فيه ، واستغل المسئولون فيها الفرصة لاحتلال جزء كبير من البلاد، حتى حصروه في وسط نجد.

والمسألة الثالثة: وهي التي أثارت عليه غضب العامة والخاصة، فقد أبعد أهل الرأي والمشورة والعلم، وقرب سواهم، وقبل مشورة من لايمحضه النصيحة لشيء في نفسه، أو لقصور في فهمه، وبعده عن الصواب، فاجتمعت عليه كل هذه العوامل السلبية: اختلاف أسرته على سلطته، وعداوة "المهنا"، وطمع ابن رشيد، وعدم تأييد شريحة كبيرة من الرعية لسياسة حكمه[1] ، وقد بدأ الخلاف المسلح بينه وبين محمد بن رشيد عندما ناصر "الإمام عبدالله أمراء بريدة السابقين "العليان" ضد آل المهنا الذين تحالفوا مع ابن رشيد ليستطيعوا مواجهة الجموع التي يقودها الإمام عبدالله المتجهة إليهم من الجنوب جهة عنيزة ، ولكن تلك الجموع تقهقرت حينما سمعوا أن ابن رشيد توجه لمددهم، ثم إن الإمام أراد إخضاع أهل المجمعة الذين دانوا لابن رشيد، ولما أقبل ابن رشيد لنجدتهم فك الإمام عبدالله الحصار وتركها، ولكنه أعاد الكرة بعد عامين ليعيدها

---

(1) نسب الريحاني هذا الكلام للملك عبدالعزيز ، في تاريخ نجد الحديث ، ص١٠١ .

إلى الطاعة، فاستنجدوا مرة ثانية بواليهم ابن رشيد، فأدرك حملة الإمام عبدالله، ودارت بينهم معركة "أم العصافير" التي انتصر فيها ابن رشيد انتصاراً ساحقاً، ولم يعد بعدها لعبدالله في سدير، والوشم سلطة، ولا ولاية، وبعد هذه المعركة ظهر ضعف جيشه، وتضعضعت قوته القتالية، مما أغرى أبناء أخيه سعود بالهجوم على الرياض والقبض عليه[1] ، وسجنه، فهب ابن رشيد لإحتلال الرياض بحجة نجدت الإمام ، ثم أخرجه من السجن في الرياض بعد إحتلالها، ونقله إلى الإعتقال والأسر في حائل مع أفراد أسرته ، وبعد ذلك قام بإسناد إمارة الرياض إلى عامله سالم بن سبهان الذي قام بدوره بقتل أبناء سعود بن فيصل، وبعد تنفيذ هذه العملية البشعة قام ابن رشيد بعزله من الإمارة تهدية للوضع ، وإظهاراً لعدم رضاه بما فعل ، وولى على الرياض"ابن رخيص"[2].

[1] على عمهم الإمام عبدالله ، سنة ١٣٠٣هـ.

[2] فقدقام سالم بن سبهان والي الرياض من قبل ابن رشيد بقتلهم صبراً وهم محمد وسعد وعبدالله قد يكون بإيعاز من ابن رشيد في قصة شنيعة.

لقد بقي عبدالله، وأخوه عبدالرحمن، وأفراد الأسرة رهن الإعتقال في حائل نحو أربع سنين لا يستطيعون الفكاك من قبضة ابن رشيد، وبعد عودة ابن رشيد من غزوة قام بها إلى "جهينة وبلي" جهات المدينة المنورة، وجد عبدالله مريضاً مرضاً شديداً، فألحوا على ابن رشيد بطلب العودة للرياض، فأذن لهم وأعطاهم مطالبهم، ولكنه قد بيت أمراً لن يتمكنوا معه من مزاولة نشاطهم[١]، وبعد وصولهم إلى الرياض بيومين توفي الإمام عبدالله رحمه الله[٢] ، وبقي واليه ابن "رخيص" على إمارة الرياض، ثم كتب عبدالرحمن الفيصل إلى ابن رشيد يطلب تنفيذ وعده الذي قطعه لهم، وعزل عامله "فهد بن رخيص" ليتولى عبدالرحمن مقاليد الأمور كما وعد، ولكن ابن رشيد عزل ابن رخيص وأعاد "سالم السبهان"، وهذا التغيير قد يفهم منه الإذن بإبادة البقية الباقية من الأسرة الحاكمة، فارتاب عبدالرحمن مما حصل ، وكشف شيئاً مما يبيت لهم[٣].

(١) تكشف لهم هذا الأمر بعد وصولهم إلى الرياض ، وتعامل عمال ابن رشيد معهم بخلاف ما تم الاتفاق عليه وما كانوا يتوقعون.

(٢) في نهاية عام ١٣٠٦هـ ، وذلك أول عام ١٣٠٧هـ وقيل إن وفاته في ٢٤ ربيع الثاني منها.

(٣) راجع تاريخ ملوك آل سعود ، للأمير سعود بن هذلول ، ص٣٩ -٤٩.

وكان الإمام عبدالرحمن في السابق مراقباً على الأمير "ابن رخيص" مع محمد الفيصل، ولكن بعد عودة "سالم بن سبهان" إلى الإمارة استبد بالأمر وحده، وأدرك عبدالرحمن المؤامرة المدبرة ضد الأسرة ككل، فقد تسربت إليه الأخبار أنه ينوي تنفيذ إبادة ما تبقى من آل سعود أثناء التهنئة بعيد الأضحى المبارك بناء على توجيهات ابن رشيد. ولكن الإمام عبدالرحمن جمع الأسرة وأخبرهم بما يبيت لهم، وجهزهم لمباغتته قبل البدء بتنفيذ خطته، فجاء "سالم السبهان" إلى القصر ومعه أربعين رجلاً من رجاله المسلحين،فاستقبله الإمام عبدالرحمن، وما إن جلس "ابن سبهان" حتى طلب بقية الأسرة من أجل السلام والاطمئنان على صحتهم كما يزعم ، فأومأ عبدالرحمن بتنفيذ ما طلب ، ولكنهم جاءوا بالسلاح، فقتلوا من قاوم[1] ، وقبضوا على "سالم السبهان" وجردوا رجاله من السلاح ، وسحبوهم إلى السجن، وقد همّ الإمام عبدالرحمن بقتل "سالم السبهان"

---

[1] قتل في هذه العملية شخص واحد يدعى خلف ، من أتباع سالم السبهان ، ابن هذلول ، ص٥٠ .

بأبناء سعود الذين قتلهم في الخرج صبراً ، ولكن خشي على آل سعود الذين عند ابن رشيد أن يقتلهم[(١)].

ولما سمع ابن رشيد بالخبر، وكان آل سعود الذين كانوا عنده قد توجهوا إلى الرياض قبل يوم ، فبعث في طلبهم ، فأدركهم رجال ابن رشيد، وعادوا بهم مقيدين، ثم جهز جيشاً ضخماً ، وتوجه به إلى الرياض ، ومعه آل سعود.

ولما سمع أهل القصيم بالخبر ، كتبوا إلى عبدالرحمن يؤيدون ما أقدم عليه، ويعاهدونه على السمع والطاعة ، فوقفوا في طريق ابن رشيد وعرقلوا مسيرته للرياض ، فأغراهم بالعطايا والمواعيد المشوبة بالتهديد ، فتركوه يواصل زحفه إلى الرياض ، فنزل على الرياض ، وحاصرها أربعين يوماً ، ونهب ضواحيها ، و"جمّر" النخيل ، وأفسد المزارع ، وضيق الحصار على أهلها ، وقطع التموينات الإمدادية، ثم

---

(١) ومنهم عبدالعزيز بن تركي وعبدالله بن جلوي وسعد بن جلوي وهذلول بن ناصر بن فيصل وعبدالعزيز بن سعود أخ المقتولين ، وكان في زيارة لعمه عبدالله في حائل أو أنه موفد من قبل أخيه محمد إلى أمير حائل ، راجع أمراء وغزاة ، ص١٥٧ - ٣١٦ .

اقترح أهل الرأي على الإمام عبدالرحمن إجراء مفاوضات مع ابن رشيد، وحل النزاع بينهما ، فشكل وفداً مؤلفاً من محمد بن فيصل، ورئيس القضاء عبدالله بن عبداللطيف ، والشيخ محمد بن فارس ، والشاب النجيب عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، وعمره آنذاك ما بين الحادية عشرة والرابعة عشرة، فتم الصلح بين الطرفين بأن تبقى إمارة الرياض ، وما يتبعها من بلدان العارض، والشعيب، والمحمل ، وسدير، والوشم ، والجنوب تحت سلطة الإمام عبدالرحمن، وأن ينقل ابن رشيد حاميته من الرياض، وأن لا يكون لابن رشيد سلطة على تلك البلدان ولا نفوذ، وأن يفرج ابن رشيد عن الأسرى من آل سعود الذين جرى اعتقالهم، وأن يخلي الإمام عبدالرحمن سبيل "سالم السبهان" ومن معه[1] .

---

[1] محمد بن فيصل والشاب عبدالعزيزبن عبدالرحمن يمثلان الأسرة الحاكمة ورئيس القضاء عبدا لله بن عبداللطيف يمثل أسرة آل الشيخ، والشيخ محمد بن فارس يمثل أهل العلم والدين وأعيان البلاد.

عاد ابن رشيد، ولم يكن ينوي الوفاء بما تم الاتفاق عليه ، ولكنه قبل الصلح حفاظاً على ماء وجهه حيث عاد خائباً ، وفي أثناء عودته اعترضه أهل القصيم مطالبين بالوفاء بما وعدهم -أثناء مروره بهم عند ذهابه إلى الرياض- ولما رفض الوفاء بالوعد صمموا على حربه، فوجد ابن الرشيد أن الأمر قد تأزم وأن أمير بريدة "حسن المهنا " وأمير عنيزة "زامل بن عبدالله" قد اتفقا على حربه، فاستنفر عرب شمر، ومن كان تحت سلطته ونفوذه، ثم التقى مع أهل القصيم في "القرعا" ، وكان هذا الموقع أنسب الأمكنة للحرب ، وقد اختاره أهل القصيم لوجود مخابئ ومتاريس طبيعية ، وكانت هزيمة ابن رشيد وشيكة ، ولكنه استطاع تغيير مجرى المعركة لصالحه ، وذلك أنه أظهر لأهل القصيم الهزيمة ، فولى بقواته هارباً، فصدق أهل القصيم وتبعوه، وتركوا مواقعهم الحصينة، فلما وصل "المليداء" المكان المناسب لكر الخيل وفرها، انكشف أهل القصيم لقوات ابن رشيد، ومدافعه فالتف

عليهم رجاله، وحصدوهم بالسلاح حصداً، حتى لم ينج منهم إلا من تخطته المنية ، وقتل زامل بن عبدالله أمير عنيزة وإخوانه وابنه ، وعدد من الأعيان وأسر "حسن المهنا" جريحاً [1] ، ولم ينج من رجال القصيم إلا قلة ، فصارت معركة حاسمة لم يهزم أهل القصيم قبلها مثلها في جميع حروبهم، وكان الإمام عبدالرحمن قد جهز جيشاً وتوجه به إلى القصيم لنجدتهم، ولكن الأمر قد نفذ قبل وصوله إليهم، فكر راجعاً بعد أن تفرق عنه رجاله من البادية، فلحق به "إبراهيم بن مهنا" أخو أمير"بريدة " "حسن بن مهنا" وشجعه على معاودة نشاطه لحرب ابن رشيد ، فعادوا إلى الرياض بمن انضم إليهم من العجمان ، فلما وصلوا إلى الرياض، منعهم محمد بن فيصل من الدخول إلى الرياض ، فاتجهوا إلى "حريملاء" ، ولما علم ابن رشيد بوصول الإمام عبدالرحمن جهة الرياض ، توجه إليهم

---

[1] ومات في الأسر بحائل، في تحفة المشتاق أن ممن قتل في هذه المعركة زامل بن عبدالله السليم، وابنه علي وخالد عبدالله اليحيى السليم وعبدالرحمن بن علي السليم وعبدالعزيز ومحمد أبناء محمد العبدالله القاضي، ص١٦٣-١٦٤، راجع تاريخ المملكة العربية السعودية، د.عبدالله العثيمين٢/٣١ومابعدها.

بحملة التقى معهم في "حريملاء" فانهزم الإمام عبدالرحمن، ومن معه من العجمان، فأدرك بعد هذا أن موقفه العسكري أمام جبروت ابن رشيد الذي انتصر انتصاراً لم يسبق مثله في معركة "المليداء" في القصيم، وأنه لا قبل له به فقرر مغادرة الرياض، فدخلها ليلاً وأخذ أفراد أسرته وما يمكن حمله مما يملك، وخرج بالأسرة الكريمة واتجه إلى الجنوب الشرقي بين (يبرين والأحساء) لبعد تلك المناطق عن متناول ابن رشيد، ثم اتجه منها إلىالكويت، ولكن محمد بن صباح رفض دخوله الكويت -سداً للذريعة- أو بالإيعاز من الدولة العثمانية ، فعاد إلى البادية وبقي فيها عدة أشهر مع العجمان، ثم اتجه إلى قطر وأقام فيها شهرين، وقد أدرك الإمام صعوبة العيش في الصحراء على النساء والأطفال، فأرسل إلى الشيخ عيسى بن خليفة حاكم البحرين يطلب منه إقامة أفرادأسرته في البحرين، فقبل الشيخ عيسى ورحب بذلك، فأرسلهم مع عبدالعزيز إلى البحرين، ثم اتفقت الدولة العثمانية على إقامته في

الكويت ، وعلى أن تدفع لـه مرتبـات شـهرية، وكأنهـا خشيت من معاودة نشـاطه، والاتفـاق مـع الباديـة لشـن الغارات على مواقع نفوذها في منطقة الأحساء، وهكـذا خرج الحاكم مجرداً مـن السـلطة ، ومـن كـل مـا يملـك فرفضته الأوطان، وعافتـه البلـدان، إلا بشـفاعة الدولـة العثمانية العدو التاريخي له ولأسرته[1].

---

[1] وقيل إن الشيخ عيسى بن خليفة وزع على الأسرة جنيهات ذهب ، وأعطى عبدالعزيز ضعـف مـا أعطى أمثاله ، فنظر إليها نظرة لم يرتح لها الشيخ عيسى ، فسأله هـل تريـد أن أزيـدك ؟ فقـال " لا " ولكن متى نعود إلى الرياض ؟ كما سأله الشيخ عيسى أيهما أفضل قطر أم البحرين ؟ فقال عبدالعزيز لا هذا ولا هذا الأفضل الرياض ، فقال الشيخ عيسى إن لهذا الشاب لشأنـاً ، وبعد عشر سنوات مـن هذا تحقق ما توقع بـه الشـيخ عيسـى " راجـع تذكـرة أولي النهـى والعرفـان ، الشـيخ إبراهيـم العبيـد ٢٧٩/١ ، تاريخ نجد ، عبدالله فلبي ٢٧١، تاريخ ملوك آل سعود الأمير سعود بـن هذلـول ٥٢/١ ، تاريخ المملكة ، الدكتور عبدالله العثيمين ، ص٣٢ - ٣٣ .

وقعة الصريف

بعد أن أدركت الدول الكبرى أن الكويت أحد المراكز الحساسة في الشرق الأوسط ، أخذت المخططات الاستعمارية المتلاحقة تسير باتجاهات مستقيمة ومتعرجة ، ثم تصب في قنوات كلها تلتقي في الكويت، هذه البقعة الصغيرة من الرمال التي تتصارع حول احتلالها القوى قديماً وحديثاً ، فالمخطط الألماني يتجه من الشرق إلى الغرب وينتهي في الكويت، والمخطط الروسي يتجه من الشمال إلى الجنوب وينتهي في الكويت، وأما بريطانيا فقط أقبلت من جزر الهند، وحطت رحلها في الكويت بحكم إشرافها على الطرق البحرية المؤدية إلى الهند، ولكنها لم ترسِّخ أقدامها بسبب المنافسة القوية بين الدول الأخرى، وكان حاكم الكويت محمد بن صباح يحكم باسم الدولة العثمانية-حلفاء الألمان- ، ولهذا فإن بريطانيا لم ولن تثق بولائه لها، فرغبت أو تمنت إبعاده عن سدة الحكم، بأي وسيلة فمكثت غير بعيد إذ تحقق لها ما تمنت ، حيث وثب مبارك الصباح وابنه على أخويه

محمد وجراح فقتلاهما وتولى السلطة، فتحول الولاء الكويتي من الدولة العثمانية الهزيلة المثقلة بالمتاعب، إلى بريطانيا القوية، فماكان من الدولة العثمانية إلا أن تؤيد حليفها الباقي في نجد، حاكم حائل "محمد بن رشيد" بعدائه لابن صباح، فأضاف ابن رشيد سيئة جديدة إلى سيئاته السابقة، ومنها احتلاله لبلدان نجد، وإخراج آل سعود منها، وموالاته للعثمانيين أعداء آل سعود، وأبناء الجزيرة بأجمعهم، وظلمه للرعية الذين سيطر عليهم بالقوة والقهر، وقد كانت نوايا ابن رشيد باحتلال الكويت سابقة لتلك الأحداث، وزاد من إذكاء تلك النوايا قدوم يوسف بن إبراهيم خال أبناء محمد بن صباح على أمير حائل "محمد بن رشيد" فبذَل جهوداً مكثفة وأموالا طائلة للثأر من قاتل "محمد وجراح" مبارك بن صباح، وقد كانت الظروف السياسية المحيطة بأمير حائل آنذاك لا تشجعه على القيام بأي نشاط عسكري ضد ابن صباح، وكان يخشى من بريطانيا الحريصة على إبعاد الكويت عن نفوذ أية

دولة أخرى، والتي تراقب باهتمام بالغ وحذر ما يدور على ساحل الخليج من أحداث ، كما لا يريد ابن رشيد استعداء زعماء وأعيان نجد المقيمين في الكويت وخاصة آل سعود، لذا فقد تأخرت المواجهة بين الطرفين بعض الوقت لهذا السبب ، ولكن بعد وفاة محمد بن رشيد عام ١٣١٥هـ وانتقال السلطة في حائل إلى "عبدالعزيز بن متعب بن رشيد" الذي يتصف بالظلم والعناد، تغيرت وجهات النظر السياسية لدى حكام حائل تجاه الكويت، وعلم ابن صباح بما يدور في رأس أمير حائل الجديد، مما دعاه إلى عقد معاهدة حماية مع بريطانيا، ثم تجدد الخلاف بين الطرفين والمجابهات التاريخية، وأخذ يعد العدة لمواجهة نوايا ابن رشيد، وأطماعه، وسعيه في تصعيد الصراع إلى مواجهات عسكرية.

ولكنه أراد أن يختبر موهبته[1] فسلَّح أهل نجد ليقوموا بالإغارة على بوادي ابن رشيد بقيادة الإمام

---

(١) المكر والخداع.

عبدالرحمن بن فيصل، ثم كتب له يخبره بأنه قد أخرجهم من بلاده رغبة في تحسين العلاقات معه، ومراعاة للظروف الراهنة، وتوثيقاً لعرى الصداقة والأخوة بين البلدين، ولكن تأخر وصول الخطاب، وانكشف الأمر لابن رشيد، وعلم أنه يمكر به ويخادعه، فانهار ما بقي بينهما من مجاملات، وقد بدأت المناوشات العسكرية منذ جهز ابن صباح جيشاً بقياد حمود الصباح، وأغار على بعض عشائر شمر، فأخذ شوكتهم، وعاد إلى الكويت ، فعبأ ابن رشيد جنوده وقادها بنفسه ، فلم ينل من عرب ابن صباح شيئاً حيث هربوا إلىالكويت[1]. وازداد الموقف سوءاً بعد ما تنامت الأخبار إلى ابن رشيد أن ابن صباح يحشد الحشود في الجهراء لمقابلته، فجمع هو الآخر رجاله وتوجه إلى شرق الجزيرة ، فأغارت جموع ابن

---

(1) وكان مبارك يستعد لمنازلة ابن رشيد فجهز جيشاً ضخما من جميع عرب تلك الجهات وقبائل المنتفق ، راجع تاريخ المملكة العربية السعودية ، د/ عبدالله العثيمين - ٢/٣٠ .

رشيد على قبيلة المنتفق الموالية لابن صباح ، فغنم منها مغانم كثيرة ، ثم عاد إلى نجد.

وظن مبارك بن صباح أن عودة ابن رشيد إلىنجد نتيجة خوفه من حشوده، فعاد من جديد يجمع جموعه التي أذن لها بالتفرق ، فاجتمع لديه مع رجاله من العجمان، والمنتفق، ومطير، وآل مرة، والعوازم ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل، ومن أهل الكويت نحو ألف ومائتين، وآل مهنا أمراء بريدة ومن شايعهم، وآل سليم أمراء عنيزة، ومعظم الجالية النجدية في الكويت، وكانت الخطةأن يسير ابن مهنا برجاله لاحتلال بريدة، وآل سليم ومن معهم لاحتلال عنيزة، وسرية مكونة من ألف مقاتل لاحتلال الرياض ، وابن صباح لمنازلة ابن رشيد، فتكون الهزيمة كاسحة ومنهية لتطاول ابن رشيد وعدوانه، فاتجه ابن صباح بقواته وجموعه إلى نجد، وكان من بين تلك الجموع الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، والشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكان الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن على علاقة قوية

بالأمير مبارك قبل توليه الإمارة إلى حد الصداقة، وبعدها ازدادت قوة ومتانة، وقد عاصر عبدالعزيز الأحداث التي عاشها مبارك منذ توليه الإمارة، فأراد عبدالعزيز أن يستفيد من صداقته تلك ، فطلب أن يكون على رأس السرية المتوجهة إلىالرياض، فأجيب طلبه وجعله على تلك السرية ، وتوجه بها من شعيب الشوكي إلى الرياض[1].

أما ابن صباح فقد واصل الزحف بجيشه على أثر ابن رشيد، وكان ابن رشيد يتراجع إلى جهة القصيم كلما قرب منه الخصم، كارها لقاء هذا الجيش الضخم برجاله القلة، ولكن ابن صباح أقسم أن يطارد ابن رشيد ولو اعتصم بجبلي"أجا وسلمى" فعلم ابن رشيد أنه لا مهرب من المنازلة، فثبت له في المكان المسمى، بـ "الصريف" شمال غرب الزلفي قريباً من بريدة[2] فالتقى الجيشان

---

[1] ذكر الخطة الأمير سعود بن هذلول في تاريخه ، ص٥٥ .

[2] فدخلت سرية ابن مهنا بريدة دون صعوبة وكذلك سرية ابن زامل دخلوا ، ثم وقف في الصريف المكان المناسب وكان جيش ابن صباح يفوق جيش ابن رشيد بالعدد والعدة ولكن خطة ابن صباح كانت فاشلة.

والتحم بينهما القتال العنيف، فدارت المعركة نهاراً كاملاً، وكانت ضراوتها من الضحى إلىمابعد العصر، وانجلت بهزيمة ابن صباح وجنوده هزيمة شنيعة، فولوا الأدبار هاربين ، وقتل منهم مقتلة عظيمة لم ينج منهم إلا من هرب من ساحة القتال، واستولى ابن رشيد على ما معهم من عتاد وسلاح ومؤن وركائب متنوعة وسَلِم ابن صباح ، والإمام عبدالرحمن، وسعدون المنصور شيخ المنتفق، وعادوا إلى الكويت مذعورين، وكانت عودة الإمام عبدالرحمن إلى الكويت عن طريق الرياض، وعندما اقترب منها أرسل لابنه عبدالعزيز يخبره بالهزيمة فخرج عبدالعزيز من الرياض مسرعاً وعاد إلى الكويت، وكان عبدالعزيز قد دخل الرياض دون شديد مقاومة فتحصن عامل ابن رشيد "عبدالرحمن بن ضبعان" في قصر المصمك وكاد أن يسلم لولا الهزيمة التي حلت بابن صباح في معركة الصريف التي أجبرت عبدالعزيز علىالتراجع وفك الحصار، وترك حامية ابن رشيد وشأنها.

وقد أدرك عبدالعزيز بعد هذه المعركة أن الكثرة في العدد والعدة لا تدل على النصر، وكسب المعركة، وأن الاعتماد على الكثرة قد تؤدي إلى هزيمة ، وأن الخطة الناجحة هي أساس الفوز، وأن دخول المعركة بخطة فاشلة مصيرها إلى الفشل، كما استفاد عبدالعزيز أن توزيع الجيش في أكثر من جبهة قد لا يكون أفضل من الاجتماع والاتحاد، وأن الخبرة القتالية تفوق الكثرة مع فقد الخبرة ، كما أن استدراج الخصم له محاذير يجب أن يراعيها القائد إذا كان لابد له من مطاردة خصمه، وأن المدافع أكثر قدرة وشجاعة من المهاجم، وأن تغيير الخطة الحربية أثناء المعركة عند قرب الهزيمة قد ينقذ القائد من النهاية السيئة، فقد استفاد منها ابن رشيد حيث غير خطته أثناء المعركة عندما أوشك على الهزيمة فأمر بأن تجعل الإبل الضخمة دروعا واقية تحمي الجنود المقاتلين من رصاص العدو وسهامه وكانت أكبر عون لهم.

لقد مهدت معركة الصريف لفتح الرياض فقدعرف عبدالعزيزمداخل الرياض، ومواطن الضعف، وقوة الحامية التي في القصر ودفاعاتها وقدراتها القتالية، والتفاف أهل نجد حوله، فقد كسب عدداً غير قليل من أهل الرياض الذين تعرف عليهم أثناء حصاره لحامية ابن رشيد، وكان قد غاب عن الرياض وهو شاب يافع ما يزيد على عشر سنوات وعاد إليها وهو شاب مكتمل الفتوة والقوة فتجددت معرفته بالأهالي، والتف حوله عدد غير قليل من الناس، فكانت هذه من الأمور التي شجعته على العودة إلى الرياض مرة ثانية، أما هزيمة ابن صباح فقد حطمت طموحه، وآماله الرامية إلى السيادة في نجد والخليج، وسقطت هيبته عند رجاله، كما سقط من عين بريطانيا التي كانت تبحث عن الرجل الذي يسد الفراغ الشاغر في منطقة الخليج، وفي نجد وإن كانت ترغب أن تبقى الجزيرة العربية رهن أوضاعها الممزقة الصعبة، ولكن عنصر الأمن مطلوب، فصرفت النظرعنه بعد الهزيمة

الساحقة، وحقد على ابن رشيد الذي سبب له هذا الموقف السيئ ، واهتم بتجهيز عبدالعزيز ، وأيده بالقول والفعل ، وحرص على حرب ابن رشيد وهزيمته ولو بيد غيره[1]. وبالجملة فإن موقعة الصريف فريدة في نتائجها وعواملها ، وكان الظافر فيها مغلوباً وكانت الخطوة الأولى لسقوط حكم عبدالعزيز بن رشيد وطي ملف المأساة التي اسمها السلطة الرشيدية، ونهاية أحلام ابن صباح وانهيار آماله في بناء دولة كبرى في جزيرة العرب ، وكانت المفتاح السري لفتح الرياض[2].

---

[1] وهذه من عيوب الخطة التي نازل بها ابن رشيد لأن هذه البلدان مقدور عليها بعد هزيمة ابن رشيد حيث أنهم لن يقاوموا زعماءهم إذا هزم الحاكم المستبد.

[2] راجع تاريخ نجد الحديث ، ١١٨ - ١١٩ أمين الريحاني ، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ٢٠٠ إبراهيم بن صالح بن عيسى ويذكر ابن عيسى أن الأمير في الرياض من قبل ابن رشيد هو عجلان بن محمد ، وتذكر بعض التواريخ أنه عبدالرحمن بن ضبعان وهو الصريح ، وتاريخ ملوك آل سعود للأمير سعود بن هذلول ، ص٥٤ - ٥٦ ، وتاريخ المملكة العربية السعودية ، د. عبدالله العثيمين ، ص ٣٥-٤١ ، وتاريخ نجد، عبدالله فلبي ، ٢٧٦-٢٧٧ ، الزركلي الوجيز ص ٧٥/١.بعد وقعة الصريف نقل ابن رشيد عامله في الرياض عبدالرحمن بن ضبعان إلى بريدة ، وعين عجلان بن محمد أميراً في الرياض وأمر سالم السبهان بالتوجه إلى الرياض وتعقب أهل الرياض ومجازاتهم ، وسلب أموالهم ، ٥٧ ابن هذلول.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم [1]

أسطورة التاريخ أو معجزة الفتح

---

(1) المتنبي موعد مع الشجاعة ٩ .

كانت المغامرة جريئة، والمجازفة خطيرة، عدد قليل من الرجال عزل من سلاح الحرب، قد أنهك الطريق قوتهم، واستهلك السهر طاقتهم، زج عبدالعزيز بنفسه وبرفاقه في معركة غير متكافئة، في مهلكة حتمية، لقد هجم الفتى بمغامرته على حامية بأكملها مستعدة لصد أي عدوان يفاجئوها، أقدم بقلته وجرأته على الهجوم المحكوم بفشله[1]، فنجح، وفاجأ صاحب البيت فنجح، ثم فاجأ زوجة عجلان في منزله فنجح، ثلاث مغامرات ناجحة في زمن قصير، وفي ظرف ساعة أو أقل، أما المغامرة الرابعة فإنها أعظم من سابقاتها، لقد ترصد عبدالعزيز لعجلان – عامل ابن رشيد على الرياض[2] بعدما علم بموعد خروجه، خرج عجلان كعادته من بوابة القصر (المصمك)، يتفقد الخيل مع طلوع الشمس، ومعه نحو عشرة من رجاله، فكان عبدالعزيزله بالمرصاد، وقبل أن يطلق عبدالعزيز

---

(١) حسب المقاييس المعتبرة .

(٢) عجلان بن محمد عينه ابن رشيد أميراً على الرياض بعد وقعة الصريف حيث نقل أميرها السابق عبدالرحمن بن ضبعان أميراً في "بريدة" ص٥٧ ابن هذلول.

الرصاصة الوحيدة التي في بندقيته، رآه عجلان فعرفه بقامته الفارعة (طويل النجاد) فهزّ السيف باتجاه عبدالعزيز، ولكن كيف يصل إليه السيف؟ هل يريد أن يضربه بالسيف عن بعد؟ طبعاً لا، هل يريد أن يخوفه؟ يجوز، ولكن هل عبدالعزيز يخاف من رفيقه "المباري" السيف؟ لكنها هزة لا شعورية من عجلان ، أطلق عبدالعزيز الرصاصة الوحيدة فأصابته في غير مقتل، ولكنها أسقطت السيف من يده، خطوة جبارة هرب منها عجلان متجهاً إلى خوخة البوابة، وعبدالعزيز يجري خلفه، دخل أعلى جسمه من الخوخة، والأسفل في قبضة عبدالعزيز، ثم أرسل فهد بن جلوي عليه حربة أخطأته واستقرت في الباب. ركل عجلان عبدالعزيز برجله في خاصرته، فآلمته أشد الألم، فانفلت منه وهو مصاب يثعب جرحه دماً ، ثم تبعه عبدالله بن جلوي يخوض في دمه، فأطلق عليه رصاصة أردته قتيلاً ، فارتج القصر، وضج الجنود، والحراس، فهجموا على عبدالعزيز ورفاقه هجمة رجل

واحد، فاشتبكوا معهم في قتال عنيف، وقد أذهلت جنود الحامية السرعة الخاطفة، ولاذوا بالهرب، ومن لم يهرب تعرض للقتل، إلا من تحصن، ثم استسلم بالأمان، صعد منادي عبدالعزيز إلى أعلى مقصورة في القصر، مع إطلالة ذلك اليوم فنادى "الملك لله ثم لعبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود، فمن أراد العافية فليلزم بيته، أو يقبل للمبايعة"، تباشر الناس بقدوم عبدالعزيز، وتقاطرت الوفود على القصر للمبايعة، وتقديم الولاء، والطاعة للشاب المقدام، مغامرة جريئة حققت أعجوبة تشبه الأسطورة، أو هي أسطورة تمثل الأعجوبة، لقد استطاع عبدالعزيز بالسرعة الخاطفة المذهلة إرباك الخصم، والسيطرة على الموقف الآني، ولكن صوت الحكمة قال له "أيها الشاب الطموح بعد احتلال القصر، ماذا تفكر به وبماذا تحارب الجيوش التي هزمت الجموع الغفيرة في "المليداء" بالقصيم؟ وبماذا تحارب القوات المحتشدة التي هزمت جموع مبارك الصباح حاكم الكويت في "الصريف" ؟ إذاً

المسألة لن تتوقف على السيطرة على قصر "المصمك" بالرياض ، وفيه حامية محدودة العدد ، لقد تركه والدك منذ عشر سنوات طائعاً مختاراً لعجزه عن الدفاع عن ما تبقى من سلطته ، المسألة أكبر من ذلك بكثير لكنك لم تحسب حساب مابعد هذا الانتصار المذهل الخاطف فأجاب عبدالعزيز: " كل هذا قد أخذ بالاعتبار، أحاربهم بالعقيدة الإيمانية الصادقة ، والعزيمة القوية الفاعلة، ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم * وما النصر إلا من عند الله﴾، لم ينتصر المسلمون أبداً بالعدد، والعتاد، والقوة الذاتية، ولكنهم انتصروا بالإيمان ، والتأييد الإلهي، والمدد الرباني، كان ابن رشيد قد أصيب بهستريا الغرور، والعظمة بعد انتصاره على أهل القصيم في معركة "المليداء" التي سقط بعدها الحكم السعودي في يده، وعاث في البلاد فساداً، قتلاً، ونهباً، وسلباً، ثم انتصاره الساحق بعد "المليداء" بما يقارب عشرة أعوام على جيوش أمير الكويت مبارك بن صباح في معركة "الصريف" ، فكانت هاتان الواقعتان مؤلمتين أشد الألم

لسكان نجد، ونصر مؤزر لابن رشيد الذي أخذت به نشوة النصر كل مأخذ، حتى أصيب بهستريا الغرور، وسكر العظمة ، كان عبدالعزيز بن رشيد عندما اقتحم عبدالعزيز بن سعود قصر الرياض في أسطورته الجريئة قد عسكر في "حفرالباطن" يدبر الأمر ويستعد للهجوم على "ابن صباح" للاستيلاء على الكويت، ولما علم ابن رشيد بسقوط الرياض وقتل عامله عجلان لم يشغله هذاالحادث كثيراً، وأظهر عدم اكتراثه به ، لأنه يفكر في أمرأعظم منه في نظره وأخطر، وهو القضية الكبرى التي تشغل باله ، وتشل تفكيره ، فاحتلال دولة بأكملها أهم من عبث "الوغدان" كمايسميه ، فإن هذا العبث مقدور عليه في أي لحظة، يرسل إلى عبدالعزيز أحد مواليه فيقبض عليه ، لقد استغل الملك عبدالعزيز هذا التهاون أعظم استغلال ، فبدأ يعيد تحصين أسوار مدينة الرياض المهدمة ، ويجمع قواته من المؤيدين والموالين، والأنصار، وقام بتنظيم صفوف رجاله، واستفاد من انشغال ابن رشيد في الإعداد للمعركة

الكبرى التي يفكر فيها ، وعلى الرغم من صغر سن عبدالعزيز، فإنه ناضج التفكير، سديد الرأي ، فترك الجهات الشمالية التي يعتقد أنها تثير حساسية ابن رشيد أكثر، وتمهد الطريق إلى عاصمة إمارته حائل ، ووجه اهتمامه إلى جنوب الرياض، لعلمه أن ابن رشيد لا يهمه جنوب الرياض ، كما يهمه شمالها، مستغلاً كراهية أهل تلك المناطق لابن رشيد وحكمه، وعدم خضوعهم له خضوعاً تاماً، فاستولى على الخرج -المعقل القديم لآل سعود-[1] ، ثم مدّ نفوذه على الحريق، والحوطة، والأفلاج، حتى بلغ وادي الدواسر الواقع على حدود الربع الخالي، ولم يكن ابن رشيد غافلاً عما قام به هذا الشاب، ولكنه مشغول بمايعده من الأهمية بمكان، وما يمثل المقام الأول في نظره ، وهو احتلال الكويت، ليحصل على الموقع الاستراتيجي على الخليج، ثم إنه يقضي على ابن صباح العدو اللدود،

[1] يقول الزركلي إن الخرج معقل من معاقل آل سعود فيما تقدم من الزمان ، الوجيز ، ص٣٠ وربما قصد أنه منتجع الرياض وأن لهم فيه أملاك خاصة ، وأنه الملاذ الآمن عند عدم استقرار الأحوال لوعورة مسالكه ، وكثرة أشجاره وقربه من حدود الربع الخالي.

الذي آوى آل سعود، ثم قام بتمويلهم، كما أنه موالٍ للإنجليز الذين يحاربون أصدقاءه الأترك.

كان عبدالعزيز قد قام بضم هذه البلدان في مدة قصيرة لاتزيد على ستة شهور، ثم أخذ يتجه إلى الغرب، فغزا بادية قحطان الموالية لابن رشيد، وأرسل أخاه محمداً لغزو فريق من العتبان قرب "الشعراء" ، ولما تتابعت أخبار الشاب على "ابن رشيد" الذي استهان به في أول الأمر، بدأ يوقظه عامل الخوف، وكان قد خيم "بالحفر" ، فأخذ يفكر بالقضاء عليه، أو على أقل تقدير وضع حد للاستهانة به، وكان قد مل رجال ابن رشيد من طول المكث في الغزو، والبعد عن أهلهم في حائل، فأدرك "ابن رشيد" ذلك السأم في تصرفاتهم ، فعاد بهم إلى حائل لاستعادة نشاطهم وقوتهم ، والتزود بما يلزم ، ثم توجه بجنوده من شمر، والقصيم، والوشم، وسدير إلى ابن سعود في الرياض ، وذلك في ربيع الأول ١٣٢٠هـ ، ولما علم عبدالعزيز بتحرك ابن رشيد وزحفه نحوه، كتب إلى

أبيه في "الكويت" يحثه على سرعة القدوم بما معه من رجال ، فجاء الوالد بالمدد على وجه السرعة، واستقبله ابنه عبدالعزيز على مسيرة ثلاثة أيام من الرياض، فدخلها لأول مرة بعد غيابه عنها إحدى عشرة سنة، فلقي عبدالرحمن من ولده البار كل حفاوة، وترحيب، وإجلال، فأبدى عبدالعزيز لوالده أن الإمارة لأبيه، وما هو إلا مجرد جندي في خدمة والده، فرفض والده ذلك، وتنازل عن حقوقه في الإمارة لكبير أبنائه "عبدالعزيز" بعد مشورة العلماء، وتدخلهم في إلزام "عبدالعزيز" بقبولها، فاشترط "عبدالعزيز" لقبولها أن يكون لوالده الإشراف الدائم على أعماله، وأن يكون والده إماما يستشيره في كل شأن من شؤون الدولة، وأن يراقب أعماله عن كثب فيتدخل وقت الضرورة، فوافق علىذلك، فتمت البيعة لعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٠م، وأهداه

والده سيف سعود الكبير[1] ، وهو سيف يتوارثه آل سعود كابراً عن كابر.

نزل ابن رشيد بقواته في (رغبة) ما يقرب من شهرين، ثم تحرك إلى (الحسي) ، ومنه إلى (الحفر)، وكان يقصد من هذه التحركات أن يخدع خصمه ، ويستدرجه إلى المكان الذي يختاره للمعركة ، ولكن عبدالعزيز قد احتاط لهذا التكتيك بكيد آخر، يضاده فاستغل الملك عبدالعزيز التردد المفتعل ، والتحركات المريبة ، فأغار وسيطر على بعض البلدان والجهات الواقعة في الشمال، ثم أشاع الملك عبدالعزيز أن خلافا نشب بين الابن وأبيه ، وأكده بخروجه من الرياض واتجاهه إلى جهات الخرج ، ومنه رحل إلى الحوطة، فتحرك ابن رشيد وأقبل يلف حول الرياض، فاتضح له أنها محصنة، وأنه لا طاقة له بها، فتبع الملك "عبدالعزيز" متجها إلى الدلم، وخيم في "نعجان" بقواته

---

[1] سيف تاريخي مشهور نصله دمشقي وقبضته محلاة بالذهب وجرابه مرصع بالفضة، وهو سيف بن عبدالوهاب، المانع ص ٥٣ ، (أهل الشعيب والمحمل والوشم وسدير كلها بلاد موالية لآل سعود ومقدور على ضمهم في أي وقت).

البالغة نحواً من أربعة آلاف مقاتل، ورجال الملك عبدالعزيز لايزيد عددهم على ألف وخمسمائة مقاتل، وكان من دهاء الملك عبدالعزيز وذكائه أنه استدرج ابن رشيد إلى البلاد التي يكرهه أهلها ، حتى يضمن عدم مساعدتهم له ، إضافة إلى شعوره بالخوف منهم، كما أن الأماكن في الجنوب مجهولة بعض الشيء عند رجال ابن رشيد ، وهذا من تكتيك عبدالعزيز الناجح، مقابل تكتيك ابن رشيد ، فالملك عبدالعزيز لم ينس استدراج ابن رشيد ، لابن صباح في وقعة "الصريف" الذي كان السبب في هزيمة ابن صباح ، فتقدم الملك عبدالعزيز قاصداً ابن رشيد في "الدلم" فدخل الملك عبدالعزيز برجاله ليلاً واستضاف شيخها، وكان من"طوارف" آل سعود[1].

فاختلط رجال الملك عبدالعزيز برجال ابن رشيد وهم يتجولون في شوارع "الدلم"، ونخيلها لايعرف

[1] كان أميرها محمد السديري أحد أخوال الملك عبدالعزيز ، راجع المصحف والسيف لمحيي الدين القابسي ص١٤٨ .

بعضهم بعضاً، وفي اليوم الثاني فوجئ ابن رشيد بهجوم الملك عبدالعزيز في البساتين بين النخيل، واستمر القتال إلى الليل ، فتحرك ابن رشيد بقواته إلى "السليمة" ، وتبعه الملك عبدالعزيز بقواته التي زاد عددها إلى ألفي مقاتل، ومعهم أربعين فارساً، وذلك في ربيع الأول ١٣٢٠هـ ، فانهزم ابن رشيد ، ورجع بجيشه متجهاً إلى الشمال ، واستقر في (حفرالباطن)، فرجع ابن سعود للرياض، وكان ابن رشيد يهتم بمنطقة القصيم اهتماماً بالغاً، ويعدها صمام الأمان لجبل شمر، والدرع الواقي له ، ومصدر قوّته ، وأنه إن فقدها فقد انهد أحد أركان إمارته ، ولكنه مازال واثقاً بأن الملك عبدالعزيز الشاب الذي لم يقو عوده للقتال، ولم يتمرس بالحرب ، لن يتجرأ فيتحرك إلى القصيم ، فأرسل ابن رشيد سرية قوية في أوائل ذي الحجة ١٣٢١هـ بقيادة حسين ابن "جراد" إلى السر جنوب القصيم ، حماية ودرعاً لهذه المنطقة من هذا الفتى المغامر -في نظره- فاتجه الملك عبدالعزيز إلى هذه السرية ، وحصل بينهم

اشتباك في مكان يسمى " الفيضة" فقتل قائد السرية ابن "جراد" ، وأكثر من معه ، ثم عاد الملك عبدالعزيز إلى الرياض يستعد لمهاجمة القصيم قبل عودة ابن رشيد، ثم خرج الملك عبدالعزيز بقواته قاصداً سرية ماجد الحمود الرشيد بالقصيم ، وانضم إليه المهنا والسليم ومن معهم الذين قدموا من (الغربية)، فأشاع إشاعة قوية أنه متجهاً إلى الكويت ، وتابع سيره ليلاً إلى وجهته، حتى دخل في الليل (قصر الحميدية) قرب بلدة عنيزة ، وكان في البلدة سرية رشيدية مرابطة في "عنيزة" بقيادة "فهيد السبهان" فهاجمها رجال الملك عبدالعزيز فقتل قائد السرية ، ثم سلمت عنيزة بعد هزيمة حامية ابن رشيد المرابطة داخل عنيزة وسرية ماجد الحمود الرشيد التي تدافع عنها خارج البلدة ، فدخلها الملك عبدالعزيز في الخامس من محرم ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤/٣/١٣م ، وأقام فيها وحاميته أياماً تقرب من الشهرين ، ثم هاجم "بريدة" فخرج أهلها مستسلمين وتحصن "عامل بن رشيد" قائد الحامية

"عبدالرحمن بن ضبعان" في قصر إمارة "بريدة" المنيع، وقاوموا أشد المقاومة فضيق عليهم أتباع الملك عبدالعزيز الخناق ، واستمر الحصار ما يقرب من ثلاثة أشهر ، حتى نفد ما لديهم من طعام وشراب وذخيرة ، وبدأت أشباح الموت تغزل أمامهم خيوط الأكفان، فمالوا إلى المفاوضات المشروطة ، فقام أتباع الملك عبدالعزيز بحفر نفق تحت سور القصر، ثم حشوه بالمواد المتفجرة، وأشعلوا فيها النار، فهد الانفجار الشديد جانباً من سور القصر، فاضطروا إلى التسليم، وذلك في منتصف ربيع الأول ١٣٢٢هـ، ولما علم ابن رشيد باستعادة الملك عبدالعزيز للقصيم المتمثل بالمدينتين "بريدة" وعنيزة " انزعج وعرف أن الأمر خطير، وأنه قد تحول من "لعب الوغدان" إلى فتح البلدان، فحشد القوات التي طلبها من الأتراك تنفيذاً لمبدأ الصداقة ومواثيق الحماية، حيث أمدوه بأحد عشر طابوراً من جنسيات مختلفة، بسلاحهم وعتادهم ومؤنهم، بالإضافة إلى قبائل شمر وبعض الفصائل الطامعة في

الكسبَ والسرقة ، ثم تحرك بهم جهة القصيم قادماً من بادية العراق ، فنزل بلدة "قصيباء" ، ثم انضمت إليه سرية ابن ضبعان المطرودة من "بريدة" وسرية ماجد الحمود المهزومة في "عنيزة"[1] ، فلما علم الملك عبدالعزيز بهذا الزحف وهو في "بريدة" شمر عن ساعده للقائه ، فالتقى الجيشان في (البكيرية) فكانت فرقة الملك عبدالعزيز المكونة من أهل العارض ومن معهم لشمر ، وأهل القصيم ومن انضم إليهم للجيش التركي، وكان قد نشب القتال بين الطرفين في أول ليلة من ربيع الثاني(١٣٢٢هـ/١٩٠٤م)، واستمرت المعركة في ظلام الليل، فقتل من جيش ابن سعودمقتلة عظيمة، وأصيب الملك عبدالعزيز بشظايا قنبلة في يده اليسرى وركبته ، ثم أقبل إليه أهل القصيم ، وقد تأخر وصولهم للمعركة إلى ما بعد هزيمة رجال ابن سعود ولم يعلموا بالهزيمة فوجدوا رجال ابن رشيد يجمعون الغنائم

---

[1] ماجد الحمود الرشيد قتل في معركة البكيرية وأخوه عبيد قتل أثناء فتح عنيزة وعبدالرحمن بن ضبعان مات في قصيباء بعد قليل من وصوله إليها ، حيث أصابته حمى قصيبياً المهلكة ، ٥٨/٢ د. عبدا لله العثيمين.

والأسلاب غير مستعدين للقتال فضربوهم ضربة كادت تعيد الهزيمة عليهم ، فقتلوا عدداً كثيراً من الأتراك، وغنموا غنائم كثيرة ، واستعادوا ما أخذه الأتراك من مخيم ابن سعود ، فكانت الهزيمة مشتركة ، والخسائر من الطرفين متقاربة.

وهناك من يقول رجحت كفة ابن رشيد ، وطلع الفجر وابن سعود بعيداً عن ميدان المعركة جهات المذنب، يبحث عن مكان آمن يجمع فيه فلول جيشه[1]، ولما علم "الملك عبدالعزيز" بالانتصار الذي حققه أهل القصيم عاد إلى مدينة عنيزة، فأقبلت إليه النجدات من "عتيبة" و"مطير" وسواهما ، واجتمع عنده في أقل من أسبوع عشرة آلاف مقاتل ، ثم زحف عبدالعزيز بجموعه للقاء ابن رشيد في البكيرية مرة ثانية ، فوجده قد ترك مؤنه، وذخائره، وسار إلى "الخبراء" يريد الاستيلاء عليها، وفيها حامية من جند الملك "عبدالعزيز بن سعود"، فامتنعت عليه ، وعلم ابن رشيد وهو في

---

[1] فلبي ، تاريخ نجد ، ص٢٨٧ .

حصارها بعـودة ابـن سـعود ، فخـاف علـى ذخـائره[1]، فأرسل كتيبة من الفرسان بقيادة سـلطان بـن حمـود بـن رشيد لحمايتها، ووصل الملك "عبدالعزيز" قبله، فـالتحم الطرفان ، فهزمهم الملك "عبدالعزيز"، وقتل قائد كتيبـة ابن رشيد ، ولما علم ابن رشيد بهزيمـة فرسـانه رحـل إلى (الشنانة) جنوب الرس، ودخـل عبدالعزيـز الـرس، وتجـاور الطرفـان ثلاثـة أشـهر، من ربيـع الثـاني إلــى منتصف رجب ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م يتخللها مناوشـــات جانبية، ولما حلّ الربيع تفرقت الباديـة تاركـة ميدان المعركـة للحـاضرة ، وملّ الحـاضرة طـول الإقامـة، فتحرك ابن رشيد بقواته إلى (قصـر ابـن عقّيـل) فتبعـه ابن سعود بألف مقاتل مشياً على الأقدام حتـى لا يحـس بهم العدو، وفي منتصف الليل وصلـوا إلـى (القصـر)، وكان صاحب القصر من الموالين لابن سعود، وبينهمـا علاقات متينة ، ففتح للملك "عبدالعزيز" بوابـة القصـر،

---

[1] استولى الملك عبدالعزيز على ذخائر ابن رشيد في مستودعاتها في البكيرية وفتحها ، ثم تـابع سـيرة أثر جيوش ابن رشيد الجرارة.

ولكن ابن رشيد تابع سيره بجيشه الجرار الذي يقدر عدده بخمسة عشر ألف مقاتل -عرب وأتراك- يتقدم تلك الجموع الإبل والذخائر والمدافع ، وخرج الملك "عبدالعزيز" بعدده القليل ، وعتاده المتواضع ، حيث لايحمل إلا ما يحمل الجندي الراجل -بندقية وشبرية أو سيف وحزام فيه الرصاص- ، وكان الملك "عبدالعزيز" لايريد أن تدور معركة مع هؤلاء الأعداد، فإن العدد غير متكافئ ، ولكنه يريد كعادته أن يفاجئ ابن رشيد ، ولما أناخ "عبدالعزيز بن رشيد" في "وادي الرمة" ونصب الخيام ، والمدافع ، بدأت المناوشات بين الطرفين ، ولكن المتحمسين الفدائيين من رجال الملك "عبدالعزيز بن سعود" دخلوا من تحت سقف الرصاص المنهال عليهم، وبدأوا في تقطيع حبال خيام ابن رشيد، فأربكوهم ، ثم تقدم بقية الجنود داخل المخيم، وفي مقدمتهم الملك "عبدالعزيز" ، فاشتدت المعركة، وكان الضغط على الجنود الترك ، فأربكتهم المفاجاة، وولوا الأدبار هاربين ، وتبعهم في فرارهم ابن رشيد ، ومن

معهم من شمر وغيرهم ، تاركين وراءهم مؤنهم، وعتادهم، وأموالهم، وأرزاقهم، وإبلهم وماشيتهم، وفيها صناديق الذهب والفضة والرياش، فأخذ جيش الملك "عبدالعزيز" أياماً في جمع وقسمة الغنائم التي كسبوها من هذه المعركة التي سميت بوقعة (الشنانة)، وكانت تعد من المعارك الفاصلة[1].

وبعد هذه الهزيمة المنكرة لهذه الجيوش الجرارة، استقر في ذهن ابن رشيد أن حكمه أصبح في مهب الريح ، وأنه مهدد بالانهيار بين فينة وأخرى ، ووجد من الدولة العثمانية فتوراً ووحشة، حيث تدمرت آلاتها الحربية ، وقتل جنودها شر قتلة، فلجأت إلى المفاوضات ، ولكن الملك "عبدالعزيز" على الرغم من أنه يفضل السلم على الحرب ، إلا أنه لا يقبل الشروط التي لا تتفق مع أهدافه ، لجأ "ابن رشيد" إلى عدوه بالأمس "ابن صباح" حتى يفاوض ابن سعود لتبقى له إمارة حائل ، وتكون منطقة القصيم منطقة محايدة بينه

---

[1] في ٢٧ / ٩ / ١٩٠٤م ، راجع تاريخ نجد ، فلبي ، ص٢٨٨ .

وبين ابن سعود ، ولكن الملك "عبدالعزيز" لم يقبل بهذه القسمة التي لا يرضى بها المنتصر، فالمهزوم لا يملي شروطه على المنتصر، ترك الملك "عبدالعزيز" "ابن رشيد" في "الكهفة"، والجيش التركي يتخبط لعله يجد مكاناً آمناً يستقر به، أراد القائد التركي القصيم فرفضه أهل "بريدة" وأهل "عنيزة"، ونزلت القوات التركية في "الشيحية" يهددها الخطر، وتوجه الملك "عبدالعزيز" إلى قطر لنصرة أميرها في خلاف نشب هناك.

وكانت سياسة من الملك "عبدالعزيز" ليرى ماذا يقرره المنهزمون ، وقد استنزف طول المقام صبرهم، وهم في وضع لايمكنهم من الإغارة ، أو الدخول في حرب ، وجُرْح الهزيمة مازال ينزف بالدم ، ولكن "ابن رشيد" لايريد أن تفوته هذه الفرصة ، وقد أحس بنشاط بعد ابتعاد الملك "عبدالعزيز" عن المنطقة ، فانتهز الفرصة ، وتوجه إلى القصيم ، فحصلت بينه وبين أهل القصيم وحامية الملك "عبدالعزيز" مناوشات ، ثم نزل "روضة مهنا" (الربيعية) شرقي بريدة ، وكان الملك

"عبدالعزيز" يستمع إلى أخبار ابن رشيد، فعاد الملك "عبدالعزيز" من " قطر" على عجل ماراً "بالأحساء" و"الرياض" ، وفي محرم ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م توجه إلى القصيم، حتى وصل إلىمنزل ابن رشيد في "الربيعية"، واقترب "ابن سعود" من خيام "ابن رشيد"[(١)] ، فترجل الملك "عبدالعزيز" ورجاله، وتركوا الركايب في المرعى، وساروا مشياً علىالأقدام ظناً منهم أنه قد نام"لهجاده"، ولكن كشافة "ابن رشيد" رأوا الملك "عبدالعزيز" ورجاله قبل وصولهم فاستعدوا لهم، واشتبك الخصمان في ظلام الليل ، وكاد يقتل الرجل صاحبه من شدة الظلام، وكانت المعركة بالسلاح الأبيض -بالسيوف والخناجر- ويندر الرمي، فاستطاع الملك "عبدالعزيز" أن يزيح رجال "ابن رشيد" عن أماكنهم ، فحلت راية ابن سعود مكان راية ابن رشيد، فجاء ابن رشيد على جواده يتفقد المقاتلين، فقصد رايته ظناً منه انها مازالت في مكانها ، فكانت راية الملك

---

(١) وقد دخلت ليلة ٢٨ / ٢ / ١٣٢٤هـ الموافق ١٤ / ٤ / ١٩٠٦م.

"عبدالعزيز بن سعود" التي قصد ، فلم يعجبه الوضع والحركة عند الراية، فصاح ابن رشيد (وش ها الدبرة يالفريخ يا بن ....) يكررها مراراً فعرفه رجال الملك "عبدالعزيز" بلهجته الشمرية، وكان الظلام يخيم على الجميع ، ولكنهم يرون ما يشبه الظل فوق صهوة الحصان فصاحوا ابن رشيد يا "طلاّبته" فصوبوا النيران من بنادقهم باتجاهه فخرّ صريعاً من على ظهر جواده ، وفيه بضع وعشرون رصاصة.

وبعد قتل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد وهزيمة قواته في روضة "مهنا" ارتبكت الدولة العثمانية، واختلط عليها الحابل بالنابل ، وتضاءلت أطماعها الاستيطانية ، وتقلصت فرص الانتصار، وخافت على فلول جيشها المنزوية في قرية الشيحية، كما كان يقلقها جمود قائد حملتها "صدقي باشا" ومرابطته مدة طويلة في مكمن الخطر، فأرسلت "سامي باشا " ، وكان في "المدينة المنورة" ليحل محله، لاعتقاد الترك أنه أكفأ منه، وهو عربي الأصل قد "استترك" من أقسى القواد

وأعنفهم ، فالتقى بمتعب بن رشيد في "سميراء" القريبة من حائل واقترح "سامي باشا " أن تكون القصيم ولاية تركية، فوافق ابن رشيد على اقتراحه لأن ابن رشيد قد طرد منها ، وأصبحت في يد غيره ، ويسره أن تكون تابعة للدولة التي تساعده، وتشد أزره ، وأن تفصل بينه وبين عدوه النشط[1]، فوصل "سامي باشا" إلى الشيحية، وتولى قيادة القوة التركية ، ثم طلب الاجتماع بالملك عبدالعزيز بن سعود فاجتمعا في "البكيرية" ، وكان "سامي" غير لبق في حديثه مع الملك عبدالعزيز ، لأنه يتكلم بمنطق القوة، ولكن الملك عبدالعزيز يتكلم بمنطق الحق ولسان المنتصر، الذي لا يخشى تهديد مثل هذا المعتدي ، فقال "سامي باشا" إنني أبلغكم رغبة أهل القصيم بحماية الدولة لهم[2] ، فقال الملك عبدالعزيز:

---

[1] يرى فلبي أنه اتفاق تم بين الإمام عبدالرحمن وبين الدولة التركية أثناء اجتماع الإمام عبدالرحمن بموفد الدولة التركية ، وذلك بأن تبقى القصيم تحت الاحتلال التركي لتفصل بين الخصمين ، واشترط الإمام عبدالرحمن موافقة أهل نجد على هذا الاتفاق ، ولكن الملك عبدالعزيز ومستشاريه لم يوافقوا على بقاء القصيم ولاية تركية وان كان يميل الى ذلك أمير بريدة صالح الحسن المهنا لأنه ينظر الى الاستقلال عن الاثنين.

[2] وكأنه يشير إلى رغبة "صالح الحسن المهنا " أمير بريدة الذي يميل إلى حماية الترك ليستقل عن ابن رشيد وعن ابن سعود.

"أهل القصيم من اتباعي والقول قولي وليس لأحد كلام غيري" فقال الباشا "الولاية تقتضي الحماية ، وأنت لا تستطيع أن تحميهم ، ولا ابن رشيد ، فرد عليه الملك عبدالعزيز بغضب شديد ، وهل حمتهم الدولة" ؟

إن كنت تدري فتلك مصيبة

وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم

فتكلم ممثل أهل القصيم[1] قائلاً (أهل القصيم لايريدون غير الملك عبدالعزيز بن سعود حاكماً عليهم، ولايرضون به بديلاً) ، فكان رد "سامي" على كلام المتكلم إنهم لايعرفون مصلحتهم مع من تكون ؟ ونحن جئنا من بلادنا نريد أن نعلمهم الولاء والطاعة للدولة العليا ، (يقصد الدولة العثمانية) ولا معلم لهم غير السيف ، فرد عليه الملك عبدالعزيز "يؤسفني أن توكل الدولة أمورها إلى مثلك، وما كان العرب يطيعون صاغرين لا والله ولولا أنك ضيفاً عندنا ما تركناك تقوم من مكانك"، ولما افترقا. أدرك القائد التركي

[1] "إبراهيم العلي الرشودي".

غلطته ، فخاف غضب الملك عبدالعزيز وهجومه المفاجئ وأصبح في وضع قلق، وفي المساء أرسل إليه الملك عبدالعزيز ينذره بالقتال غداً، فعاد الرسول ومعه ثلاثة من الضباط يسترضون الملك عبدالعزيز ويقولون "إن الباشا وعسكره ضيوف عندكم واحسبوهم في معيتكم ".

وعلم الملك عبدالعزيز وهو في "عنيزة" أن "الفاروقي" يجهز للانتقال إلى "حائل" لينضم إلى جيش متعب بن رشيد، وربما ليقوما بمهاجمة ابن سعود فيما بعد، فأسرع إلى "البكيرية" وأرسل إلى "الفاروقي" يخيّره بين أمرين ، إما أن يرحل بجيشه خلال خمسة أيام ويتجه إلى السر -حتى لايتصل بابن رشيد- وإما أن يتولى هو "ابن سعود" ترحيل الجيش، فيرسل العراقيين للعراق إلى "فيضي" باشا والباقين الذين جاءوا مع صدقي باشا إلى "المدينة المنورة" ، وإذا رفض هذين الحلين فالثالث هو الحرب، فرضي "الباشا" بالحل الثاني وهو أن يرحل الجيش بمعرفة الملك

عبدالعزيز بن سعود، وأنفذ الملك عبدالعزيز ما تعهّد به ورحّلهم بالطريقة التي أوضحها ، وبعد شهرين وصلته رسائل شكر من الدولة لحسن معاملته لقوات الدولة[1].

---

[1] نصاً مع قليل من الاختصار والتصرف من كتاب الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز " للزركلي " ، ص٤٥ وإضافات أخرى.

بعد معركة " الربيعية " ومقتل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد اكتشف الملك عبدالعزيز أن أمير "بريدة" صالح الحسن المهنا قد اتصل بصدقي باشا القائد التركي ، واتفق معه على دخول "بريدة"، ولكن الملك عبدالعزيز قطع عليهم خط الرجعة ، فسبق الترك إليها بطلب من أهلها، ودخلها ثم قبض على صالح الحسن المهنا وإخوانه ، وأرسلهم إلى الرياض رهن الاعتقال ، وولى إمارة بريدة محمد العبدالله أبا الخيل ، فهدأت الأحوال في القصيم بعض الوقت ، ولكن ابن رشيد والأتراك والأطماع لم يتركوا أوضاع البلاد تستقر ، فعاد الأمير الجديد ، ومن يدور في فلكه إلى نفس النغمة السابقة التي سار عليها سلفه ، فأمهلهم الملك عبدالعزيز وأخذهم بالظاهر حتى تمكن من تطويق نشاطهم ودخل بريدة مرة ثانية عام ١٣٢٦هـ بعد أن أمن الأمير ومن معه على حياتهم ، وتركهم يختارون الجهة التي يريدونها فذهب إلى العراق ومعه المؤيدين ، وطويت صفحة كانت مثار قلق ، وإزعاج للسكان والحكام ، ابن هذلول ، ص٨٠ ، تاريخ ملوك آل سعود.

الدولة العثمانية تستفتي الملك عبدالعزيز عن مستقبل العرب

رأت الدولة في الملك عبدالعزيز -الرجل المتفتح- مخايل، الزعامة من الدرجة الأولى ، فتخطت أمير الكويت وأفراد أسرته، وتغافلت ابن رشيد وأقطاب إمارته، ونسيت الشريف وأبهته، واختارت الزعيم الذي سيطر فعله على تفكير الدولة، وعلى قوتها، وعتادها، وعدتها الحربية، فأوعزت إلى واليها في البصرة سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م "سليمان شفيق كمالي باشا " بأن يسأله عن رأيه في أمراء العرب ، وشقاقهم ، وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية.

فكان جواب الملك عبدالعزيز لا يسرهم ولا يضره، بل رفع مكانته بين الشعوب العربية، وعند الدولة العثمانية نفسها حيث قال "إنكم لم تحسنوا إلى العرب، ولاعاملتموهم في الأقل بالعدل، وأنا أعلم أن استشارتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع ، لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي، وهاكم رأيي ، ولكم أن تؤولوه كما تشاؤون:

إنكم المسئولون عما في العـرب مـن شـقاق، فقـد اكتفيتم بأن تحكموا، وما تمكنتم حتى من ذلك. قد فـاتكم أن الراعـي مسـؤول عـن رعيتـه ، وفـاتكم أن صـاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان، وفاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ، ولاينـالون إذا خسـروا كل مالديهم، وسلمت كرامتهم.

أردتم أن تحكموا العرب فتقضوا أربكم منهم، فلم تتوفقوا إلى شيء من هذا أو ذاك، لم تنفعوهم ولانفعتهم أنفسكم. وفي كل حال، أنتم اليوم في حاجـة إلـى راحـة البال، لتتمكنوا من النظرالصائب في أموركم الجوهرية.

أما ما يختص بالعرب ، فإليكم رأيي فيه :

إنـي أرى أن تدعـوا رؤسـاء العـرب كلهـم ، كبـيرهم وصغيرهم ، إلى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة ولا نفـوذ فيـه للحكومـة العثمانيـة ، لتكـون لهـم حريـة المذاكـرة، والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف ، ثم تقرير أحد أمرين: إما أن تكـون البـلاد العربيـة كتلـة سياسـية واحـدة يرأسـها حـاكم واحـد، وإمـا أن تقسـموها إلـى

ولايات تحددون حدودها ، وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفؤاً من كل الوجوه، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات.

وينبغي أن تكون هذه الولايات مستقلة ، استقلالاً إدارياً ، وتكونوا أنتم المشرفين عليها.

فإذا تم ذلك فعلى كل أمير عربي ، أو رئيس ولاية، أن يتعهد بأن يعضد زملاءه ويكون وإياهم يداً واحدة على كل من تجاوزحدوده أوأخل بماهو متفق عليه بيننا وبينكم. هذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ، وتكون فيها الضربة القاضية على أعداءكم". ثم قال فيما بعد ...

- إني على استعداد لأن أكون كجندي بسيط أجاهد في سبيل العرب، وتوحيد كلمة العرب، وتأسيس الوحدة بين العرب.

- العرب اليوم ، هم كالطفل الصغير يحتاجون إلى عناية شديدة ، فمن الواجب على الذي يتولى أمرهم أن ينصحهم ويرشدهم إلى طريق الصواب.

- اثنتان أحمد الله على واحدة منهما وأشكره على الأخرى، أحمد الله على أني أكره أهل الضلال، وعلى كراهة أهل الضلال لي، وأشكره على محبة أهل الخير لي ومحبتي لهم[1].

لقد أعطاهم الملك عبدالعزيز الرأي السديد، وأسدى إليهم النصيحة الخالصة، وإن كانت لا تخدم كثيراً من أهدافه التي يسعى إليها آنذاك ، ولكنه يعلم أن من استشارك دخل في ذمتك "ولا يجوز أن تعطيه إلا ماتعتقد أنه الصواب"، "قل الحق ولو على نفسك" وقد طبق الملك عبدالعزيز الرأي الأول على مناطق الجزيرة العربية إذ لم تستطع الدولة العثمانية إن تأخذ به لزوال ملكها ، أما الرأي الثاني الذي يرى فيه أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد، فهو على غرار ما تسير عليه الآن الدول الاتحادية الكبرى مثل أمريكا وروسيا ذات الولايات المتعددة تحت علم واحد ، فهذه الآراء التي نقرأها

[1] الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي ، ص٥٤-٥٥ .

وكأنها قيلت اليوم بعد مائة سنة مضت تدل على أن الملك عبدالعزيزيعيش في عصرغير عصره، وفي عقلية تختلف عن عقليات أهل زمانه.

فتح الأحساء وضمه
إلى السلطة الشرعية في نجد

كانت منطقة الأحساء ولاية سعودية في عهد محمد بن سعود المؤسس الأول للدولة السعودية الأولى وبقيت على ذلك حتى سقوط الدرعية ١٢٣٣هـ ، ثم استردها الحكم السعودي في عهد الإمام تركي بن عبدالله وأبناء الإمام فيصل بن تركي ، ولكن الأتراك استولوا عليها ١٢٨٨هـ، وكان يتولى إدارتها متصرف "البصرة "، وقد تدهورت أوضاعها ، وآلت إلى الفوضى ١٣٣١هـ-١٩١٢م ، وما قبلها لإهمال المتصرف ، وترك الأمور بيد أفراد الحامية الجهال، الذين أخذوا يعبثون في البلاد ، وينشرون الذعر ، والفساد بين السكان.

ولمااستعاد الملك عبدالعزيز معظم البلدان النجدية، واشتد عوده، وقوي جيشه، وتدرب رجاله، انصرف تفكيره إلى تحرير منطقة الأحساء، وتخليصها من أيدي المحتلين الذين أكلوا خيراتها ودمروا عماراتها وأفسدوا أهلها، وكان موقف العثمانيين من الملك عبدالعزيز موقفاً يدعو إلى الإسراع في حربهم ، وإخراجهم من

أملاك آبائه وأجداده ، وكانوا يمدون خصومه بالسلاح والمؤن والرجال، ويعلنون عداوة الملك عبدالعزيز، ويحشدون الجيوش للإطاحة به، وإغراء البادية لحربه، وضربه في مناطق نفوذه.

وقد هدده والي بغداد (جمال باشا) برسالة حملها للملك عبدالعزيز مندوبه أحمد بن ثنيان قائلاً: "أن الملك عبدالعزيز لا يعرف مقامه ، وقد غره صفح المشير "فيضي باشا" ، فإن كان لا يقبل ما تطلبه الحكومة، فإن في إمكاني أن أخترق نجداً من الشمال إلى الجنوب بطابورين"، وكان هذا التهديد بمثابة حافز للملك عبدالعزيز للإسراع في حربهم، قبل أن ينفذوا تهديدهم، فأجاب الملك عبدالعزيز الذي لا يرهبه التهديد ، ولا الوعيد ، وخاصة إذا كان صادراً من أعدائه أصحاب الأهواء الحاقدين بكتاب وجهه إلى فيضى باشا قال فيه: "قلتم إنكم تستطيعون أن تخترقوا بلاد نجد بطابورين من الشمال إلى الجنوب ، ونحن نقول وسنقصر لكم الطريق قريباً إن شاء الله".

ثم زحف الملك عبدالعزيز حتى بلغ "الخفس" فنزل عليه ولما اجتمع حوله رجاله تقدم إلى "السيفة" قريباً من الهفوف ، وفي الهزيع من الليل[1] ، تقدم إلى الهفوف، وقال لرجاله البالغ عددهم ستمائة رجل تقريباً سنهاجم (قلعة الكوت) فلا تجيبوا من يكلمكم بكلمة حتى تدخلوها ، ومتى دخلتم فحاربوا من يحاربكم ، ولا تدخلوا البيوت ، ولا تقتربوا من النساء "هذه تعليمات القائد لجنده ، ومن يخالف هذه التعليمات يتعرض للجزاء ، لأن أي مخالفة قد تفسد على القائد خطته الحربية ، وسار بهم مشياً على الأقدام يحملون معهم الحبال وجذوع النخل ، لاستخدامها كسلالم ، فلما وصلوا إلى سور القلعة ، وكان الارتفاع شاهقاً، يزيد على ستة أمتار ، فنصبوا سلالمهم من جذوع النخل، وتسلقوا منها الجدران ، فصعدوا عشرة عشرة ، فلما سألهم الحرس عن مهمتهم لم يجيبوا تنفيذاً لتعليمات القائد، ولما تكاثر عددهم داخل المبنى ، كثر اللغط،

---

[1] من يوم ٥ / ٤ / ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

وارتفعت الأصوات، فاستيقظ الجنود، وهبوا للدفاع عن أنفسهم وقلعتهم، ولكن بعد أن فاتهم الأوان، فلم يستطيعوا، وسيطر رجال التوحيد على داخل المبنى، ثم نادى منادي الملك عبدالعزيز من أعلى الأسوار "الملك لله ثم لعبد العزيز بن سعود من أراد العافية يلزم مكانه"، فأقبل الناس على الملك عبدالعزيز لما عرفوه مرحبين ومبايعين.

ولجأ الجنود إلى الحصون، فلما بزغ الفجر أطلق عسكر الأتراك البنادق والمدافع في الهواء إعلاماً بما حصل وترهيباً للفاتحين فطلب منهم الملك عبدالعزيز أن يسلموا ويرحلهم إلى بلادهم سالمين ، فقبل قائدهم، والمتصرف بالأمان، وسلمت الحامية، وكان عددهم ألفاً ومائتي جندي ، فأذن لهم الملك عبدالعزيز بحمل سلاحهم ماعدا الذخائر والمدافع ، وقال "لا تنزعوا من الجندي العثماني سلاحه" وأمر بالركائب لترحيلهم وعوائلهم إلى ميناء "العقير" وأرسل معهم "أحمد بن

ثنيان" يمهد لهم الطريق ، فكان على يديه خروج الترك من آخر معقل لهم في الأحساء والقطيف[١].

ثم أرسل الملك عبدالعزيز سرية إلى القطيف، فبادر أهلها بالتسليم وفر من فيها من الجند على السفن، فسلم العثمانيون بالأمر وأرسلوا يفاوضونه[٢].

حاول الأتراك استمالة الملك عبدالعزيز وإقناعه بالتعاون معهم لما اكتشفوا ضعف عميلهم ابن رشيد أمام خصمه، ولكن الملك عبدالعزيز المواطن الصالح، والزعيم المخلص، الذي يحارب من أجل تحقيق العدالة بين الرعية ، وتحرير البلاد من سيطرة الأجنبي، وتخليصها من التمزق والضياع ، وإنقاذ رقاب العزل من سيوف الغزاة المفسدين ، ونشر تعاليم الدين، وتحكيم شريعة رب العالمين في ربوع البلاد ، التي أنهكها دمار الحروب الطاحنة التي يفرضها الغزاة الظلمة ، والزعماء الانفصاليون الذين أهدروا كرامة

---

[١] عام ١٣٣١هـ - ١٩١٣م ، الوجيز للزركلي ، ص١٤٠ ، وكان خروجهم من آخر معقل لهم في القصيم بنجد عام ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م ، نفس المرجع.

[٢] الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي ، ص٥٨ ، تاريخ نجد لعبدالله فلبي ، ص٣١١ .

الإنسان ، وحقوقه المشروعة ، لقد رفض الملك عبدالعزيز بشدة التعاون معهم ، وفي نفس الوقت طارد عملاءهم ، فأرسلوا إلى الملك عبدالعزيز طالب النقيب، وقد خيم في (الصبيحية) لمفاوضته على الولاء، وطلبوا أن يكون للدولة معتمدون في القطيف، والأحساء، فرفض الملك عبدالعزيز طلبهم ، ورغب أن تكون العلاقة ودية اختيارية، وليست سلطة ، وأن تساعده الدولة مقابل ذلك بالأسلحة والذخيرة، فلم يلبث أن وافقت "الأستانة" على ما تقرر في اجتماع "الصبيحية" مع الشكر لابن سعود، وتسميته والياً لنجد ، ومتصرفاً للأحساء، والقطيف ، وأهدته النيشان العثماني الأول، ولقبوه بصاحب الدولة [1].

[1] وذلك في آخر سنة ١٣٣٢هـ - أول ١٩١٤م ، المرجع السابق ، ص٥٨.

الملك عبدالعزيز يدعو إلى الوحدة العربية

ولما قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢هـ - ١٩١٤م) كتب الملك عبدالعزيز لكل من خصمه "ابن رشيد" وصديقه الشريف حسين ، ورفيق الكفاح -الذي يخشى نفوذه- "مبارك الصباح" يطلب منهم أن يجتمعوا على رأي موحد ، حتى يقفوا يداً واحدة في وجه أي عدوان خارجي قد يتعرضون له في هذه الحرب الطاحنة التي صلتهم بلهبها ، وكان طلب الملك عبدالعزيز دعوة مبكرة للوحدة العربية، ولكن ماذا كان رد هؤلاء الثلاثة ، قال ابن رشيد "إني مع الدولة العثمانية أحارب من حاربتْ وأصالح من صالحتْ "، وأرسل الشريف حسين، ابنه عبدالله مندوباً عنه للتفاهم فيما يريد الملك عبدالعزيزمن طلب الاجتماع؟ ، فاجتمع مندوب "الشريف حسين" بمندوب الملك عبدالعزيز، وقال مندوب الشريف: "عسى الملك عبدالعزيز ما ينسى ما تعهد به للوالد عندما أطلق أخاه سعد" ، فهز مندوب الملك عبدالعزيز رأسه ساخراً، وافترقا ، وأما مبارك بن صباح فقد حول المكالمة

(للمندوب البريطاني بالهند) ، لكن هذا الرأي من الملك عبدالعزيز لفت نظر الحكومة البريطانية فيما بعد، وقدروه حق التقدِير، وطلبوا منه أن يلزم الحياد بالنسبة لمصالحهم في الخليج ، وأرسلت الدولة العثمانية وفدين أحدهما برئاسة (طالب النقيب) والثاني يمثله محمود شكري الألوسي ، وبعثوا معهما عشرة آلاف ليرة ذهبية هدية ، وطلبوا منه أن لا يمنع تجار نجد من المساعدة على قبول تموين الجيش التركي، ففعل الملك عبدالعزيز بشرط أن لاتقصد بذلك حرب الدول العربية في الوطن العربي وبالذات الجزيرة العربية[1].

لزم الملك عبدالعزيز الحياد مع البريطانيين ، وكذلك مع الدولة العثمانية ، مادامت توقفت عن إمداد خصومه ، وسحبت جنودها من أماكن نفوذه ، فهو دائماً يميل إلى السلم ، ويكره الحروب التي تجر الويلات للبلاد، والعباد، وتفتك بالأرواح ، وتهدر الأموال، وتشغل الخلق عن الكسب والعبادة.

---

(1) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي ، ص٦٠ .

لقد تكتل الحلفاء ضد العثمانيين ، فأوعزوا لزعماء الدول العربية بالتحرك ضد الدولة ، ووعدتهم بريطانيا بالمساعدة، وكانت بريطانيا تركز على الزعيم الجديد، فكتبوا للملك عبدالعزيزيقولون "إذا اتفقت مع زعماء الجزيرة العربية الذين لا زالوا في الساحة على قمة السلطة ، وهم ابن صباح وابن رشيد والشريف حسين وحاربتهم الدولة العثمانية ، وأخرجتموها من دياركم ، فسوف نتركها لكم ، ونصد عنكم عدوكم"، وكان هذا مطلب وطني لأن الأتراك مفسدون ومحتلون، فكتب الملك عبدالعزيز للثلاثة بذلك ، فكان جواب ابن رشيد "إن أنور باشا قد أرسل إليّ عشرة آلاف بندقية وبعد أن أكسرها على رأسك وعلى رجالك أفكر بالصلح معك والقيام على الترك "هذا هو رد الخصم المقهور ، وكان جواب أمير الكويت "إن في ميناء الكويت باخرة بريطانية، فاحضر وقابل ربانها، وأنا معك على ما تتفقان عليه" رد سلبي لا يحمل رأياً يستفاد منه. وكان جواب حسين " سأرتقب الفرصة

لأعمل ما أراه "وهذا ردّ متكبر متغطرس معتد بنفسه، ولا يريد أن يشترك مع غيره في عمل موحد ، ثم أن الملك عبدالعزيز أبلغ مندوب الإنجليز شكسبير بإجابات الزعماء وأعطاه الرأي الصائب، فقال الملك عبدالعزيز "تعلم أنكم بعيدون عنا ، والعرب يتهمونني بالدعوة إلى مذهب خامس فقيامي معكم ، وجعل رايتي المنقوش عليها (لاإله إلا الله) إلى جانب رايتكم ، أمر غير نافع لي ، ولا لكم ، والرأي أن تكتبوا إلى الشريف حسين، فإن اتفق معكم على شيء فأنا أعدكم بأنني لا أعرقل له سعياً مادام في حرب مع الترك"، وحاول "شكسبير" أن يقنع الملك عبدالعزيز بأن يغير رأيه فلم يفلح فكتب إلى حكومته بذلك[1].

وكان الملك عبدالعزيز يود من الصميم أن يتفق معه الحكام العرب على حرب العثمانيين الذين احتلوا البلاد العربية ، وأنهكوها بالحروب الطاحنة ، وقتلوا زعماءها ورجالها ، واستنفدوا خيراتها ، وأكل جنودهم

---

(1) المرجع السابق ، ص٦٢ .

الرطب واليابس ، وأفسدوا أخلاق المسلمين ، ولم يكـن الملـك عبدالعزيـز يريـد مـن ابـن صبـاح وابــن رشــيد والملك حسين الاتفاق ضد الترك فقط ، ولكنه يريـد أن يتحد الأربعة على الوقوف في وجه أي عدوان خارجي سواء كانت الدولـة العثمانيـة أم بريطانيـا أم إيطاليـا أو غيرها من الدول الطامعة في البـلاد العربيـة ، ولكنهـم فندوا رأيه ، وسار كل واحد منهم بالاتجاه الذي يظـن أنـه الأسـلم ، وفـي النهايـة خسـروا الصفقـــة ، وأكلــوا الصفعة، وصدق الله العظيم حيث قـال: ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾.

معركة جراب وقرب نهاية حكم ابن رشيد

مازال يتردد صدى ما قاله ابن رشيد للملك عبدالعزيز "إن أنور باشا قد أرسل إليّ عشرة آلاف بندقية، وبعد أن أكسرها على رأسك ، وعلى رجالك، أفكر بالصلح معك"، كلام ممجوج، سيئ الهضم ، على فكر أمثال الملك عبدالعزيز، الشهم الذي لم يسمع بمثل هذا التهديدالمكشوف، وما زالت تلك الكلمات النابية عالقة في ذهن الملك عبدالعزيز لم يمسحها الوقت، وكثرة المشكلات التي مرت به بعدها، ثم اكتشف الملك عبدالعزيز أن ابن رشيد قد اجتمع بوالي البصرة العثماني سراً في"سفوان" قرب البصرة، وسلمه سلاحاً، وأموالاً لقتال الملك عبدالعزيز، وأن ابن رشيد يتأهب، ويعد العدة لغزو الملك عبدالعزيز في الرياض ، فجهز الملك عبدالعزيز قواته وتوجه لمقابلة ابن رشيد.

فالتقى الخصمان في "جراب"[1] قرب الظهر، فانتخى أهل حائل بنخوتهم "السناعيس"، وأخذت ترددها

(1) جراب موقع شمال الأرطاوية شرق الزلفي وذلك في يوم ١٣٣٣/٣/٧هـ - ١٩١٥م.

العماريات[1]، ورفع حادي بن سعود صوته الجهوري:

هبت هبوب الجنة .... وين أنت يا باغيها

تقارع الأبطال مع الخصوم في رابعة النهار، فكانت المعركة في أول الأمر لابن سعود، ولكن فرسان العجمان أعلنوا الهزيمة، ورددوا صيحاتها -وربما كانت مقصودة لهزيمة ابن سعود- فمالت بادية ابن رشيد على رجال ابن سعود، فهزمتهم، وغنمت ما معهم من أموال وأبل وعتاد، وشارك العجمان في نهب معسكرات ابن سعود ، وأغارت بادية ابن سعود (مطير) على أبل، ومخيم ابن رشيد، ونهبوها، وأصبح الأعراب هم الغانمون ، قال الملك عبدالعزيز ما معناه: "عاد الأعراب بالغنائم والأسلاب" وعاد المتخاصمان بخفي حنين[2].

---

(1) العماريات من عادات البادية أن يخرج مع المحاربين من أجمل بنات القبيلة يشجعن المحاربين حاسرات الرؤوس ثائرات الشعر.

(2) تاريخ نجد الحديث ، الريحاني ، ص٢٢٢ ، تاريخ ملوك آل سعود للأمير سعود بن هذلول ، ص١٠٣ - ١٠٥ .

معركة كنزان

بعد معركة (جراب) بين الملك عبدالعزيز وابن رشيد التي لم ينتصر فيها أحد الطرفين جاءت معركة "كنزان" التي انتصر فيها العجمان على الملك عبدالعزيز، وذلك أن الملك عبدالعزيز بإلحاح من مبارك بن صباح[1] ، خرج من الرياض لحرب العجمان الذين أغاروا على (عريبدار) من بوادي الكويت بعد تخاذلهم في معركة "جراب" ، وإلحاق الضرر بالملك عبدالعزيز، فطلب ابن صباح من الملك عبدالعزيز قتالهم ، ورد مانهبوا من بواديه ، فاعتذر

---

[1] عام ١٣٣٣هـ - ١٩١٥م.

الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت : متقلب المزاج ، شديد المراس ، قوي البأس ، يقول الريحاني : فيه شيء من الأسد وأشياء من الحرباء، بدوي الطبع ، حضري الذوق ، كريماً جواداً ، يلقب "بالحواقة " وهذا اللقب يعني العمل الذي يفسد بعضه بعضاً، فالطيب يفسده ضده، يميل إلى التعامل، حسب أحوال الربح والخسارة ، يبيع أغلى ما يملك لينال ما يحب ، قتل أخويه (محمداً وجراحاً) من أجل خلاف على السلطة والإمارة ، قالوا إنه نصف عمله سراً لا يدركه سواه والنصف الآخر خدعة ومكر ، كريم مذموم ، سليط مغلوب ، إذا أحس بالخطر لجأ إلى القوي ، وإذا أمن فلا يأمن غدره الصديق ، أرادت الدولة العثمانية أن تصطفيه فرقص ، لكنها قطعت الحبل في يده فهوى، فتلقفته بريطانيا قبل أن يصل الى قاع الهاوية ، استضاف أسرة آل سعود فاستغل وجودهم ليضرب بهم ابن رشيد الذي يهدده باحتلال بلاده ، واستغل ضراوة العجمان وقسوتهم لحرب صديقه ، ولكنه في زمنه يعد فلتة ، وقد تكيف مع الجو السياسي المحيط به إلا أنه تعامل مع التكيف إلى حد التطرف (أمين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ١٠٩ - ١١٠).

الملك عبدالعزيز من ابن صباح لعدم مناسبة الوقت لقتالهم ، ولظروف الملك عبدالعزيز القائمة ، ولكن ابن صباح لم يقبل العذر ، وربما ابن صباح -وقتها- لم يكن يكره هزيمة الملك عبدالعزيز ، ولو كان يحارب من أجله، فقد عرف عنه أنه متقلب ، وسمي "بالحواقة" لعدم ثبوته على حال[1] ، إضافة إلىأنه يحسد الملك عبدالعزيز الذي يسميه"ولده"، كتب له الملك عبدالعزيز (لست يا مبارك بصديق صدوق)[2] ، قد نالني من العجمان أكثر مما نالك، فصبرت وتحملت، ونحن الآن في وقت القيظ، ولا نتمكن من شدته أن نسير بجيش إلى ديرة العجمان، الثاني أنني في ريب من الصلح مع "ابن رشيد" الذي تم بيننا بعد وقعة جراب وأخشى أن ينكث العهد إذا دخلت في حرب مع العجمان ، الثالث

---

(1) " الحواقة " خليط من بقايا الطعام تعافه النفس البشرية وتأكله " البقر " يطلقه العوام على الشخص المتقلب الذي لا يثبت على حال ولا يأتي بخير ولا يرجى منه ، ولكن هذه الصفة قد لا تنطبق على الشيخ مبارك لأنه عرف عنه أنه من دهاة العرب يغلب على تصرفاته المكر بعدوه وخداعه وهذه الصفات يحتاجها الموقف في وقته المتقلب.

(2) مبارك الصباح داهية من دهاة العرب في عصره ، من عنزة بن أسد ، وأمه لؤلؤة بنت محمد بن ثاقب بن وطبان بن مرخان تلتقي مع آل سعود في جدهم مرخان ، الزركلي الوجيز ص٢٢ .

نفقات الحرب قد تكاثرت عليّ فضاقت في سبيلها الأسباب ، الرابع إني أخشى يا حضرة "الوالد" أن يلجأ العجمان بعد الحرب إليك، فتنقلب عليّ ، كما فعلت في مشكلة السعدون والظفير، ولكن تلك الأعذار لم تقنع ابن صباح ، وما كان من الملك عبدالعزيز أمام إلحاح صديقه إلا أن يتوجه لتأديب العجمان ، بقوته المحدودة، معتمداً على المدد الذي سوف يأتي من الكويت، وعلى الحاضرة الذين سوف ينضمون إليه من الأحساء، ولكن كل ذلك لم يحصل، فقابل العجمان برجاله على قلتهم، وقد غدر العجمان بالملك عبدالعزيز بأن أوقدوا النيران بمكان نزولهم ، وتركوها مشتعلة وتنحوا ببرق الجبال، ولما قرب رجال الملك عبدالعزيز من مكان نزولهم، بدأوا يطلقون نيران أسلحتهم على الشجر ظناً منهم أنها رجال العدو، ولم يشعروا إلا بنيران بنادق عدوهم تكون سقفاً من الرصاص فوق رؤوسهم ، فجرح الملك عبدالعزيز، وقتل عدد من رجاله ، ومنهم أخيه سعد بن عبدالرحمن ، ثم انحاز الملك عبدالعزيز إلى الأحساء،

وبقي فيه شبه محاصر عدة أشهر[١] ، حتى جاءه المدد من الرياض ، أما مدد ابن صباح بقيادة "سالم الصباح" فإنه لم يأت بفائدة وكاد يكون مع عدوه العجمان، فهجم الملك عبدالعزيز عليهم بعد المدد وهربوا جهة الكويت، وحال دونهم مدد ابن صباح ، ودخلوا الكويت يبيعون ما نهبوه ، وهكذا كانت نجدة الملك عبدالعزيز لأخيه وصديقه، وتنفيذاً لتعهد الملك عبدالعزيز بأن يلزم الحياد، فقد ترك ابن رشيد بعد "جراب" ، وترك الترك، وانشغل بأمور أخرى ، وقد آلت إمارة الرشيد إلى محمد بن طلال الذي يعد من أشجع بيت الرشيد، وكان ابن رشيد خلال الفترة التي لزم بها الملك عبدالعزيز الحياد، يناوش بعض الجهات الموالية لابن سعود ، بقصد التحرش به لمنازلته [٢].

---

[١] قال الريحاني ثلاثة أشهر وقال ابن هذلول ستة أشهر ، ص١٠٦.

[٢] كان حكم الرشيد بدأ بتولي عبدالله بن علي الرشيد إمارة حائل في عهد فيصل بن تركي عام ١٢٥١هـ ، فقد بلغ حكم آل رشيد ما ينوف على تسعين سنة ، حكم خلالها ثلاثة عشر أميراً ، اثنان منهم ماتا موتاً طبيعياً ، وهما عبدالله بن علي بن رشيد ، محمد بن عبدالله، وواحد انتحر ، طلال بن عبدالله وسبعة قتلوا بواسطة أهلهم غيلة ، وواحد قتل في المعركة ، واثنان استسلموا لعبد العزيز بن سعود ، تاريخ نجد الحديث ، ص٢٦٩ أمين الريحاني.

فتح حائل ونهاية
حكم ابن رشيد

بعد هزيمة الملك حسين في "تربة" فقد صوابه ، وأخذ يتخبط ذات اليمين، وذات الشمال ، وفتح قلبه، وخزينته ، ومستودعات الذخيرة بالمدينة لابن رشيد، فكتب له يحثه على حرب ابن سعود ، وأنه سوف يمده بالسلاح والمال، أما الرجال ففي بادية شمر الكفاية[1].

تباطأ ابن رشيد عن الحرب متشاغلاً بالجبهة في الجوف ضد ابن شعلان ، وكان ينظر بالعين الأخرى إلى الصلح الذي بينه وبين الملك عبدالعزبز بن سعود، ولسان حاله يقول اضطرتنا فتنة الجوف على تأجيل الحملة على ابن سعود[2] ، وقد هم بحرب الملك عبدالعزيز بن سعود ، بعد أن شد أزره الشريف بالسلاح والمال، ولكن الملك عبدالعزيز بن سعود كتب لزعماء شمر الذين بينه وبينهم عهداً بما حصل من "ابن رشيد"، فأخبروا الملك عبدالعزيز بن سعود أنهم معه ، وما زالوا على العهد في الولاء والطاعة،

---

(1) عدوك عدونا يا ابني ، بل عدو العرب والإسلام ، وهذا السلاح منا للحرب ، وهذا المال ، أما الرجال فعندك شمر فيها الأشبال ، عن كتاب الريحاني تاريخ نجد الحديث ، ص٢٧٦ .

(2) المرجع السابق ، ص٢٦٨ .

فاستوحش ابن رشيد ، وخاب ظنه في باديته، وطلب من الملك عبدالعزيز آل سعود تمديد سريان الصلح الذي بينهم وقت الحرب العظمى ، فوافق الملك عبدالعزيز بن سعود حباً في الصلح ، وعدم الرغبة في الحروب ، وما كان الملك عبدالعزيز يوماً من الأيام بادئاً أحداً بحرب، أو ناقضاً صلحاً، أو ناكثاً عهداً، وهذه من خواصه التي تميز بها، وماكان يدفعه الهوى، أو الطمع حتى يخالف النهج الذي يسير عليه، ولو كان في ذلك مصلحة ظاهرة ، ولكن ما أسرع ما نقضه ابن رشيد مع أنه هو الذي طلبه.

ولما قُتل سعود بن رشيد بعد انتصاره على نوري الشعلان ، وتولى الإمارة بعده عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز بن رشيد ، أرسل إلى ابن سعود وفداً يريد تجديد عهد الصلح والولاء ، فاستشار الملك عبدالعزيز أعيان أهالي نجد فأشاروا بعدم تجديده ، لأن الذي تم معه الصلح قد هلك، والأحوال السياسة تتغير يوماً بعد يوم ، فزاد الملك عبدالعزيز في شروطه

السابقة ، قال الملك عبدالعزيز لوفد أمير حائل "إني مجيبكم في كل ما تطلبون ، ولكن ألفت نظركم إلى ما حدث من أمرائكم السابقين ، وهذه هي كتبهم إلى الشريف، فينكثون عهوداً بيننا وبينهم، ويرموننا بأبشع التهم، يقولون إننا خوارج ..وأننا.. أنا الآن أوافق على هذا، أما شئون شمر الداخلية فلا أتدخل فيها ، وأما الخارجية فيهمني أمرها ، فقد طالما أضرت سياستها بنجد ومصالحه، لابد إذن من تنازلكم عن إدارة الشئون الخارجية في شمر، واعترافكم لي بذلك ، وينبغي أن يكون الاعتراف خطياً لينشر، فيعرفه جميع الناس"[1].

عاد الوفد بشروط ابن سعود ، فقبل أهل حائل، وأكثر أعيان شمر ، وأما أولو الأمر من آل الرشيد والسبهان، وبعض الزعماء ، مثل عقال بن عجيل وضاري بن طواله ، وعبيد القصر "وسيدتهم" فرفضوا الشروط وأعلنوا الحرب.

---

[1] الريحاني تاريخ نجد الحديث ، ص٢٦٩ .

ولما أصبح ابن سعود في وضع يمكنه من منازلة ابن رشيد، جهز جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل، وجعله فرقتين ، أسند قيادة الأولى لأخيه محمد بن عبدالرحمن وحدد مهمتها محاصرة بلدة حائل، والأخرى بقيادة ابنه سعود بن عبدالعزيز ومهمتها حرب بادية شمر ، حتى يشغلهم عن فك حصار البلدة، ومنعهم من إمداد المحاصرين.

أما الملك عبدالعزيز فبقي في القصيم يراقب الوضع ، ويجهز الإمدادات إن اضطروا إليها ، ولما حزبتهم الحرب ، أرسلوا وفداً إلى الملك عبدالعزيز يقبلون شروطه السابقة التي رفضوها قبل سنة بترك الشئون الخارجية للملك عبدالعزيز، ولكن الملك عبدالعزيز قد تغير موقفه بعد تلك المدة ، ورفض قبول ما طلبوا ، وأنذرهم إما التسليم، وإما الحرب ولا غير ذلك ، ثم قال للوفد "اعلموا أن الرئاسة القائمة بين عبد -مملوك - وامرأة[1] ، لا تدوم واعلموا أن أموركم لا

---

[1] فاطمة السبهان ، جدة سعود بن رشيد ومماليك القصر.

تستقيم مازالت تحت تلك الرئاسة ، ومازالت أموركم كذلك مازال الشقاق ، ومازالت الفتن، وهذا مضر بكم ومضر بنجد، وبأهل نجد وشمر ، عليكم أن تدخلوا في ما دخل فيه أهالي نجد لتنجوا من سيادة العبيد والمرأة، وتريحونا وتريحوا أنفسكم من ويلات الحرب، شروطي الآن هي أن تسلموا لي شوكة الحرب، وعائلة الرشيد، سيكون لكم إذ ذاك مالنا وعليكم ما علينا ، وإذا رفضتم ذلك فاعلموا أني زاحف إليكم بنفسي بعدثلاثة أشهر"[1].

أجاب الوفد "سنعرض الأمر على أصحاب الشأن فإن قبلوا كان خيراً وإلا أنت بريء الذمة.." هذا ما دار بين الملك عبدالعزيز وبين حكام وأعيان البلاد بحائل، لأن من عادة الملك عبدالعزيز عدم دخول الحرب إلا إذا لم يجد غيرها، ولما عاد الوفد وعرض ما أبداه الملك عبدالعزيز رفض أصحاب الشأن شروط الملك عبدالعزيز، وخرج ضاري بن طواله أحد مشايخ شمر غازيا بعض عشائر حرب الموالين للملك

---

(1) الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص٢٢٨ .

عبدالعزيز القاطنين حوالي حائل ، ولكنه هلك في تلك الغزوة، وعلى الرغم من وفاة ابن طواله استمر رجاله بمناوشة الجيش السعودي ، فأمر الملك عبدالعزيز أخاه محمداً بأن يقترب من ميدان المعركة، وأمر ابنه سعوداً بمحاصرة البلدة ، فحاصرها أكثر من خمسين يوماً[١].

وفي نهاية عام ١٣٣٩هـ وصل "محمد بن طلال" من الجوف لمساعدة أمير حائل للخروج من أزمة الحصار الذي ضربه عليه ابن سعود ، ولكن الأمير عبدالله بن متعب بن رشيد أدرك نوايا محمد بن طلال، وأنه سوف يبدأ به ، ثم يتوجه إلى حرب رجال ابن سعود ، وكان شاباً لا يزال في سن المراهقة ، ويفضل الحياة على الإمارة، فاستطاع أن يهرب قبل أن يتمكن منه ابن طلال، ولجأ إلى ابن سعود ، فأخذه سعود بن عبدالعزيز، وذهب به إلى الرياض[٢] ، وكان هرب ابن متعب من علامات

---

[١]ثم أن الملك عبدالعزيز استدعى أخاه محمداً وأسند جميع قيادات السرايا لابنه سعود، ابن هذلول ، ص١٣١.

[٢] حينما أمره والده بالرجوع من حائل بسبب القحط وقلة المرعى للركائب فك الحصار وخرج أمير حائل الجديد ، يغير على القرى وينكل بالرعايا الذين دانوا لابن سعود وأعلنوا الولاء والطاعة ، ولما علم الملك عبدالعزيز بعودة نشاط ابن رشيد أمر على الدويش بالتوجه إلى حائل لإعادة الحصار وإلزام ابن رشيد بالإذعان والتسليم ، ابن هذلول ص١٣١ - ١٣٢ .

الانفراج للعاهل السعودي ، وكان ابن طلال عنيفاً، فأراد تأديب بعض فصائل شمر الموالين لابن سعود المقيمين في قرى حائل، فتعامل معهم بشراسة، فهدمها ودمرها ، وقتل أهلها.

ولما رأى الملك عبدالعزيز بن سعود شراسة ابن طلال ورغبته في تغيير مجرى المعركة، وتحويلها إلى صالح شمر ، أمر فيصل الدويش بالزحف إلى حائل ليجابه هذا بمثله ، فسار رئيس المطران بألفين من رجاله الأشداء ، ونزل في (ياطب)، ولما بلغه أن ابن طلال سوف يسوق جيشه إلى (الجثامية) سبقه الدويش إليها، ولما وصل ابن طلال وجد الدويش قد سبقه نزل في "النيصية" القريبة منها، ومعه ألف وخمسمائة مقاتل من الحاضرة ، وسبعمائة من البادية ومدفعين، فكان منزل ابن طلال يفوق منزل الدويش ، لأن الدويش أصبح في أرض منبسطة مكشوفة للعدو، أما ابن طلال فإنه نزل في مكان محصن بمتاريس طبيعية من التلال الأرضية ، فصار يضرب بمدافعه الإخوان ، ولا يصل

إلى ابن طلال من رصاصهم شيء ، فكانوا ينفذون عملياتهم الحربية في ظلام الليل، وقد حال ابن طلال بين الإخوان وبين احتلال حصن "النيصية" الذي كان الإخوان قد قصدوه ، ففقدوا شيئاً مهما في منزلهم ذلك.

ثم توجه الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بعد عيد الأضحى بيومين بعشرة آلاف مقاتل، ومعهم بعض المدافع ، ولما اجتاز "أم جريف"[1] ، علم أن الدويش قد عسكر في الجثامية ، وفي مناوشات مع ابن رشيد الذي عسكر هو الآخر في "النيصية"، فترك الجيش يسير على مهل، وخف مسرعاً قبل نهاية شهر الحجة بيومين ، وفي اليوم الرابع من العام ١٣٤٠هـ وصل إلى "بقعاء"[2] ، فالتقى هناك بمندوب الدويش ليخبره ان ابن طلال يرغب التحاكم إلىالكتاب والسنة، فتراخى الدويش ، واستغل ابن رشيد غفلة الإخوان، فهجم عليهم هجمة أفسدت عليهم استراتيجيتهم الحربية،

---

(١) بين قبة وحراب.

(٢) قرية من قرى حائل.

فأشرفوا على معسكر الإخوان وأخذوا يضربونهم منها بالمدافع ، فأصابوا منهم رجالاً، ثم توالت الرسل من الدويش إلى الملك عبدالعزيز، فأمر الملك عبدالعزيز ابنه سعوداً بالتوجه إلى الدويش بالخيالة، وأمر الدويش بأن يبقى في مكانه حتى يصل إليه الملك عبدالعزيز بعد تقدمه في المعركة ، فسار الملك عبدالعزيز، وكان ينوي الهجوم على ابن طلال في الليل إلا أن المسيرة الثقيلة تأخر وصولها ، وكان الملك عبدالعزيز لا يريد مهاجمة ابن رشيد إلا في الليل ، لأنه قد تحصن هو ورجاله في حصون من التلال منيعة ، وحولهم جبل "أجا" يلوذون به عند الضرورة. قرب الملك عبدالعزيز بجيوشه إلى معسكر ابن طلال في آخر النهار، وقرر مع قواده أن يكون هجومهم على العدو في النصف الثاني من الليل ، فالتف الجيش السعودي على ابن طلال وقطعوا عليه خط الرجعة حتى لا يهرب إلى حائل عند الهزيمة، فطوقوه بدون أن يعلم ، وفي الوقت المحدد هجم الإخوان هجمة واحدة، وقنابل المدافع تؤز

فوق رؤوسهم منهمرة كالسيل ، فتشتت جيش ابن طلال، وتفرقت صفوفه، فهرب بعضهم إلى الجبل، والبعض الآخر إلى حصن "النيصية" وبينهم من تمكن من الهرب إلى حائل ، فتوجهت مدافع ابن سعود على من تحصن في "النيصية" حتى سلموا ، قال أحد الذين سلموا في الحصن "مدافعيتكم" ماهرون في الرمي قال الملك عبدالعزيز "لا لا كنا نضرب على النية في الظلام ، ولكنه توفيق من الله".

بعدما تحصن ابن طلال في قلعة البلد أرسل الملك عبدالعزيز بن سعود إلى أهل حائل، وطلب منهم التسليم ، فجاء ردهم بالتسليم على شرط يظهر أنه من إيحاء ابن طلال أن يكون أميراً عليهم "ماسلمنا ولا غدا الشر"، هذا شرط لايمكن أن يقبله الملك عبدالعزيز، ثم نقل الملك عبدالعزيز شوكة الحرب من "الجثامية" إلى المواقع الحساسة ، حول بلدة حائل من الجهة الشمالية الشرقية، والجهة الجنوبية -الطريق إلى القصيم- فاستولى على "عقدة" ، وهي من أهم تحصينات شمر،

حتى أحكم الملك عبدالعزيز الحصار علـى بلـدة حـائل، فاستاء الأهالي وانزعجوا، لأن الكثير منهم قد تذمر من ابـن طـلال واستبداده ، وإجبـاره لهـم علــى المجابهـة الخاسرة، والتعـرض للجـوع ، والقتـل، وهـم ليس لهـم رغبة في إمارته المبنيـة علـى الظلـم والجـور، وكـانوا يرجون من الملك عبدالعزيز ألا يضرب البلد بـالمدافع، ولمـا يئـس ابـن طـلال مـن أفـراد قبيلتـه ، وعـرف أن الإمارة لن تستقر له بمساعدتهم ، أرسل إلـى المفـوض السامي البريطاني بطلـب التوسـط مـع ابـن سـعود بمـا يضمن له بقاء إمارتــه ، فكتـب المفـوض إلـى حكومتـه وتأخرت الإجابة ، وطالت مدة الحصار حتى قـرب أن يدخل شهره الثالث، فكتب الملك عبدالعزيز إلىالموالين لـه فـي بلـدة حـائل "قد طـال الحصـار، وأقبـل الشــتاء فليعذرنا الأهالي إذا أنذرناهم ، لهم ثلاثـة أيـام ليسـلموا المدينـــة وعائلـــة الرشـــيد ، وإلا فنحـــن إلـــى غرضنــــا مسرعون بما نملك من قـوة ". فجـاء رد الأهـالي إنهـم ينفضـون أيديهـم مـن ابـــن "طـــلال" ، وبيـــت الرشـــيد،

ويسلّمون الحصون المحيطة بالمدينة، إذا جاءتهم سرايا من الجيش ، فأرسل الملك عبدالعزيز ألفين من الجيش، ففتح الأهالي لهم أبواب الحصون، ثم أمن الناس على أموالهم وأرواحهم ، وخرجوا إليه مبايعين شاكرين، ولما أدرك ابن "طلال" أن الأمر قد أفلت من يده تحصن هو وحاشيته في القصر، وطلب من الملك عبدالعزيز أن يؤمنه على حياته، وحياة أسرته، فأعطاه الملك عبدالعزيز ما طلب فاستسلم بعد حصار للبلدة استمر خمسة وخمسين يوماً[1].

وأما الحرب في حائل فقد تجاوزت السنة، توقفت خلالها المصالح ، وتعطلت السبل، فأصيب الأهالي بالفقر، والحاجة والعوز، ولكن الملك عبدالعزيز كان معه من الأرزاق، والمؤن، واللباس ما أنعم به عليهم، فأكلوا ولبسوا وأمنوا وانتهت مسرحية الرعب التي عاشوها إلى الأبد.

[1] من ٤ / ١ / إلى ٢٩ / ٢ / ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م.

ثم شاور الملك عبدالعزيز أهل الرأي والمشورة من أعيان البلد والعشيرة في تعيين أمير عليهم، فطلبوا أحد آل سعود، ولكن الملك عبدالعزيز رأفة بحالهم وتقديراً لوضعهم عين واحداً منهم "إبراهيم بن سبهان" وانتهت حال البؤس والشقاء التي بدأها أسلاف ابن رشيد الأول عبدالله بن علي بن رشيد عام ١٢٥١هـ[1].

---

(1) كان عبدالله بن علي بن رشيد على ولاء تام مع آل سعود ، وقد تزوج الإمام فيصل بن الإمام تركي ابنة عبدالله بن رشيد ، ولم يقع بينهما خلاف يذكر في حياة عبدالله بن علي بن رشيد فيما عدا مسألة سهلة كانت مع أهل القصيم ، فاستبد ابن رشيد برأيه ، وأرسل أخاه عبيداً فقام بحلها دون معرفة وموافقة فيصل ، فأثارت غضبه ، ولكن ابن رشيد اعتذر عنها بقصيدة عصماء ، فقبل فيصل اعتذاره ، وظل الوئام قائماً بين الأسرتين حتى توفي عبدالله بن علي بن رشيد عام ١٢٦٣هـ ، فجاء أسلافه من آل رشيد ، فلم يصونوا هذه العلاقة الطيبة ، ولم يحافظوا عليها ، وفرطوا فيها ، وكان أول مجابهة وقعت بينهما كانت في عهد محمد بن عبدالله بن رشيد الذي تولى إمارة حائل بعد قتله أبناء أخيه طلال ١٢٨٩هـ ، راجع عن هذا الكتاب أمراء وغزاة د/عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم ١٥٠ - ١٥٣ ، وكتاب إمارة آل رشيد في حائل محمد الزعارير ، ص٦٦.

- الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص٢٨٤ ، وراجع تاريخ ملوك آل سعود ١٢٩ - ١٣٦ الأمير سعود بن هذلول سلمت حائل وفتحها الملك عبدالعزيز في ٢٩ / ٢ / ١٣٤٠هـ - ابن هذلول.

ضم الحجاز إلى السلطة
الشرعية في نجد

تنكر الشريف الحسين بن علي لأصدقائه الأتراك ومال إلى عزف الإنجليز، ومغازلتهم له ، وكان وقتها متشبعاً بالشعارات الوحدويةالتي يلوح بها أبناء العرب، وكان يتطلع أن يكون "ملك العرب" كوريث للأتراك الذين أخذ ملكهم يتهيأ للزوال ، ولكن ابن سعود داهية عصره ، قد انتبه لمغزى هذا اللقب الذي يريد أن يتسمى به الحسين وخطورته، وكان قد اشتد الخلاف بينه وبين "الحسين" بسبب المناوشات التي حدثت وتحدث بين حين وآخر، وبسبب تحديد الحدود بينهما، فلا يريد الحسين أن يحرر اعترافاً رسمياً بذلك ، ولكن الإنجليز قد تعهدوا بضمان الحدود النجدية، وأن لا يتسمى "الحسين" بملك العرب، وكان الملك عبدالعزيز يخشى من الإنجليز أن يساعدوا الحسين؛ فانتزع منهم الحياد والاعتراف بحدوده ، وما كان يريد منهم المساعدة على إخضاع الحسين لمطالبه، ولما ضمن الملك عبدالعزيز بن سعود حياد الإنجليز، أثار مسألة تربة والخرمة، ثم استغل الملك عبدالعزيز خلاف أمير

الخرمة(خالد بن منصور بن لؤي) مع الشريف عبدالله بن حسين، حينما أعلن استقلال إمارته عن حكومة الحسين، ورفض أوامره، وطعنه في كفاءتها، فجهز له الحسين سرية فكمن لها الشريف خالد في "الحنو" فقضى على السرية بمساعدة الإخوان الذين أرسلهم ابن سعود لحمايته[1]، فأرسل الشريف سرية ثانية وثالثة ورابعة وكلها تتهاوى أمام ضربات الشريف خالد، ومن معه من الإخوان، وأما الخامسة فإنها لم تصل إلى معسكر خالد، فقد نزلوا في جبل "حضن" وبقوا شهرين ينتظرون الأوامر من الحسين، فانتشر بينهم الوباء، ومات أكثرهم، وكان وقتها قدسلمت المدينة المنورة للأمير(عبدالله بن الحسين) فتوجه بمعداته وجنوده إلى (عشيرة) حسب أوامر والده الحسين، ولما وصل عشيرة وجد والده ينتظره فيها، فاجتمع جنوده بها، فعقد الحسين مؤتمراً حثهم فيه على مواصلة الجهاد إلى الخرمة وتربة، فتوجهت تلك الجموع إلى حيث أمرهم

[1] راجع تاريخ ملوك آل سعود ، الأمير سعود بن هذلول ، ص١٠٩-١١٨ .

بقيادة عبدالله بن الحسين، فخالف الحسين بهذا نصائح الإنجليز بعدم تجاوز حدوده، والتفاوض مع ابن سعود، ولكنه ضرب بنصيحتها عرض الحائط[1].

وقبل أن نصل إلى تحرير بلدتي "تربة والخرمة" وإنقاذهما من الاحتلال نشير إلى ملابسات القضية وأسباب الخلاف عليهما ، كان الحسين يدعي أنهما حجازيتان لأن السيادة فيهما للأشراف ، ويدعي حمايتهما ورعايتهما مع أنهما نجديتان واقعتان شرق جبل "حضن" ، وجبل "حضن" من الناحية الجغرافية هو الحد الفاصل بين نجد والحجاز، وهو جبل شاهق الارتفاع بأعلى نجد، وهو أول حدودها، وفي المثل "أنجد من رأى حضنا" تبيض فيه النسور من علوه ، ويضرب فيه المثل بامتداد مناكبه ورحابة تكوينه، وهو الحد الفاصل بين نجد والحجاز، وتقع "الخرمة" بمسافة خمسين ميلا شرق "حضن"، كما أنها تقع فيما يعرف بنجد وسكانها قبيلة السبعان من بادية نجد، بعد أن

---

(1) وذلك في ١١/٣/١٣٣٧هـ - ١٥/٢/١٩١٩م .

طردتها (عتيبة) من الحجاز فجلت إلى نجد، وأصبحت محسوبة من قبائلها، وأما "تربة" فإنها تقع جنوب شرق "حضن" على بعد خمسة وسبعين ميلا منه، وسكانها من قبيلة "البقوم" وخليط آخر من القبائل التابعة للدولة السعودية ، وقد اتبعوا المذهب الحنبلي، ودخلوا في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولاشك أنهما بلدتان خارجتان من الناحية الجغرافية من حدود الحجاز، وأما من الناحية السياسية فإن الجزيرة العربية خاضعة لحكم آل "سعود" قبل حملات "محمد علي" وخروج ابن رشيد عامل ابن سعود وشقه عصا الطاعة، وقد جاءت أهمية هاتين البلدتين أنهما واقعتان في طريق التجارة بين نجدوالحجاز ومحطة تجارية لتجار"عقيل" وأميرالخرمة الشريف خالد بن لؤي من الموالين لابن سعود، والمحاربين لأشراف مكة[1]. فدارت مكاتبات بينه وبين الملك عبدالعزيز حول هذا الموضوع، وكان أسلوبه مع

---

[1] راجع معجم جبال الجزيرة العربية ، عبدالله بن خميس ، ص٥/٢٣٤ ، وكان الشريف قد توجه بالجيش من المدينة المنورة بعد فتحها إلى " تربة " في ١١/٣/١٣٣٧هـ - ١٥/٢/١٩١٩م.

الملك عبدالعزيز غير لبق، ومشوب بشيء من التهكم والاستهتار، تدرك من لهجته التهديد، ولكن الملك عبدالعزيز أخذه بطول البال، وسعة الحلم، ويرد عليه -أحياناً- رداً يخرجه من طوره ، وإن كان في غاية اللياقة واللباقة.

وسأورد لاحقاً مقتطفات مما دار بينهما من مكاتبات كدليل على سعة حلم الملك عبدالعزيز، وبرهان على نزق الشريف ، فإذا لم يجد الملك عبدالعزيز للحلم موضعاً اضطر إلى الحل الآخر، وهو الحرب الذي يحسم النزاع بالقوة ، وقد بعث إليه الملك عبدالعزيز بهذا الخطاب الذي جاء فيه (قد بلغني خلاف ما أخبرتني به سابقاً إنك عائد إلى مكة، مع أنك مهاجم "تربة والخرمة" ، وهذا خلاف ما أعلنتم للعالم الإسلامي ، واعلم أن أهل نجد لن يخذلوا إخوانهم، وأن عاقبة البغي وخيمة ، وخير لك أن تعود إلى "عشيرة"،

وأنا أرسل أحد أبنائي أو أخوتي للتفاوض، فتتم الأمور على مايرغب به الطرفان)، وماذا كان رد الشريف؟[1]

لقد رد الشريف على خطاب الملك عبدالعزيز -بعد الديباجة التي تقرأ بين سطورها التهكم - ، أظن أن صاحب الشوكة سيد الجميع -يقصد والده- له الحق في تأديب كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة[2] ، وعاث في الأرض فساداً يستحق التأديب شرعاً شخصاً واحداً أو أشخاصاً ، أما قولك أن الناس نفروا جميعاً لحربنا ، نحن لهم وهم لنا "يا عبدالعزيز" قبل أن ينزل أجدادك بنجد ، ولكل باغ مصرع ، ثم إنك تأمرني بالرجوع إلى ديرتي من أرض هي لأبي وجدي ، ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم؟ هل تذكر أن رجلاً من قريش، ثم من بني عبدمناف ، ثم من بني هاشم، جده النبي "صلى الله عليه وسلم"، وعلي بن أبي طالب ، يغمز له بالشنان ، ويروع بمثل هذه الأقاويل،

---

(1) لم يبق شاغل عن التنكيل بمن سعى للفساد والتخريب بين العشائر التابعة لحكومته ، وهذا تعريض بعبدالعزيز وتلميح للهجوم على "تربة والخرمة " ، الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص٢٤٩ .

(2) يقصد أن أهل " تربة " و" الخرمة " من رعاياهم وقد عصوا.

وأما قولك أن أهل نجد يرجحون الموت في سبيل الله على الحياة ، أليس من الأوفق لهم أن يأتوا معنا لحرب الأتراك في بيت الله ، ومسجد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" حتى ينالوا الشهادة ؟ ماالذي حملك على تغيير لهجتك السابقة ؟ أمن أجل أننا نؤدب رعايانا ونصلح ما فسد من قبائلنا ؟ وإن كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت ، فاردد الذين أمرتهم ببيع مواشيهم، وبنيت لهم الدور (يعني الهجر)، واترك مكانك الذي وصلت إليه، وانحر (اقصد واذهب) ديرتك ولن نمس أهل نجد بسوء بعدك[1].

زحف الشريف عبدالله بالجيش الجرار الذي يقدر عدده بسبعة آلاف مقاتل نظامي وهجانة من البدو، فدخل البلد دون قتال، ويقال إنه دخلها[2] بخدعة من البقوم الذين اصطحبهم من جبل (حضن) فادعوا أنهم جاءوا لنصرتهم من هجوم الجيش المتوجه إليهم،

---

[1] توقيع قائد عام الجيوش الهاشمية ، ٢٣ شعبان ١٣٣٧هـ .

[2] في ٢٤ / ٨ / ١٣٣٧هـ - ١٩١٩م.

ولما تمكنوا من حصون البلد انقلبوا عليهم وسلموهم للجيش المهاجم، وصاحوا الملك للشريف، وعند دخوله أحس ببعض المقاومة، فأطلق نيران المدافع والرشاشات على المقاومين ، فهربوا إلىالحرة جنوب البلد. استباح البلد ، وأمر بقتل بعض المشايخ ، واثنين من التجار النجديين ، ومصادرة أموالهم ، ثم كتب إلى رؤساء البادية يخبرهم بما حدث في تربة ، ويهددهم بمثله إذا لم يأتوا إليه طائعين ، ثم أخذ يهدد ويتوعد، فأرسل برسالة شفوية إلى الحملة القادمة من نجد بقيادة ابن بجاد وخالد بن لؤي ، قائلاً أخبر الخوارج ومن التف حولهم، بما جرى وقل لهم أننا سنكفيهم مؤنة القدوم إلى"تربة" ما جينا "تربة" من أجل "تربة" والخرمة فقط سنصوم في "الخرمة" وسنعيد عيد الفطر في الرياض وعيد الأضحى في الأحساء[1]. فوصل النجاب[2] بعد صلاة العصر القرينين فأحاط به

---

(1) تاريخ ملوك آل سعود ، الأمير سعود بن هذلول ، ص١١٢-١١٧ .

(2) الرسول المخبر أو حامل البريد.

قـادة الجيش السـعودي يسـتجلون الخـبر ، فشــق جيبـه وأخبرهم بما جرى وما تفـوه بـه الشـريف ، ثـم صـاح الإخوان ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وشدوا الرحــال "هبـت هبوب الجنة، وين أنـت يـا باغيهـا" سـاروا قبـل صـلاة المغرب في ذلك اليوم ، وكان عددهم ألـف وخمسـمائة مقاتل، وجاء النذيـر إلـى الشـريف (فقطـع رأسـه) ، أو قالوا ضربه رئيس العبيـد حتـى مـات، وكـان الشـريف مطمئن البال، واثقاً أنه فــي أمـن وأمـان، فوصلـوا إلـى "تربة" في منتصف ليلة ٢٥ شعبان، وكانوا ثلاث فرق: فرقة الخيالة ، وفرقة خالد بن لؤي ، وفرقة سلطان بـن بجاد ، فهجموا هجمة رجل واحد ، هجـم خـالد برجالـه على مخيم الأمير ، وسلاحهم الأبيض يلوح فـي ظلمـة الليـل البهيم ، فوجـدوا فــي طريقهـم السـرية الأولــى فهزموها وفر جميـع أفرادهـا الذيـن كتبـت لهـم الحيـاة، وكذلك فعلوا بالثانية، ثم هجموا على السرية التي تقـوم بحماية مخيم الأمير، ففتكوا برجالها ، وهجم سلطان بن بجاد على الفرق النظامية وراء " المحاجي" والمتـاريس

خلف المدافع فاشتعلت السيوف بالجنود كالنار في الهشيم، فوجدوا مأموري المدافع وراء المدافع مقيدين بالحديد حتى لا يفروا فقضوا عليهم ، ومن شدة الظلام وهول المفاجأة فتك جنود الشريف ببعضهم ظناً منهم أنهم يقتلون عدوهم، أما فرقة الخيل فقد قطعت عليهم خط الرجعة، فلم ينج من الحرس سوى الأمير، حيث هرب قبل أن يصل خالد ورجاله إلى سرايا المخيم الأميري، وسقط أعداد كثيرة منهم تحت سنابك الخيل، حينما حاولوا الفرار، ومن نجا من القتل بأعجوبة لجأ إلى حصون القرية ، فاتجة إليهم الإخوان في اليوم الثاني فكانوا وجبة للغد، وعبرة للمعتدين، وكتبت النجاة للشريف شاكر وشاب من الإشراف اسمه عون بن هاشم عمره خمس عشرة سنة ، وقد أخذوه معهم وكأنهم خارجين إلى نزهة لا إلى معركة يغزل فيها الموت خيوط الأكفان ، ولم ينج من جيش الشريف في هذه المعركة سوى قلة فروا إلى رؤوس الجبال وإلى فروع النخيل ، فكانت خسائر هذه المعركة فادحة،

وموجعة نتيجة تعالي الشريف ، وجهله ، واستكباره، وغروره ، وعجبه بنفسه ، وبعدده ، فاستولى الإخوان على كل أسلحة الجيش التي كانت معه والتي استولى عليها من الترك في المدينة حيث نقلوه إلى تربة ليسلموه إلى الإخوان بصناديقه، وجاء الملك عبدالعزيز بعد الوقعة بخمسة أيام، فلما رأى آثار المعركة آلمه ذلك ، ولم يسمح لرجال خالد بمواصلة السير إلى الطائف قائلاً "كفى الباغي جزاء بغيه"[1].

أخذ الشريف موقفاً عدائياً متجدداً ومتشدداً من حكام نجد بعد معركة "تربة" التي سحقت فيها قواته ونتفت زعانفه ، وأصبح من كبريائه في خجل، لايرفع طرفاً بقتال، ولايكتب حرفاً بإعجاب، وسقط مندهشاً ملتاعاً في أحضان المملكة المتحدة ، يستدر عطفها بالوقوف في وجه الملك عبدالعزيز بعدم مواصلة الزحف إلى الطائف، بعد أن هدم الإخوان أسوار غروره ، وإعجابه بنفسه ، ولكن الملك عبدالعزيز

---

(1) تاريخ نجد الحديث أمين الريحاني ، ص٢٤٤-٢٥٧ .

بإنسانيته الفذة ، وأريحيته المتناهية ، أوقف قواته عن الزحف إلى الطائف قبل تدخل الإنجليز ، بعد أن ترقرقت دمعته على وجنتيه حينما رأى هول المعركة بعد أيام من وصوله إلى مكانها ، فقد اهتال من فظاعة الأمر وساءه ، ولكن بعد فوات الأوان ، ثم قال كلمته أوقفوا الزحف يكفي الباغي جزاء بغيه ، تركه الملك عبدالعزيز يضمد جراحه ، ويوقف إن استطاع النزيف الذي مازال يثعب بالدم ، ويجمع شتات شمله ، ويفكر فيما ارتكبه من الخطأ الفادح، حين أعرض عن إخوانه الذين خطبوا وده ، ولم يسمع نصيحتهم ، ثم ارتمى مضطراً في أحضان عدوه ، الذي ظل ينصب له الشراك علّه يقع في الفخ حتى يطلب إنقاذه من صديقه، فيملي عدوه عليه الشروط ، وقف الشريف خمس سنوات يترنح من شدة الضربة ، لايقدم رجلاً ولايؤخر أخرى ، مشحونا بالحقد والكراهية ، متهيباً من قسوة السطوة ، وفظاعة الكرة ، إذ مازال كلمه يدمي ، وقد منع الحجاج النجديين من دخول مكة ، وأداء فريضة

الحج أكثر من خمسة أعوام ، ومسألة الحج أمر يشغل بال النجديين ، ويدفعهم إلى الحماس لتحرير الأرض المقدسة من الاستبداد والتحكم ، اشتكى المسلمون في نجد إلى الملك عبدالعزيز من الوضع الذي يفرضه عليهم الشريف المهزوم ، وملوا من الحال القائمة (لاحرب ولاسلم) وأبلغوا الملك عبدالعزيز أن صبرهم قد نفد ، وأن تحكم الشريف في المقدسات الإسلامية أمر لايمكن السكوت عليه ، فقال الملك عبدالعزيز "ما ادخرت جهداً لحل ما بيننا وبين الحجاز بالتي هي أحسن، ولكن الحسين كلما دنوت منه تباعد" فكان هذا إيذاناً من الملك عبدالعزيزبالحركة[١].

تحركت جموع الإخوان التي يقدر عدد أفرادها بثلاثة آلاف مقاتل تحركوا من "تربة" متجهين إلى الطائف بقيادة أمير الخرمة الشريف خالد بن منصور بن لؤي ، وسلطان بن بجاد بن حميد أمير "الغطغط" فوصلوا إلى "الحوية" قرب الطائف في أول صفر

[١] راجع الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ، الزركلي ، ص٨٣ .

١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م ونزلوا فيها، ولما علم الحسين بوصولهم ، أمر بتحرك الجيوش المرابطة بالطائف بملاقاتهم، وإيقاف تقدمهم، فخرج الجيش الهاشمي النظامي بقواته ومعداته وتصدى لهم، فدارت بينهم معركة ضروس في "الحوية" انهزم فيها الجيش الهاشمي، واعتصم بالجبال، ثم أخذ يطلق نيران مدافعه على الإخوان ، إلا أنهم أحاطوا بتلك الجبال من كل جانب حتى أصبح المدافعون في وضع حرج يشبه الحصار ، وبعد يومين من هذه العملية جاء المدد إلى جيش الشريف من مكة بقيادة "علي بن الحسين" وعسكر في جبال "الهدا" بالمنحدر المشرف على تلال مكة وسهولها، والتف مع من بقي من الجيش النظامي، ولكن الإخوان واصلوا ضغوطهم على المدافعين ، وفي ١٣٤٣/٢/٧هـ اقتحموا مدينة الطائف غير عابئين بدفاعات المقاتلين ، وانطلقوا داخل البلد يقاتلون من يعارضهم ، وهرب "عليّ" مذعوراً، ولما علم "الحسين" بهرب ابنه "عليّ" ووصوله إلى "عرفات"، غضب

غضباً شديداً ، وهرع يعد العدة لإعادة الكرة على الإخوان، واستعادة الطائف ، فلم شتات الجند الهارب، وأعلن النفير العام ، فتقاطرت النجدات على الأمير "علي" من جميع الجهات ، ثم عادت الجيوش إلى ساحة الحرب ، ولكن الأمر قد بلغ مبلغاً لايمكن السيطرة عليه، فهاجم الإخوان معسكر الجيش ، وإمداداتهم، وتجمعاتهم "بالهدا " ، وفي ليلة ٢٦-٢/٢٧ دارت بينهم معركة ضارية استولى فيها الإخوان على ثكنات المعسكر وما فيها من معدات وأمتعة ، وتفرق الجيش الهاشمي بالجبال، وفروا في حالة من الفوضى والاضطراب عبر المنحدرات الجبلية ، وفر معهم فئام من سكان الطائف خوفاً من سطوة الإخوان ، ثم هدأت الحال بعد المعركة، وبقي إخوان الفتح في الطائف ينتظرون الأوامر من قائد المسيرة الملك عبدالعزيز بالتحرك إلى مكة ، وهم في غاية الشوق إلى البيت الحرام، وفي هذه الأثناء عاد الأمير إلى أبيه بعد نجاته من الموت ، ولكنه اتجه إلى جدة خشية من غضب

والده عند المواجهة، إلا أن الملك حسين ، قد فقد السيطرة على الوضع المتردي بعد احتلال الطائف ، وأفلت الزمام من يده ، وأصبح الناس غارقة في الفوضى ، إلا أن الأمر الذي قد حل بالطائف ، وأهلها لم يعجب أعيان جدة ومكة، فقد رأوا أن أسباب المأساة التي حلت بالمسلمين هي عناد الحسين ، وغروره، وسوء تقديره، فقرر المجلس الوطني بعد المداولات أن بقاء "الحسين" في السلطة زعيماً للبلاد قد قاد استقرار البلاد إلى متاهات بعيدة من الاضطراب السياسي، والفوضى الاجتماعية، فقرروا عزله ، وإلزامه بالتنازل عن العرش ، والتخلي عن السلطة لابنه "علي"، وأبلغوه برقياً بهذه الرغبة، فرفض الحسين بشدة، وكاد يقضي نحبه من هول الصدمة، ولكنه أمر لا مناص منه، ولما لم يجد له ناصراً وافق على مضض، ولكنه أراد عرقلة الأمر وقتاً لعله يجد في المهلة ما ينجيه ، وطلب أن يختاروا شخصاً آخر غير ابنه قائلاً : "إذا كنت غير صالح فإن ابني مثلي ، وخير ابني وشره عائدان

لي"[١] ، لكنهم أصروا على قرارهم ، فاضطر بعد ستة أيام -لم ير فيها فرجاً- مكرهاً ومرغماً بالتنازل عن العرش ، والتخلي عن السلطة لابنه "علي" الذي اختاره المجلس الوطني ، وذلك في ١٣٤٣/٣/٤هـ ، وفي صباح يوم ١٣٤٣/٣/٥هـ تمت مبايعة الشريف "علي بن الحسين" ونودي به ملكاً على الحجاز فقط ، وبعد توليه الأمر نزل إلىمكة لاستلام البلاد وإدارة شئونها وتفقد القصور الهاشمية وخزائنها، وكان معه والده الحسين الذي غادر مكة متجهاً إلى جدة ، بعائلته، وخدمه ، وحشمه ، وثروته ، وكنوزه الذهبية[٢].

وجلس "الحسين" في جدة ستة أيام لايكلم أحداً، ثم أبرق له المجلس الوطني بكامل هيئاته ، بمغادرة البلاد

---

[١] وكان رفض الحسين اختيار ابنه للسلطة مبرراً عنده ، فإما أن يكون قصده عرقلة الأمر، والرفض بطريقة غير مباشرة ، لعله يتدبر الأمر، وهذا أقرب من أن يكون قد حسد ابنه ، والأمر الثاني أن يكون مشفقاً على ولده من أن يقع في الفخ الذي نصبه لمن قد يأتي بعده ، فهو إرث متهالك ، قد تصدعت أركانه ، وانهد بنيانه ، ولايريد لولده وفلذة كبده أن يقع في هذا المأزق .. وكلاهما حائز.

[٢] يملك الحسين ثروة طائلة قيل إن الذهب الذي حمله معه من مكة إلى جدة بلغ حمل عشرين بعيراً – أربعين تنكة (صفيحة) ، ويقدر ما فيها بمائة وستين ألف (نيرة) جنيه ذهب إسترليني ، وهذه ثروة لايملك مثلها في وقته أحد وخاصة في الجزيرة العربية قد جمعها من قوت شعبه وحجاج بيت الله.

بسـرعة ، تهدئـة للوضـع المضطـرب ، وفـي يـوم ١٣٤٣/٣/١٦هـ نـزل بعوائلـه ، وحاشـيته ، وعبيـده ، وكنوزه ، وثروته ، وركب البحر على (اليخت) السفينة (الرقمتين) التـي تملكها حكومـة الحجاز متجهـاً إلـى العقبة، ومنها نقل إلى قبرص بأمر من بريطانياً، باتفاق مع "الملك عبدالعزيز" حتى لا يغري وجوده في العقبـة الجيش السعودي بالتوجـه إلـى العقبـة واحتلالهـا ، وقـد اشـترطت عليـه أن يكـون للبـلاد مجلسـاً نيابيـاً وطنيـاً وقانونـاً أساسياً للحكم ، تضعه جمعيـة تأسيس المجلس الوطني النيابي ، كما قررت الأمة تشـكيل هيئـة مؤقتـة لمراقبة أعمال الحكومة الجديدة[1].

وبعد سقوط الطائف حاول قائدا الجيش "خالد بـن لؤي" و "سلطان بن بجاد" النزول إلـى مكـة محرمين ، منكسي السلاح ، فإن عارضهم أحد لصدهم عن البيـت حاربوه ، فأفتى علماء نجـد بأنـه لا يجـوز دخـول مكـة بقصد القتال ، وأمروا بالانتظار حتى يدخلوها حجاجـاً

---

(1) راجع تاريخ نجد الحديث ، الريحاني ، ص٣٤٠ .

غير محاربين، ولكن الشريف حسين حين تخلى عن السلطة، وتولى ابنه "علي" من بعده ، أدرك أن النفوس قد تغيرت ، وأن الوضع أصبح في حكم المبؤس منه، فترك مكة واتجه إلى جدة ، ولما بلغ الخبر "خالد بن لؤي" و"سلطان بن بجاد" وكانا قد أرسلا من يؤكد الخبر ، فاتضح لهما أنها خالية من الدفاعات العسكرية، فدخلت الكتائب السعودية محرمين ملبين في ١٧/٣/١٣٤٣هـ (١٦ أكتوبر ١٩٢٤م) فطافوا بالبيت حول الكعبة وأدوا مناسك العمرة ، ثم بسطوا نفوذهم على البلد بعد حل الإحرام ، وأبلغوا الملك عبدالعزيز بهذه الخطوة الجبارة، فوجه إلى العالم الإسلامي بياناً تاريخياً ، قال فيه "لقد دخلت جيوشنا مكة في السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ ، وأننا مغتبطون أشد الاغتباط للاحترام الذي بدأ نحو الأماكن المقدسة ، وكان بمقدور الفاتحين لو أرادوا أن يشقوا لهم طريقاً بالقوة، ويدخلوا البلاد عنوة ، ولكنهم أبوا إلا احترام الأماكن المقدسة ، فلم يسفكوا دماء أحد، احتراماً لتراثنا

المقدس ، ولقد قضينا على الظلم ونشرنا العدل في ربوع البلاد، وليس أشهى إلى قلوبنا من إقبال المسلمين على الحج من أنحاء العالم الإسلامي، الطرق المفتوحة في وجوهكم أيها المسلمون ، ولن يتعرض لكم أحد بسوء ، فاطمئنوا كل الاطمئنان ، ونحن أنفسنا سنذهب إلى مكة لنجتمع بالوفود الإسلامية التي نرحب بها ، وقد آلينا على أنفسنا أن نعيد إلى الحج ازدهاره ومجده القديم ، وإلى المسجد الحرام أمنه واستقراره، وسيعقد مؤتمر إسلامي لتقرير النظام الذي يجرى تطبيقه في الأماكن المقدسة.

وكتب إلى ملوك المسلمين وأمرائهم المستقلين، إنه منتقل إلى مكة لنشر السلام بين أمم الإسلام، ثم جمع العلماء والأمراء والقادة ، وخطب فيهم قائلاً : "إني مسافر إلىحرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع ، ويجب أن تطأطأ جميع الرؤوس له، إن مكة للمسلمين كافة، فيجب أن يكون أمر إدارتها وتنظيمها طبق رغائب

العالم الإسلامي، إننا سنجتمع بوفود العالم الإسلامي هنا، وسنتبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله، إن الحجاز سيكون مفتوحاً لكل من يريد فعل الخير من الأفراد والجماعات"[1].

رافق الملك عبدالعزيز في هذه المسيرة الميمونة إلى مكة على الرواحل جموع غفيرة من الأعيان، والعلماء، والفرسان، في مسيرة تاريخية خالدة، تشق قلب الصحراء بضجيجها ووجيبها، استمرت أربعة وعشرين يوماً، وكان موكباً مهيباً، يقرأ فيه القرآن، ويرفع الآذان، وتقام فيه الفرائض بأوقاتها، وتحف به مجالس الذكر، وتلقى فيه الدروس بعد كل صلاة، وتنشد فيه الأشعار، وتلقى الكلمات والمواعظ، ويُذكّر المشايخ دبر كل صلاة، وفي الليل الذي طال فيه السرى ومل الحادي، نادى المنادي على العجيري، فإذا قربت راحلته من راحلة الملك عبدالعزيز شرع في

---

(1) موعد مع الشجاعة، قدري قلعجي، ص٢٠٤-٢٠٥.

قراءة القرآن، ثم فصلاً من كتاب أدبي، فقد كان العجيري يحفظ كثيراً من كتب الأدب والشعر، كالأغانِي ، والبيان والتبيين والكامل، وكثيراً من دواوين الشعر.

وفي السابع من جمادى الأولىمن السنة نفسها[1]، أطل الموكب المهيب على البطاح المقدسة ، فترجل الملك عبدالعزيز عن راحلته مكشوف الرأس حافي القدمين مرتدياً لباس الإحرام الأبيض ، أعزل من السلاح، فشق طريقه وسط زحام شديد، وجموع غفيرة متراصة ، غارقة في صمت رهيب ، ثم دخل البيت الشريف من باب السلام اقتداء بالنبي "صلى الله عليه وسلم" قائلاً اللّهم أنت السلام ومنك السلام ، خاشعاً متذللاً مردداً الثناء على اللّه "الحمد للّه وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده"، ثم طاف حول الكعبة الطواف المشروع، وسعى بين الصفا والمروة ، وبعد أن أدى مناسك العمرة، أقبل

---

(1) عام ١٣٤٣هـ – ديسمبر ١٩٢٤م .

أعيـان مكـة ومـا حولهـا مهنئيـن ومبـايعين ، فـأرادوا كعادتهم عند السلام تقبيل يده فرفض وقال: "هذا سـلام الأعاجم ، أما نحـن فليس مـن عاداتنـا إلا المصـافحـة، وكذلك كان الصحابة يفعلون مع رسول الله–صلى اللـه عليه وسلم– وهم لنا قدوة حسنة ".

فـاندهش القـوم مـن تواضعـه، ومحبتـه لإخوانـه، وهنأ بعضـهـم بعضـاً بهـذا الفتـح المبيـن، والعهـد الـذي يبشـر بـالمزيد من الاسـتقرار، والخـلاص مـن ربقـة الاسـتعباد والـذل ، ثـم دعـا الملـك عبدالعزيـز إلـى الاجتماع بالأهالي والأعيان، وألقى فيهم خطبـة جامعـة جاء فيها، " إن أفضل البقاع هي البقاع التـي يقـام فيهـا شرع الله، وأفضل الناس من اتبع أمر الله ، وإن لهـذا البيت شرفه ومقامه، منذ رفع سمكه سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وقد عظم العرب أمره في جـاهليتهم ، فتعـالوا نتعاقد ونتحد:

إن الفضول تعاقدوا وتعاهدوا

أن لا يقر ببطن مكة ظالم

والله وبالله وتالله ورب هذا البيت ! لقد كان من أحب الأمور عندي أن يقيم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك ولا يعمل لإبادتنا من الوجود، فأجيئه مع الوافدين أحب (أقبل) على يده وأساعده في جميع الأمور، لاينفعنا غير الإخلاص في كل شيء، الإخلاص في العبادة لله وحده، والإخلاص في الأعمال كلها، والذي أبغيه في هذه الديار أن يعمل بما في كتاب الله وسنّة نبيه في الأمور الأصلية، أما في الأمور الفرعية، فاختلاف الأئمة فيها رحمة" إلى قوله "والآن أنا بذمتكم وأنتم بذمتي، إن الدين نصيحة، وأنا منكم وأنتم مني، وهذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فردونا عنه، وسلونا عما يشكل عليكم فيها، والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة، أننا لم نطع ابن عبدالوهاب وغيره إلا في ما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله، أما أحكامنا فهي طبق اجتهاد الإمام أحمد بن حنبل، إذا كان هذا مقبولاً عندكم تعالوا

نتبايع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده"[1].

ثم طلبوا الاجتماع بعلماء نجد فوافق علــى ذلـك، فاجتمع سبعة من علماء نجد بخمســة عشـر مـن علمـاء الحجاز وبحثوا المسائل الدينية، والاجتماعية التي تدور في الساحة العلمية وتباحثوا في الأصول والفروع ، ثــم أصدر علماء مكة مــا توصلـوا إليـه فـي مباحثـاتهم فـي بيان جاء فيه ، "قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد فـي مسـائل أصوليـة منهـا: مـن جعـل بينـه وبيـن اللـــه وسائط من خلقه ، يدعوهم، ويرجوهم في جلب نفع، أو دفع ضر فهذا كافر يسـتتاب ثلاثـاً فـإن تـاب وإلا قتـل، ومنهـا: تحريـم البنـاء علـى القبـور وإسـراجها، وإقامـة الصلاة عندها لأن في ذلك بدعة محرمة في الشـريعة، ومنها: من سأل اللـه بجـاه أحـد مـن خلقـه فهـو مبتـدع مرتكب حراماً في هذه المســائل تباحثنـا واتفقنـا فـاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علمـاء الحـرم الشـريف وبيـن

---

[1] تاريخ نجد الحديث لأمين الريحاني ، ص٣٧٣-٣٧٤ .

أخواننا أهل نجد" ، فاتضح لهم بعد الاجتماع أن العقيدة الإسلامية واحدة ، وأن الدين لا يتغير في كل زمان ومكان، وإن الدستور هو القرآن وأن السنة تفسره، وأن المعول على عقيدة السلف الصالح ، وأن ما قيل عن علماء نجد من أقوال سيئة محض افتراء وتضليل يقصد منه زرع الخلاف والفرقة بين المسلمين، ثم حاول أناس من المتطوعين من البعثات الدبلوماسية التدخل في حل النزاع ، والتغلب على مصاعب الوضع القائم بين الملك عبدالعزيزوالشريف(علي بن الحسين)، وتحليل الأسباب والمواقف التي أعاقت الاتفاق بين الطرفين ، فأبدى الملك عبدالعزيز استعداده لذلك، حرصاً منه على حقن الدماء، وجمع الكلمة ، ولما بدأت الرؤية تتجه تجو الموضوعية واستبشر الناس بالانفراج الذي لمع نجمه ، حلقت إحدى طائرات الملك "علي بن الحسين" على مكة وألقت منشورات تدعو المواطنين إلى الثبات ، والتزام الهدوء ، لأن طائرات الشريف سوف تمطر العدو (الجيش السعودي) بوابل

القذائف، فاضطرب الناس ، وعادت حالة الطوارئ بين السكان من جديد ، وآثار التحول موجة عارمة من السخط والاستياء والذعر، فتوقف الساعون بالصلح عن مسعاهم ، وهرعوا يبحثون لهم عن ملجأ يحميهم من القنابل المنتظرة التي سوف تلقيها طائرات على بن الحسين ، "فتحركت القوات السعودية نحو جدة استعداداً لاستقبال القذائف النارية التي سوف تمطرهم بها تلك الطائرات، ولما سأل جماعة الوساطة الملك عبدالعزيز" عن هذا التحول السريع من الرغبة في السلم إلى الحرب، أجابهم الملك عبدالعزيز" بأن الشريف قد دعانا للمناجزة في منشوراته التي ألقيت علينا بمكة ، فلبينا نداءه ، ولا نريد أن نحمل الشريف مؤنة القدوم إلى الحرم ، فزحفنا إليه ، وأمرنا أن يكون قسم من جنودنا على كثب منه ليراهم ، فليبر بوعوده إذا كان من الصادقين.

وبعد انتشار المنشورات التي ألقتها الطائرات عقد (الملك عبدالعزيز) في ١٣٤٣/٦/٤هـ بحي

الشهداء مجلساً حربياً برئاسته ، حضره جميع قواد الكتائب في القوات القتالية ، وفصائل الإخوان ، فتكلم القائد سلطان بن بجاد مخاطباً الملك عبدالعزيز " أننا نعلم أن لا صلاح في أمر دين ودنيا للمسلمين عموماً ولهذا البيت وأهله خصوصاً بوجود الحسين وأولاده في الحجاز، فإذا كان هذا ثابتاً عندنا ونعتقده دينا فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟ فإن كنت تخاف على أحد من رعايا الأجانب أو أحد من أهل جدة فلك منا العهد والميثاق أننا لا نمسهم بشر - إلا من برز منهم لقتالنا أو بلانا بنفسه ، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه، والآن فلابد لنا من أحد أمرين: الأول أن تعلمنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الأمر ، الثاني إذا كنت لا توافق على الزحف لما تراه من الأمور التي أنت أعلم بها منا، فلا يجوز أن نظل بعيدين عن أعداء الله هذا البعد ، بل يجب أن نقترب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم، أما الأمر الأول فهو مرادنا، وأما الثاني فليس إلا

مرضاة لخاطرك "ياالإمام" لأن الله أوجب علينا طاعتك".

ثم تحدث الشريف خالد بن منصور بن لؤي أمير مكة من قبل الملك عبدالعزيز فقال: "ياعبدالعزيز أني أقول كلمة وأن كانت تغيظك ، كنا نتحدث فيما بيننا ونقول: قد بدل عبدالعزيز الشجاعة بالجبانة وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه ، أما اليوم فصرنا نقول: ليته ظل في بلده بعيداً عنا فإن كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فبينه لنا حتى نتبعه ، وما نحن إلا خدام الشرع ، وإذا كان لا قصد لك غير الشح بأنفسنا عن الموت ، فما من أحد يموت قبل يومه، وما نتمنى والله إلا أن نموت شهداء ، فأي قتال نراه أفضل من قتال الحسين وأولاده ؟ وأي عمل جاء فيه الضرر للإسلام والمسلمين أكثر من عمل الحسين وأولاده ؟ " [1].

وعلى إثر هذا تحركت بعض فصائل القوات متجهة إلى جدة.

---

[1] المرجع السابق ، ص٣٩١ – ٣٩٢ .

حصار جدة حتى التسليم

بعد مبايعة الملك "علي بن الحسن" ملكاً على الحجاز ومغادرة الحسين إلى العقبة أرسلت الحكومة الهاشمية إلى الملك عبدالله في عمان أربعين ألف جنيه ذهباً لصرفها في التجنيد وشراء أسلحة من أوربا وخصوصاً طائرات وسيارات مصفحة ، فجاء إلى جدة من الأردن وفلسطين ألف مجند وذلك في شهر ربيع الأول ، ثم تلتها فرقة أخرى في شهر رجب ، وفي رمضان بلغ عدد الفرق سبعمائة وثلاثين مجنداً وبهذا بلغ عدد المجندين المرتزقة من جهات الأردن ألف وسبعمائة وثلاثين مجنداً ، ولكن هذا العدد تعرض لعدد من الأمراض والأوبئة والقتل فتناقص العدد بسبب هذه الآفات كما يوجد مثل هذا العدد من البادية الذين مازالوا على الولاء الهاشمي[1] ، أما الطائرات فإن حكومة جدة تملك

(١) وأما المصادر المالية فإن الخزينة قد نفدت وأصبح ليس للحكومة مصدر تمويل غير " الحسين " في العقبة ، فقد أرسل على اليخت "الرقمتين " في شهر رجب صندوقين فيهما خمسة عشر ألف جنيه ذهباً ، وجاء في رمضان مثلها ، وفي شوال وصلت الباخرة "رضوى" من " العقبة " وفيها عشرون ألف نيرة ذهب مساعدة للجيش ، كما فرضت الحكومة على تجار جدة اثني عشر ألف نيرة ذهباً ، ثم أبعد الإنجليز "الحسين" من العقبة إلى قبرص ، وفرضت عليه نوعاً من الحصار والتحفظ ، فلم يستطع بعدها إرسال سوى خمسة آلاف نيرة ، ثم توقف مرغماً أو يائساً من النصر ، فلجأ الملك "علي بن الحسين" لرهن عقاراته في مصر ، مقابل اقتراض مبلغ خمسة عشر ألف نيرة ذهباً ، وهذه المبالغ زهيدة بالنسبة للمصروفات التي يجب أن تتم على المحاربين المأجورين ، والجنود النظاميين ، ناهيك عن الغلاء الفاحش الذي سببه الحصار، فأحس بالضائقة المالية التي ضيقت عليه الخناق ، وزادت مشكلاته السياسية تعقيداً ، إذ لا سلطة بدون مادة ولا حرب بدون عتاد وعدة.

خمس طائرات حربية إيطالية لا يصلح للعمل منها سوى واحدة ، ثم جاءت دفعة أثناء الحصار من ألمانيا، ست طائرات جديدة مزودة بالمدافع الرشاشة ، مع القنابل الجاهزة للتفجير، إلا أنها غير عملية ، والذي قلل من فاعلية سلاح الطيران نقص الوقود، وأحياناً فقده نهائياً ، وعدم وجود طيارين وطنيين، كما يوجد عدد من السيارات المصفحة التي أفادت كثيراً في المعركة أكثر من الطائرات ، لأنها تستطيع أن تتوغل في ميدان المعركة ، وداخل معسكرات العدو وتضربهم بالمدافع المزودة بها.

أماسلاح المدفعية فكان في الاستحكامات المضروبة على جدة اثني عشر مدفعاً من أحجام مختلفة، وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل ، وجاء من ألمانيا مصفحتان، وعشرة رشاشات، وألف وخمسمائة بندقية، فأصبح على خط الدفاع نحو عشرين مدفعاً، ومايزيد على ثلاثين رشاشاً، كما يوجد لدى الجيش الهاشمي قنابل مضيئة تكشف مواقع العدو

بالليل، وكانت حقول الألغام المزروعة على خط الدفاع من الدفاعات التي يجهلها الطرف الآخر والأسلاك الشائكة التي يقع فيها العدو بالظلام، وهذه من الأسباب التي أطالت وقت الحصار، ورفعت الخسائر في الأرواح وفي عدد المفقودين.

وكان الملك عبدالعزيز قد أمر وهو في الرياض بفتح الطريق إلى البحر ، حينما أغلق من جهة جدة، فكانت (القنفدة) أول الثغور التي فتحتها جيوشه في عسير، ولكن القنفدة تبعد كثيراً عن مكة، 'والليث'[(1)] أقرب منها ، فبادرت القيادة السعودية إلى فتحها ، وقد لقيت القوات التي قامت بهذه المهمة بعض المقاومة من أشراف الحجاز آل حسين ، وبعد ملاحقتهم من قبل رجال الفتح انهزموا وفر الكثير منهم بعد هزيمتهم، وسلم الباقي ، فأصبحت تحت سلطة الملك عبدالعزيز، أما رابغ فإنها قد عصت وتمرد عاملها ابن مبيريك، وحاول التملص ومتابعة العصيان، ثم وفد على خالد

---

(1) الليث تبعد ٩٠ ميلاً عن مكة ، ورابغ كذلك ٩٠ ميلاً إلى جدة / ١١٠م إلى مكة.

بن لؤي أمير مكة من قبل الملك عبدالعزيز، وأعطاهم الأمير الأمان إذا توقفوا عن نهب الحجاج، ومنعوا طوائفهم من هذه القرصنة، وأعطاهم الملك عبدالعزيز رواتب شهرية إذا كفوا عن عملية النهب والسلب، وفي أثناء ذلك شكا أهل مكة الجوع إلى الملك عبدالعزيز وقلة المؤن، وما يعانيه السكان من الشدة، والضيق، وغلاء الأسعار، وقلة الأقوات، وقلة ما في اليد، فطمأنهم بأنه قد عمل ما يلزم لمنع الاحتكار، وتوريد الأقوات عن طريق "الليث"، وعليهم بالصبر حتى ترد الأرزاق من الثغور التي أعدت لذلك، ولا تخافوا يا أهل مكة من رجالنا أن يأكلوا ما عندكم، فإن التموين يأتينا من نجد، ولا نعتمد على ما يوجد في بلادكم، وأسواقكم التجارية، ونحن أهل نجد نكتفي بالقليل، وكتب أهل مكة إلى الشريف علي بجدة يستعطفونه بعدم منع الأرزاق التي تأتي إليهم من جدة، واستأذنوا الملك عبدالعزيز بإرسال الاحتجاج إلى'الشريف علي' بجدة، فأخبرهم الملك عبدالعزيز بأنه لايفيد علي لا

يسمع شكواكم، وقد يظنها شكوانا ملبسة، ولكن تطييباً لخواطرهم أخذه الملك عبدالعزيز وأرسله إلى 'الشريف علي' بجدة[1].

" وقد قالوا فيه: ما السبب في التضييق علينا ؟ فإن كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فلسنا المسئولين في دخولها مكة، ولا قوة لنا على إخراجها، إننا نسألكم واحداً من أمرين: إما أن تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى تفتح لمكة طريق رزقها، أو ترتأوا شيئاً من الأسباب التي تمكننا من جلب معاشنا "، فرد الشريف عليهم بأن هذا العمل تقتضيه القواعد الحربية وأنه لم يمنع الأرزاق إلا مكرها قاصداً بذلك إضعاف" مركز العدو وعدم تموين جيوشه. أما شكوى الأهالي إلى الملك عبدالعزيز من مضايقات الإخوان لأهل مكة بسبب ممارسة بعض السلوكيات المخالفة للشرع[2] ، فقد نظم الملك

---

(1) نقل بتصرف من كتاب الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، ص٣٧٨ .

(2) مثل شرب الدخان ، والنارجيله (الشيشة) والتهاون في أداء الصلوات الخمس.

عبدالعزيز هذا الأمر ، وقرر غرامة مالية على المخالفين، وأمر بالتنبيه للصلاة في أوقاتها ، وأداءها جماعة في المساجد، ومعاقبة من يتخلف عن ذلك[1] ، وكلف خالد بن لؤي لمتابعة الإخوان ، وتطبيق التعليمات ، والأوامر ومحاسبة المخالف، وهذه لفتة من الملك عبدالعزيز، وتنظيم الشئون الداخلية التي تأتي خطوة خطوة ، وحسب مقتضيات الأحوال ، ولكل حادث حديث ، ولكل مسألة قاعدة[2].

كما ورد إلى الملك عبدالعزيز خطاب من قناصل الدول بجدة ، يطلبون من الملك عبدالعزيز حماية البعثات الدبلوماسية ، ورعايا بلادهم ، والمحافظة على حياتهم ، وأموالهم ، ويحملونه مسؤولية الاعتداء عليهم من أي طرف مع أنهم سوف يلزمون الحياد مادامت رعاياهم في أمان.

---

(1) أما السب والشتم فقد نهى الإخوان عن ذلك.

(2) المرجع السابق ، ص٣٧٩-٣٨١-٣٨٢ .

وقد غضب الملك عبدالعزيز من مجموعة الرسائل التي جاءت مع خطاب القناصل من مستر "فلبي" و"طالب النقيب" و"أمين الريحاني"، حيث جاءت في وقت عصيب، وفي ساعة حرجة ، ثم اطلع الملك على رسائلهم ، واتضح أنهم إنما أرادوا إصلاح ذات البين بصفاتهم الشخصية لا الرسمية، فارتاح الملك عبدالعزيز لذلك، وكتب لكل واحد منهم الجواب اللازم.

ثم وصلت الأخبار إلى الملك "علي بن الحسين" بأن ابن سعود بدأ بنقل المخيم من الأبطح بمكة إلى "بحرة" في طريق مكة –جدة– ، ثم وصله الخبر الثاني بأن ألفاً من جنود ابن سعود، قد وصل إلى 'حدة'! ومعنى هذا أنهم قادمون لا محالة ، ثم توالت الأخبار المزعجة بأن الإخوان قد تركوا بحرة وراءهم وتقدموا إلى ما وراءهم الرغامة ، والملك 'علي' مجرد مستمع مشحون بالهم ، وقد فقد أعصابه ، وضاعت أفكاره، وكاد زمام السلطة أن يفلت من يده، ثم تواترت الأخبار بأنهم فعلاً قد وصلوا إلى السهول بين 'جدة' وجبال

الحجاز (الوزيرية والرغامة) ، ثم امتدت معسكراتهم إلى نزلة بني مالك ، والنزلة اليمانية ، وكان الأشراف قد سبقوا الأحداث فأحاطوا 'جدة' باستحكامات من جميع الجهات ماعدا جهة البحر، ((وقد أحاط الشريف جدة بخطي دفاع من البحر إلى البحر على شكل هلال، محيط الخط الأول يقرب من ستة أميال (١٠كيلو مترات) بمافيه من استحكامات وحقول ألغام، وخنادق، وأسلاك شائكة، وسياج حديدي، ولا مدخل لمدينة "جدة" إلا من بوابة مكة وبوابة الشام ، وأما من جهة البحر فإنها مفتوحة وترسي فيها السفن الكبيرة والصغيرة، وتستقبل التجارة ، والمدد من الجنود والعتاد، ولهذا فإن الحصار لا يضر بها كثيراً لو كان الشريف على صلة ودية مع الآخرين ، ولكنه عادى الكل وانقطعت عنه الإمدادات حتى من أقرب الناس إليه في شرق الأردن والعراق ، وكذلك التجار الذين أوقفوا استيراد البضائع خوفاً من مصادرتها في الحرب ، وقلة الأموال التي يشتري بها الأهالي لأن التجارة توقفت بعد

الحصار))[1] ، "خرج الملك "علي" وحاشيته بمناظيرهم يتراؤون الجيوش الجرارة التي غطى غبارها سماء 'جدة' ، ثم أخذت مدافع الحاميات تطلق نيرانها باتجاه معسكرات الإخوان، فجال الإخوان في ذلك جولات عدة والقنابل تتفجر من بينهم وبعضها وراءهم وكأنهم لايرون شيئاً غير عابئين بتلك القنابل لأنهم جاءوا يطلبون الشهادة [2].

وحرر الإخوان في أواخر جمادى الآخرة "النزلة اليمانية" ونزلة "بني مالك" ، و" الرويس" ، كما ظلوا مرابطين أمام الجناح الأيمن للمقاتلين الحجازيين للجهة الجنوبية من خط الدفاع ، وفي أغلب الأوقات يصطدمون ببعض الفصائل من الجيش الهاشمي ، وبعد احتلال "الإخوان" لمواقع المياه بدأوا بحفر الخنادق والمتاريس والاستحكامات الرملية بأكياس من الرمل ، وشدوا في حرب الجنود النظامية بالبنادق والرشاشات،

---

(1) الريحاني ، ص٣٥٨ .

(2) تاريخ نجد الحديث ، أمين الريحاني ، ص٣٩٥ .

ثم يقول الريحاني وكانت هذه أول مرة على ما يظن، حارب الإخوان حرب الخنادق بطريقة منظمة[1].

وكان الإخوان يكثفون من غاراتهم في ظلام الليل ، فأثارت غاراتهم المتواصلة مخاوف الأهالي، وأرهبوهم، وكانوا كل يوم يقتربون من خطوط الدفاع، حتى إنهم اجتازوا الأسلاك الشائكة، وعطفوها بأيديهم، وجاءوا بها إلى معسكراتهم ، ومازالوا يقربون من "جدة" حتى وصل رصاص بنادقهم إلى القصر الملكي الذي يقيم فيه الشريف 'علي بن الحسين' ، وكانوا يتعرضون لسلاح المدفعية ، ولكن لايثني عزيمتهم، ولايتبرمون من الخسائر التي يتكبدونها في هجومهم، حتى أدخلت شجاعتهم الرعب في قلوب الأهالي الذين

---

(1) المرجع السابق ، ص٤٠٦ .

وفي ٢٣ جمادى الآخرة حلقت طائرة حربية فوق "الرغامة" قيادة الطيار الروسي (تشاريكوف) وكان يرافقه في الطائرة المراقب الضابط السوري اللاذقي والكاتب الصحفي (عمر شاكر) الذي حشر نفسه مع هؤلاء المحاربين فأخذ القنبلة بيده يريد أن يقذف بها فوق تجمعات الإخوان حتى يختص بالأجر والثواب ، ولكن الأجر الذي ركب من أجله الخطر ، فاجأه في الحال ، فانفجرت القنبلة بيده قبل أن يرسلها إلى الإخوان ، فكان السبب في تفجير الطائرة بمن فيها فلقي حتفه رغم أنفه – والعاقبة للمتقين – وكانت هذه ثاني طائرة يفقدها سلاح الجو الهاشمي ، حيث سقطت قبلها طائرة فوق جبال الطائف ، وقد حلّقت فوق تلك الجبال قاصدة ضرب تجمعات الإخوان.

ضجوا على الملك ضاغطين عليه بالتسليم، والسماح لهم بركوب البحر، هربا من هجوم الإخوان، ودخولهم المنتظر بين عشية وضحاها، وكانوا يسهرون الليالي بالاستماع إلى عزف السلاح، وصدى الانفجارات.

وكان معظم المحاربين من البادية في الكتائب الهاشمية يظنون أن النصر لايكون إلا تحت راية الأشراف الهاشمية ، وآخرون وافدون مخدعون مرتزقة ، ظنوا أنهم سيذهبون إلى نزهة برية ، بأجور شهرية ، جاءوا من جهات فلسطين ، وشرق الأردن، جندهم الملك عبدالله، فوقعوا في المصيدة،ولم يعوا أنهم لن يتمكنوا من الهرب ، وأن عودتهم أسوياء مرهونة بانتصار الشريف أو العودة في التوابيت الصامتة.

اشتدت المعارك في الليالي المظلمة في شهري رجب وشعبان، وفي النهار يتبادل الطرفان إطلاق النار، في ميدان تتراوح أبعاده بين أربعة ، وثلاثة أميال، بواسطة المدفعية ، التي أصبحت في آخر الأمر مثار فضول الأنظار من الأهالي الذين تكيفوا مع

أصوات البنادق، وهدير المدافع المتردد صداها بين جبال الحجاز، شرق جنوبي جدة ، التي تحمي السهول الواسعة.

وخلال هذه المدة كان الإخوان يزحفون بالمتاريس ، فكل يوم يقدمونها نحو البلد ، حتى بدأت قذائف مدفعيتهم تتفجر داخل البلد ، وتصيب المباني العالية ، ولم تسلم من الإصابات الوكالة البريطانية، والوكالة الروسية ، والقنصلية الفرنسية ، والهلال الأحمر ، فقد أصيبت هذه المواقع إصابات بالغة، وعلى الرغم من إصابة مراكز الدول ، فإن هذه الإصابات غير المقصودة لم تدفعهم أن يتدخلوا أو يتحولوا عن الحياد الذي التزموه منذ بداية الحرب ، وكان تبادل إطلاق النار يستمر من الصباح حتى المساء ، وإذا مرت ساعة أو ساعتان في راحة استأنفوا العمل بعدها، ولما نصبت حملة الإخوان مدفعاً في الرويس أصابت قذائفه الساحل من الغرب ، فاشتد خوف السكان،

وأخذوا يتزاحمون على المراكب للهجرة حفاظاً على أرواحهم التي أصبحت تحت تهديد مدفعية الإخوان.

ولما اقترب الخصمان من بعضهم اشتد القتال، واشتعلت نار المعركة، وحمي وطيسها ، وكلما زادت الشدة قربت النهاية، وبدأت بوادر المعركة الفاصلة تلوح في سماء جدة ، فقد خرجت المصفحات للميدان، وواجهت الإخوان ظاهرة للعيان، وكانت هذه أول مواجهة من نوعها.

وفي ٨/١٨ بدأت الحاميات تطلق المدافع المختلفة على تجمعات ومعسكرات الإخوان، في الرويس، وبعد أن مهدت المدفعية الطريق، وأخلته من المقاتلين، خرجت خمس مصفحات من بوابة "الكندرة"، فاتجه ثلاث منها إلى نزلة بني مالك ، واثنتان إلى الرويس ، ثم سار ألف جندي من معسكر "أبو بصيلة" من العسكر والبادية ، تتبعهم سرية من الخيالة ، وكان فرق من الإخوان في الرويس، وأخرى في بني مالك، وكثير منهم في الخنادق في الخطوط الأمامية ، ويبلغ

عددهم نحواً من ألفي مقاتل ، وكان من تكتيك الإخوان أنهم تركوا القوات الهاشمية تتوغل في الميدان ، ولم يطلقوا عليهم النار إغراء لهم حتى يبتعدوا عن مواقعهم الأصلية ، فلا يتمكنوا من الفرار عند الهزيمة، والعودة إلى مراكزهم ، مع أن المصفحات لا قبل لهم بها، فكانت المعركة شديدة وموجعة للطرفين ، لأن الإخوان قد تعرضوا للنيران من رشاشات المصفحات، وليس معهم سوى بنادقهم العادية التي لاتؤثر بالمصفحات، فكانوا يطلقون عليها الرصاص فيرتد إليهم دون تأثير في المصفحة ، ولكن طبيعة القتال استدرجت القوات الهاشمية حتى نفد الرصاص، والماء، والوقود ، فتمكن الإخوان من الصعود إلى المصفحة وإصابة كثير من قادتها ، وكان قادة المصفحات يدافعون عن أنفسهم بالمسدسات، ولكن الإخوان استطاعوا السيطرة عليهم، فخاب ظن رجال القيادة الهاشمية الذين توقعوا أن مصفحاتهم سوف تسحق الإخوان المرابطين، ثم تتجه إلى مكة لاحتلالها، وقد أسفرت المعركة عن خسائر

باهظة ، وعاد الناجون من المهاجمين بمصفحاتهم إلى داخل التحصينات والإخوان إلىمعسكراتهم ومراكزهم، وقد أخفقت القوات الهاشمية.

وبعد هذه الواقعة تراجع حماس القوات الهاشمية، وقل اندفاعهم ، وعلموا أن معداتهم المتفوقة لن تغني عنهم من الله شيئاً ، وأن الهزيمة الكبرى وشيكة بعدما كانوا يحلمون بأن يكون عيد رمضان بمكة المكرمة.

قال الريحاني كتب لي أحد الضباط المحاربين في الجيش الهاشمي قائلاً وغدا ندعوك إلى زيارتنا في الطائف[1] تفاؤل مفرط تجاوز حد التطرف ، ولما دخل شهر رمضان المبارك صام الإخوان ، وانشغلوا عن الحرب بالصلاة، وقراءة القرآن، والعبادة ، فظن العدو أن هذا التوقف هزيمة ، أو عجزا من تأثير المعركة السابقة، فأخذ يجمع فلوله ويستعد للمعركة الفاصلة ، كما يسميها والتي سوف تبدأها القوات الهاشمية ، في شوال القادم، كما وعدوا بذلك، ولكن الإخوان لم ينشطوا في شهر شوال لإثارة العدو، لأن "الملك عبدالعزيز" اتجه نظره وكل

---

[1] تاريخ نجد الحديث لأمين الريحاني ، ص٤١٢ .

اهتمامه إلى الحج، وبدأ بالاستعداد له ، واستقبال الحجاج القادمين من مختلف البلاد الإسلامية ، حيث أعلن عبدالعزيز أن الأمن قد ساد البلاد المقدسة ، وأن مكة مفتوحة لحجاج بيت الله الحرام ، وأن الثغور (الليث والقنفذة ورابغ) مستعدة لاستقبال الحجاج القادمين عن طريق البحر، وأن "الملك عبدالعزيز" قد هيأ وسهل سفرهم إلى مكة لأداء مناسك الحج وتكفل بتأمين راحتهم وسلامتهم، فأخذت معظم القوات مواقعها في المشاعر المقدسة لخدمة حجاج بيت الله الحرام فتحولت كل الخدمات إلى الحجاج القادمين لأداء الحج وساد السكون التام على خطوط التماس ، وعلى كل الجبهات القتالية في جدة، وقد أمر "الملك عبدالعزيز" بانسحاب المقاتلين من الجبهات في جدة ليؤدوا مناسك الحج ويحافظوا على الأمن في موسم الحج ، ولم يبق في الجبهة منهم إلا عدد قليل من الخيالة[1].

[1] كان ابن رفادة كبير مشايخ جهينة ضمن من تمرد على "علي" وسحب يده من طاعته ووفد على ابن سعود وعاهده على السمع والطاعة ، فطاردته الجنود النظامية الهاشمية القادمة من الوجه لإخضاعه ورده إلى طاعة الشريف.

ولا تخلوا الساحة من القتال فقد بعث "الملك عبدالعزيز" حملة إلى ينبع لتأديب فرق من البادية من جماعة ابن رفادة الذين نهبوا أرزاقاً قادمة إلى مكة، وأما المدينة المنورة فإن الضغوط عليها قد اشتدت، وتواصلت لحمل أهلها على التسليم ، أما الاجتياح فإن أوامر القيادة العامة تمنعه ، كما يوجد فرقة سعودية عسكرية "بالحناكية" مع ابن عذل ، وفريق آخر مرابط حول المدينة مع إبراهيم النشمي ، والإخوان في "بدر"، وقد سير "الملك عبدالعزيز" سعود العرافة وخالد بن لؤي إلى "ينبع النخل" فعسكروا هناك ينتظرون الأوامر من القيادة بعد أن أعادوا صاحب مركز "بدر" إلى مركزه الذي سيطرت عليه البادية.

وقد وصل فيصل الدويش قرب المدينة فاحتل العوالي، وفي آخر عام ١٣٤٣هـ ، كان فريق من الإخوان يرابطون حول الوجه وينبع ، وفريق من الحاضرة قد عسكروا حول المدينة ، وكان غرض "الملك عبدالعزيز" من هذه الحملة المكثفة للضغط على

أهل المدينة حتى يحملوا القيادة على التسليم بدون حرب، ويعلمون أنه لاحكم إلا الله ثم لابن سعود ، وقد أثلج هذا الهدوء النسبي صدر "الملك علي" ومحاربيه اعتقاداً منهم أنه نتيجة لعجز وانهزام القوات السعودية، مع أنهم قد لمسوا بعد المعركة في آخر شعبان ضعفهم وسوء تدبيرهم، ولكنهم ظنوا أن ينزل عليهم النصر مع المطر، ولكن القرآن يقول﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ حصار لايخلو من المناوشات القتالية.

وقد أشار الريحاني إلى أن الملك عبدالعزيز قد كسب في نهاية عام ١٣٤٣هـ ثلاثة مواقف سياسية، وكلها تعد هزيمة لخصمه "علي بن الحسين" أولها حينما صادر الشريف خمسة سنابك إيطالية محملة بالأزراق، فقد احتجت إيطاليا، وهددت الشريف باتخاذ التدابير القانونية اللازمة لحفظ حقوقها المنتهكة، فاضطر (الشريف) لإعادة ما نهبه ، وهذه تعد نصراً سياسياً للملك عبدالعزيز، ونقطة سوداء في صفحة تاريخ الشريف، والثانية وصول ثلاثة آلاف حاج هندي

عن طريق رابغ، وقد قاموا بأداء مناسك الحج ، ثم عادوا إلى بلادهم سالمين غانمين ، وهذا يعد نصراً سياسياً آخر للملك عبدالعزيز ، والثالث وهو الأكبر والأهم نقل الحسين من العقبة بالأردن إلى (قبرص) ووضع بعض التحفظات على اتصالاته الخارجية، وهذا نصر عسكري وسياسي ثالث للملك عبدالعزيز ، لأن الحسين كان هو المجند والممول لعلي بن الحسين في جدة ، وهذا دليل على أن الإنجليز قد اقتنعوا بقوة الملك عبدالعزيز وسلطته السياسية وقدرته الحربية، وإن كانت تفضل أن تبقى شبه الجزيرة العربية رهن أوضاعها الصعبة الممزقة[1].

فتوالت انتصارات " الملك عبدالعزيز" السياسية، وفي ضوء هذه الانتصارات بعد فتح مكة وسيطرته

---

[1] وكان نقل الحسين من العقبة إلى(قبرص) قد زاد مشكلة إفلاس حكومة جدة، وحلت الأزمة المالية الخانقة ، لأن الحسين كان الممول الأول من كنوزه التي نهبها من مكة أثناء حكمه ، مع أن سفره إلى قبرص خسارة عظمى للحجاز فقد سلم بضم العقبة ومعان الحجازيتين إلى الأردن ، وقد ضمن الشريف عبدالله تسليم الإنجليز تلك المناطق مقابل بيع هذا الجزء العزيز من بلاده بثلاثمائة ألف نيرة ذهباً (جنيه إسترليني ذهب) مقابل الضم ومائتا ألف نيرة ذهب مقابل الأملاك غير المنقولة.

على الموقف في حصار "جدة" ، وأداء الحجاج مناسك الحج وعودتهم إلى أوطانهم بأمن وأمان ، طلب منه القناصل المسلمون زيارة مكة ، فأذن لهم واستقبلهم -بعد عودتهم- في مقره في"الوزيرية" قيادة المعسكر الحربي ، وبينما القناصل مجتمعون بالملك عبدالعزيز هجم الإخوان هجمة عنيفة على جناح خط الدفاع الأيسر -من البحر إلى الكندرة- ، وكان المجتمعون يتبادلون الآراء معه في مسألة الصلح ، ولكن ما معنى أن يهجم الجيش السعودي على مرأى ومسمع من الذين جاءوا لعرض الصلح، والتوسط مع الجانبين إن "الملك عبدالعزيز" لبعدنظره أراد أن يثبت لهم أنه قوي، وأنه لم يطلب الصلح ، حتى لايملوا عليه شروطاً ، بل يرضخون لشروطه التي يرغبها، وهذا من دهاء "الملك عبدالعزيز" حتى ولو كان يرغب الصلح إلا أنه لايريد أن يظهر أمامهم بمظهر المنهزم ، لأن طالب الصلح عادة يكون هو الضعيف، فقال القناصل: "إننا نتكلم مع عظمتكم في هذه المسألة بصفتنا الشخصية ، لا بلسان

حكوماتنا، لأننا شرقيون يهمنا الإصلاح، والاتفاق بين الشرقيين" قال "الملك عبدالعزيز" في الحال "وكأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا ومرامنا ، فما دام الشريف علي في جدة فلا سبيل إلى الصلح ، أما إذا أخلاها وترك المسألة للعالم الإسلامي ، فنحن نقبل ما يقرره العالم الإسلامي بشأن الحجاز" إن في هذا الكلام العام بعد نظر، وقطع للاسترسال في الحديث، لأن هؤلاء لا يمثلون العالم الإسلامي، كماأن العالم الإسلامي يستحيل أن يتفق على شيء معين، وبهذا يدرك القارئ مدى بعد نظر الملك عبدالعزيز، وقد ألقى عليهم هذا الكلام على البديهة، وهم يتحدثون في جلستهم، وحينما قالوا "نريد أن تصطلحوا ، رد عليهم هذا في الحال، فانصرفوا حاملين ما سمعوا ، ثم كتبوا له بعد وصولهم بطلب الإذن لوزير الخارجية "فؤاد الخطيب" فأذن له بشرط أن يكون مفوضاً بالتوقيع على ما يمليه عليه الملك عبدالعزيز من الشروط، وهذا مطلب عسير يتعذر تحقيقه ، ثم طلبوا أن يكون قدومه للسلام على

"الملك" وربما لمعرفة وجهة نظره في موضوع الساعة دون تحديد ، فقال الملك عبدالعزيز في كتابه الأخير ((أكون مسروراً بمواجهتكم)).

لقد شعر الوزير بالغبطة والسرور لقبوله المواجهة، على الرغم من أنه يعرف أن هذه المقابلة لن تؤثر في الموضوع شيئاً، فوقع في امتحان عسير، أعيته فيه الحيل السياسية عندما قال له "الملك عبدالعزيز" ومن هو الضامن لهذه التعهدات التي تطرحها ؟

فقال الخطيب: " اطلب (يا عبدالعزيز) الضامن الذي تريده ونحن نقدمه لك"

فقال الملك: لا أعلم ضامناً له سلطة ، وأثق به يتكفل بما أطلب ، فالدول كلها على الحياد ، ولا نقبل تدخلها في الأماكن المقدسة.

قفل الملك عبدالعزيز باب الحديث في وجه المتحدث الذي ليس لديه صلاحية الموافقة على ما يطلبه، فتحول الحديث بين الطرفين إلى آفاق بعيدة عن

السياسة والحرب، وعاد من الوزيرية راكباً البغلة التي حملته، وفوق رأسه مظلته، والرأي العام في جدة ، والمسئولون ينتظروا ماذا يرجع به الوزير السياسي مع الإمام الذي أذهل بذكائه كل من عرفه أو تحدث إليه.

لم يأت الخطيب السياسي بجديد ولا قديم، ولكنه قد يكون عرف في قرارة نفسه أنهم أمام بحر غزير عميق لا يسبر غوره ولا تدرك غايته، تقاطرت عليه الوفود في مقره في "الوزيرية"، ومن بينهم الوكيل الإنجليزي، وكانت الحكومة الإنجليزية تريد أن تطلع على ما يفكر به "الملك عبدالعزيز" حول ضمها العقبة ومعان إلى الأردن تحت حمايتها، وقد تلت هذه المحادثة محادثات أخرى حول الموضوع نفسه.

وكانت كل هذه الوفود تحاول التوسط في الموضوع وحله سلميا، ولكن الملك عبدالعزيز مصر على خروج الشريف من جدة، وتسليم السلطة، لأنه لم يقبل في الأول بطرح الملك عبدالعزيز ومحاولاته، وقد قيل "من أعطِي ولم يقبل سأل ولم يعط "، وقد انطبق

هذا القول على الشريف "علي" وقبله الشريف "حسين"، كما جاء في نفس الشهر (ربيع الثاني ١٣٤٤هـ) الوفد الإنجليزي[١]، فاجتمع الملك عبدالعزيز بهم في "بحرة" واستمر في "بحرة" المؤتمر خمساً وعشرين يوماً، أسفر عن اتفاقيتين بين العراق ونجد، وتعرف باتفاقية "بحرة" وبين نجد وشرق الأردن، وتسمى اتفاقية "حداء" في تعيين الحدود بين نجد وشرق الأردن ١٥/٤/١٣٤٤هـ وبموجب هذه الاتفاقية اعتراف ضمني من المملكة المتحدة "بالملك عبدالعزيز" صاحب السلطة على الحجاز إلى حدود الأردن، وكان الملك عبدالعزيز وقتها في وضع لا يستطيع معه رفض مثل هذه المعاهدة، علماً أنها تعد آنذاك نصراً سياسياً ظاهراً[٢] وإنجازاً لم يكن منتظراً بهذه السهولة.

وقد جاء إلى الملك عبدالعزيز في "بحرة" مندوب من المدينة المنورة يحمل رسالة من أمير المدينة

[١] السير جلبرت كلايتون والكاتب السري والترجمان توفيق بك السويدي مستشاره العراقي.

[٢] انظر نص الاتفاقيتين في ملاحق كتاب "تاريخ نجد الحديث"، ص٤٣٧-٤٤١ .

الشريف "شحات" يعرض فيه التسليم بشرطين: الأول المحافظة على أرواح المواطنين وأموالهم ، والثاني أن يرسل الملك عبدالعزيز أحد أتباعه أفراد آل سعود لتسليمه مفتاح المدينة ، فأرسل "الملك عبدالعزيز" ابنه محمداً ومعه فرقة من الجنود في ١٣٤٤/٤/٢٢هـ ، ولما وصل كانت الحامية ممتنعة من التسليم لأنهم كانوا ينتظرون مدداً من جدة ، ولكن الرد جاءهم بالنفي لعدم وجود وقود للطائرة حتى تأتي بالمدد، وفي يوم الجمعة أرسلوا(القائد ورئيس الديوان) بطلب المقابلة من سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز، فقابلهما وأعلنوا التسليم بشرط أن يعطي الجنود والضباط الأمان، وإعلان العفو العام، فتم لهم ذلك، ودخلوا المدينة بدون قتال ١٣٤٤/٥/١٩هـ، وكان قدبلغ الحصار عشرة أشهر[١].

لقد ساءت الحال خلال هذه الفترة في جدة، وأصبحت في وضع لا يطاق، وقد عمت المجاعة

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٢٠ .

البادية والحاضرة، فكانت أصعب من الحرب ، قلّت مياه الشرب -رغم الترشيد- وبدأ المحاصرون في الأبراج يموتون بالمئات، وتعذر دفنهم في المقابر خارج الأسوار، لقد كانت المجاعة شديدة ، والمتسولون يزحفون على الأرصفة زحفا بملابس ممزقة ، ثم يتساقطون أمواتاً في الأزقة ، والساحات، نساء ورجالاً وأطفالاً، قد جيفت الجثث ، وأنتنت ، يزاحمون الكلاب والقطط على الجيف، فقدوا عقولهم بتأثير العطش والجوع، وأصبحت الشوارع مقابر مكشوفة، تصاعدت منها الأبخرة الكريهة، حتى انزعج منها ملاحو البواخر في عرض البحر، وانتشرت الأمراض والأوبئة من الجيف والأوساخ.

كان الإخوان يتهيئون لتوجيه الضربة القاضية، وقد استبد اليأس بالشريف "علي بن الحسين" الذي ينتظر مساعدة الإنجليز تأتيه عن طريق البحر، ولكن الإنجليز قد تخاذلوا بسبب سوء سياسته معهم، ولأن دول المصالح دائماً تسير مع الأقوى ، وقد استقر لديهم

أن الزمام بيد "ابن سعود" ، فساروا مع التيار، ثم ادعوا "الحياد"، حيث أصبح الحياد في صالحهم، ولما يئس من معونة الإنجليز، ومن معونة "عبدالله بن الحسين" ومن "الحسين" نفسه ، ومن "فيصل" ، تحقق لديه أنه قد خسر الصفقة، وأصبح عرضة للاجتياح في أي لحظة، فقرر التسليم النهائي لينفذ بجلده، ويترك "ما لقيصر لقيصر" ويعود إلى مبدأه الأول مجرداً من السلطة [1].

وفي مساء الثلاثاء ١٣٤٤/٥/٢٩هـ جاء الشريف "علي" إلى دار المعتمد البريطاني يعرض على المعتمد شروطه للتسليم، فأبرق المعتمد لحكومته يستأذن في التدخل ، وعرض شروط الشريف ، على "الملك عبدالعزيز" وفي ١٣٤٤/٥/٣٠هـ جاءه البلاغ بالموافقة، فتوجه إلى مكة، وكان الملك عبدالعزيز بمكة إلا أنه قد توجه بسيارته إلى "جدة"، في مساء ذلك اليوم ، فتقابل مع المندوب البريطاني في الطريق فكلمه، واتفقا على

---

[1] وكان الملك عبدالعزيز يقول ثلاث أخرتني عن الهجوم واللجوء إلى الحصار - الحرص على سلامة الرجال والجنود - وسلامة الطرف الثاني ، ثم المحافظة على الأجانب مع ثقتي بالنصر بعد الحصار.

الاجتماع بالمعتمد غدا حسب طلبه ، وفي الساعة العاشرة من صباح الخميس وصل المعتمد البريطاني، وأخبر"الملك عبدالعزيز" بأن بريطانيا مازالت علىالحياد، ولكنه يتوسط بطلب من الشريف"علي"الذي يطلب التسليم.

فأجاب الملك عبدالعزيز (هذا أحب ما عندي على شرط أن تكون الشروط موافقة لنا) فعرضت عليه الشروط ، فقدم وأخر وحذف وأثبت مجرياً بعض التعديلات التي لايوافق عليها ، وقد جاء فيها أن الملك "علي" يتنازل عن الملك ويغادر الحجاز، ولايأخذ معه غير أمتعته الشخصية ، ومنها سيارته وسجاجيده وخيوله ، وأن كل ما في الحجاز من الأسلحة والعدد الحربية، والذخائر، والطيارات، وغير ذلك تسلم إلى الملك عبدالعزيز، وأن البواخر التي في ملك حكومة الحجاز تصبح ملكاً له، ويضمن "الملك عبدالعزيز" لكل المواطنين المدنيين والعسكريين والأشراف والأهالي عموماً سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم ويعلن العفو

العام، ويرحل الضباط والعساكر الأجانب إلى أوطانهم، وأن يوزع بنسبة معتدلة على جميع الضباط والعسكر الموجودين بجدة خمسة آلاف جنيه ذهباً، أمضاها الملك عبدالعزيز في عصر ذلك اليوم، وأمضاها "علي" في المساء، فأصبحت نافذة من ذلك التاريخ[١].

قال الريحاني وهذه هي الفرصة المنتظرة من تصورات الملك عبدالعزيز في بنودها الثلاثة التي تحققت كلها حسب ما رسم في مخيلته قبل الحصار[٢]، وقد تحقق قبل هذا أو معه البندان الأول والثاني وهما المحافظة على رجاله، وحماية أرواح البعثات الدبلوماسية والجاليات الأجنبية، فقد انتهى الحصار، ولم يصب أحد منهم بأذى، وهذا ما كان يهدف إليه الملك عبدالعزيز في تفضيل أو تقديم الحصار على القتال.

---

(١) الاتفاقية ضمن ملاحق كتاب، ص٤٢٥، تاريخ نجد الحديث للريحاني.
أمين الريحاني كاتب تاريخي من الدرجة الأولى، وقد حضر هذه الحوادث وعاشها في جدة ولا شك في أمانته العلمية، ولكن الرواية يختلف إيرادها من راو إلى راو آخر وإن كان الكاتب قريباً من مكان الحادثة لأنه يعتمد على من وقع منه أو عليه الحدث.

(٢) المرجع السابق، تاريخ نجد الحديث للريحاني، ص٥٢٤.

وبعد ثلاثة أيام عاد المعتمد البريطاني إلى المخيم الملكي "بالرغامة" وأخبر "الملك عبدالعزيز" بأن الملك "علي" المجرد من السلطة قد ركب بالبارجة البريطانية (كورن فلاور) المتجهة إلى عدن، ومنها إلى العراق لاجئاً عند أخيه فيصل، فكان آخر هاشمي متوج يغادر أرض الحجاز، وفي اليوم الثاني جاء المعتمد البريطاني يقدم "للملك عبدالعزيز" التهنئة وأنه قد انتهى من مهمة التوسط ومعه رئيس الحكومة الهاشمية المنتهية عبدالله زينل ورئيس العسكر الضابط صادق بك ليستمعوا إلى توجيهات الملك ، وما يقرره بشأنهم، وفي صباح اليوم التالي أرسل ثلة من رجاله، لمباشرة العمل كل في مجال اختصاصه من أمور عسكرية، وشئون الجنود والضباط، واستلام الممتلكات الحكومية[١] ، وبقي الملك عبدالعزيز في "الرغامة" في مخيمه ومعسكره حتى تحرك منه يوم الأربعاء ٦/٧ متجهاً إلى البلد "جدة" يتقدمه فريق من المشاة ورهط

[١] وفي ٥/٦ تحركت البارجة (كورن فلاور) التي تقل الشريف ، "علي" إلى المنفى الذي اختاره لنفسه.

من الخيالة بقيادة أخيه الأمير عبدالله بن عبدالرحمن قاصداً قصر "الكندرة" فاستقبل الوفود المهنئين، والمسلمين، والمبايعين ، وأطلقت المدفعية مائة طلقة وطلقة واحدة تحية للقائد الظافر، واستقبل البعثات السياسية ، وممثلي الدول، والقناصل، وأعيان المدينة، وقدم قنصل إيطاليا كلمة نيابة عن القناصل جاء فيها ، "نظراً لكوني أكبر القناصل سناً أتقدم بالنيابة عنهم بتقديم تهنئتنا بدخولكم "جدة" بهذه الطريقة السلمية التي حقنت بها الدماء، نتمنى لكم التوفيق الدائم والسعادة" ، ثم رد عليهم الملك عبدالعزيز بأن إطالة الأعمال الحربية كانت السبب في هذه النتائج الطيبة[1].

وقد دخل "جدة" في صباح يوم الخميس ٦/٨ بعد سنة واحدة من دخوله للرغامة ، وعادت الحياة الطبيعية إلى جدة والحجاز بأكمله.

وفي ١٣٤٤/٦/٢٥هـ بعد صلاة الجمعة اجتمع الناس في سرادق أعد عند باب الصفا بمكة لهذه

---

[1] تاريخ نجد الحديث للريحاني ، ص٤٢٦ .

المناسبة فأتى موكب الملك عبدالعزيز ببساطة وتواضع ملوحا بيده الكريمة فوقف على سجادة أعدت له ، ثم نادى المنادي ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً﴾[1]. فألقى خطيب المجتمعين كلمته فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال "إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بالأمن بعد الخوف، وبالرخاء بعد الشدة ، فقد انقشعت غيمة الحروب، واجتمعت القلوب ، وتوحدت الكلمة بحول الله وقوته، فتعطف علينا السلطان المحبوب ، بقبول البيعة المشروعة والواجبة علينا، وأنني أقولها على مسامعكم: بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، نبايعك يا عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله "صلى الله عليه وسلم"، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح، والأئمة الأربعة

---

[1] المرجع السابق ، ص٤٢٨ .

رحمهم الله، وأن تكون مكة المكرمة عاصمة للحجاز، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ، ثم رعايتكم ، فغص المكان بالمبايعين والمهنئين ، تقدم أولا الأشراف ، ثم الوجهاء والأعيان، والمجلس الأهلي، والمحكمة الشرعية ، ثم الأئمة والخطباء ، والمجلس البلدي، ثم أهل المدينة المنورة وأهل جدة ، ثم تتابع الناس من مختلفي الفئات والمستويات ، وبعد هذه المراسم دخل الملك عبدالعزيز الحرم، وطاف سبعاً ، وصلى ركعتين في المقام، ثم جلس في سرادق'دار الحكومة' للاستماع إلى الخطباء ، واستقبال المباركين ، والمهنئين، والمؤيدين، ثم جاءت برقيات تأييد من المدينة المنورة، وينبع، والوجه، وضبا، والعلا، وكانت الحكومة الروسية أول الدول في الاعتراف به ملكاً علىالحجاز، ثم بريطانيا، وفرنسا، وهولندا، والجمهورية التركية.

وقد نقل الريحاني بعض ما جاء فىالخطب التي ألقيت، فقال أحدهم: "لابد للبلاد من ملك مستقل، يكون قادراً على صيانة الحجاز من الداخل والخارج، والذي

يستطيع القيام بهذا الأمر هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود" ، "وما أعطاك الله يا عبدالعزيز إلا لأنك سائر في مرضاته" ، وقال آخر: "علينا أن نتمسك بذلك الحبل المتين -وهو ما سار عليه السلف الصالح- ليرجع للمسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز".

ثم بعد أن سمع مقالاتهم وقف الملك عبدالعزيز خطيباً فقال: " أسمع خطباءكم يقولون: هذا إمام عادل، وهذا كذا وكذا ، فاعلموا أنه ما من رجل، مهما بلغ من المنازل العالية ، يستطيع أن يكون له أثر، وأن يقوم بعمل جيد، إذا كان لا يخشى الله ، وإني أحذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا، وأحثكم على الصراحة والصدق في القول ، وعلى ترك الرياء والملق في الحديث، لم يفسد الملك إلاالملوك وأحفادهم، وخدامهم ، والعلماء المتملقون وأعوانهم ، ومتى اتفق الأمراء والعلماء ليتستر كل منهم على صاحبه ، فيمنع الأمير المنح والأمراء يدلسون ، ضاعت حقوق الناس، وفقدنا والعياذ بالله الآخرة والأولى"، إلى أن قال خاتماً

كلامه "وإني أحمدالله الذي جمع الشمل وأمن الأوطان، ولكم عليّ عهد الله وميثاقه أني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي". فهتف الناس إذ ذاك قائلين: "جزاك الله خيراً ، جزاك الله خيراً ! ".

ثم ألقى على المجتمعين في بيته الكلمة الآتية: "إننا الآن في وقت العمل وفي ساعة التأسيس ، ولا يستقيم الأمر إلا بحسن التدبير وبالصدق والنزاهة، أنتم أرباب الرأي والفكر في بلادكم، فعليكم أن تقرروا شكل الحكومة، وتضعوا دستوراً لها، وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز، وتبحثوا في ما ينبغي أن يكون موقف الحجاز تجاه الدول، وكان الحاضرون هم أعضاء المجلس الأهلي والوفود والقادة من جدة وبعض أعيان ووجهاء مكة المكرمة ، وكان الملك عبدالعزيز خطيباً لا يبارى وبحراً لا يجارى يكاد يقرأ أفكار من يتحدث إليه[1].

---

(1) تاريخ نجد الحديث ، للريحاني ، ص ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

لقد كانت هذه البدايات الأولية التي تدعو إلى التفاؤل، وقد تقرر وتحدد كل شيء فيما بعد على خطوات ثابتة.

القسم الثاني:

القضاء على عناصر الشغب، والمعارضة الذين برزوا على شاشة الأحداث بعد سيطرته على حدوده التاريخية، وبسط نفوذه عليها.

" ضم عسير إلى الحكومة المركزية في الرياض "

آل عائض من بني مغيد من القبائل القحطانية المقيمة في عسير، وقد كانت إمارة عسير في التاريخ القريب المواكب للدولة السعودية الأولى لآل المتحمي من ربيعة رفيدة التي بدأت بالملقب (أبو نقطة) محمد بن عامر ، وأخيه عبدالوهاب اللذين هاجرا إلى "الدرعية" عاصمة "آل سعود" واعتنقا الدعوة الدينية، ثم عادا إلى عسير لاستلام إمارتها بمساعدة أمير"الدرعية" عبدالعزيز بن محمد بن سعود الذي أرسل معهما سرية بقيادة أمير وادي الدواسر"ربيع بن زيد"، ولما فتحا عسيراً تولى الإمارة "محمد بن عامر" باسم "عبدالعزيز بن سعود" مدة ثلاث سنوات ، ثم تولى بعد وفاته أخوه عبدالوهاب، ودامت إمارته سبع سنوات ، ثم توفي بعد أن دانت له عسير، والمخلاف السليماني، وتهامة وما جاورها، ثم تولى بعدهما ابن عمهما طامي بن شعيب (من١٢٢٥هـ إلى١٢٣٠هـ)حتى قبض عليه "محمدعلي" وحمله أسيراً إلى مصر، حيث قتل هناك رحمه الله، وفي حروب عسير مع الأتراك الغزاة ظهرت شجاعة

"سعيد بن مسلط" من بني مغيد، فتولى الإمارة بعد طامي بن شعيب، وقد تمكن من إخراج الحامية التركية من عسير.

وقد دامت إمارته سبع سنوات تقريباً، توفي بعدها عام ١٢٤٣هـ وبإمارته انتقلت الإمارة من آل متحمي بني ربيعة رفيدة ، إلى قبيلة بني مغيد.

وبعد وفاة "سعيد بن مسلط" تولى الإمارة ابن عمه علي بن مجثل المغيدي، وكان من محبي الدعوة الإسلامية والتمسك بالتوحيد ، وقد أحسن القيادة وضم إلى بلاده ما حولها وفي ١٢/١٠/١٢٤٩هـ توفي بعد أن دامت إمارته سبع سنوات تقريباً ، وكان قد أوصى قبل موته أن تكون الإمارة من بعده لعايض بن مرعي المغيدي ، فبايعه أهل عسير، وهو أحد أفراد أسرة آل عايض الذي كان آخرهم حسن بن علي بن محمد بن عايض، الذي قام بإجلاء الجنود الأتراك من مقاطعة عسير، ومن بلاد غامد وزهران.

واستمرت إمارته حتى وافته المنية عام ١٢٧٣هـ جاء بعده بالإمارة ابنه محمد مدة أربع عشرة سنة حتى قتله الترك عام ١٢٨١هـ بعد أن تحصن في قصر "ريده"، فأمنوه ثم قتله القائد التركي "محمد رديف"، وكان آخر من تولى إمارة عسير من آل عائض حسن بن علي بن محمد بن عايض الذي شكاه أهل عسيرعلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود[1].

وكانت قبائل عسير تدين لآل سعود منذ دورها الأول بالولاء، وكان أمراء عسير آل عائض الذين عاصروا بداية حكم الملك عبدالعزيز قد نزعوا إلى الاستقلال بإماراتهم، حتى يتحكموا في عباد الله دون رقيب أو حسيب، فظلموا وجاروا حتى ضج الأهالي، واشتكوا إلى الملك عبدالعزيز ظلم حسن بن علي آل عائض، وجوره وإرهاقهم بالضرائب "والفضات" والتعسف المذل، فبعث إليهم فريقاً من العلماء وأهل

---

(1) تاريخ ملوك آل سعود، للأمير سعود بن هذلول، ص١٣٦ - ١٤٤ .

الرأي لإصلاح ذات البين ، ودعوتهم للانضمام إلى الحكم في نجد، كما درج على ذلك آباؤهم وأجدادهم، فرفض ابن عائض وهدد عبدالعزيز بأنه إذا لم يعرض عنهم ويترك عسير وشأنها ، فسوف يهاجم بلدة بيشة النخل التابعة للملك عبدالعزيز ، ويستولي عليها،فضحك الملك عبدالعزيز من تهديده - ثم استشار بشأنه العلماء وأهل الرأي، فقالوا: "من واجب المؤمن أن يغير ما يراه من الظلم باليد أو باللسان أو بالقلب وذلك أضعف الإيمان، وقد شكا إليك جماعة من المسلمين في عسير ما أصابهم من الظلم، والعدوان على يد أميرهم، وأنت صاحب بسطة وقوة ، وقد نصرك الله على أعدائك، فمن واجبك أن تعمل على نصر دينه، وإعلاء كلمته، والله معك ...".

فبعث إليهم الأمير عبدالعزيز بن مساعد بقوة من رجاله ففتحت تلك القوة أبها في شهر رمضان سنة ١٣٣٨هـ فاستسلم حسن بن علي وابن عمه محمد فأرسلهما ابن مساعد إلى الرياض فأكرمهما الملك عبدالعزيز فعاهداه واستأذنا بالعودة إلى بلادهما فلما وصلا محمد إلى "أبها" وحسن إلى "حرملة" أحد المعاقل

الآمنة ، جهز حسن قوة من أعوانه وتوجه إلى أبها فحاصرها عشرة أيام فاضطر عامل ابن سعود (فهد العقيلي) إلى التسليم، فأسره في بلدة الخميس، ولما قيل للملك عبدالعزيز (لقد خدعك ابن عايض) فقال: (من خدعنا بالله انخدعنا له والله حسبنا ونعم الوكيل ...).

ثم وجه في شوال سنة ١٣٤٠هـ قوة بقيادة الأمير فيصل بن عبدالعزيز فاستعادها بسهولة ولجأ حسن إلى "حرملة" المعتصم المنيع فتبعته القوات السعودية، وحاصرته فيها فاستطاع الهرب منها، فدكت القوات السعودية حصونها وقلاعها ، فلجأ محمد إلى الشريف حسين بمكة وتشرد بقية آل عائض ، وولى الأمير فيصل إمارتها "سعد بن عفيصان"، وبعد مدة عاد آل عائض إلى الرياض مستسلمين، فعفا عنهم الملك عبدالعزيز وقبل اعتذارهم وأكرمهم وأجزل لهم العطايا والمنح[1].

---

[1] قلعة جي ١٨٦ ، موعد مع الشجاعة.

كانت أمارة عسير تابعة للدولة السعودية حتى وقعت تحت الاحتلال التركي عام ١٢٨٨هـ إلى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٧هـ التي جلى فيها الأتراك عن عسير ، ثم حاول حسن بن علي بن محمد بن عايض الاستقلال ، ابن هذلول ص١٤٤ .

الفتنة الكبرى التي آثارها الحساد
ومعركة "السبلة"

بعد فتح مكة وضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ إلى السلطة الشرعية فى نجد كادت الحرب أن تضع أوزارها، فاتجه الملك عبدالعزيز إلى البناء الداخلي، وترميم السياسة الخارجية وتطويرها، وكان بناء الدولة أصعب من بسط النفوذ ومد السلطة، لأن الملك عبدالعزيز المفكر الكبير، لايهدف إلى السيطرة فقط، ولكنه يهدف إلى بناء دولة مكتملة ، تضاهي الدول الأخرى المتقدمة التي سبقتها إلى الاستقرار، وكان الملك عبدالعزيز أثناء جهاده المتواصل في ضم البلاد المتناثرة في بوتقة واحدة، وتوحيدها تحت راية التوحيد، يترك أمر البلاد بعد فتحها بيد أهلها ، ثم يتجه إلى الأخرى .. وهكذا ، ولم يمكنه جهاده المتواصل أن يتخذ بعض التدابير اللازمة لشد الأحزمة ، وتوثيق عرى الاتصال بمراكز القيادة لديه ، وقد أدى الإخوان دوراً لا يستهان به في تلك الحركة بقيادة (فيصل الدويش) زعيم مطير و(سلطان بن بجاد) زعيم 'عتيبة' وكان المحاربون من أبناء البادية يرتكبون كثيراً من

الأخطاء أثنـاء حروبهم ، وفتوحات الملك عبدالعزيز تحرجه مع الآخرين ، ولكن الملك عبدالعزيز لسعة حلمه، وتقديراً لجهودهم يتحمل أخطاءهم ويعتذر عنهم، في كثير من المواقف، مثل اجتياحهم مدينة الطائف، ونهب بعض بيوتها ، وقد حاسب الملك عبدالعزيز بن بجاد وأنّبه ولامه على فعل رجاله ، وشكل لجنة تحقق في ذلك ، وتعويض الأهالي ، فساءه لوم الملك عبدالعزيز وتأنيبه ، وأثر ذلك في نفسيته، وكذلك ارتكاب بعض الأخطاء في مكة بعد فتحها، إضافة إلى أن سلطان بن بجاد كان يتطلع إلى إمارة الطائف ، ولم تحقق رغبته ، أما فيصل الدويش ، فكان يتطلع إلى إمارة المدينة التي حاصرها مع من حاصرها حتى سلمت ، وهذه مسألة أضمرها في نفسه ، وكان يعرّض بها في بعض مجالسه، وقد يكون في نفسه أمر أعظم[1] ولكن الملك عبدالعزيز يتصرف مع هؤلاء بدراية

---

[1] كما طمع جده (فيصل الدويش) بإمارة الرياض في بداية عهد تركي بن عبدا لله مؤسس الدولة السعودية في دورها الثاني ، انظر الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ، ص١٠٩ - ١١٠ .

وحكمة ، فهو يعرف ما تنطوي عليه نفوسهم أمثال ابن بجاد والدويش، فإذا رغب أحدهم بشيء لا يريده الملك عبدالعزيز أعطاه غيره ، فهو العارف لنفسيات هؤلاء من طول معاشرتهم، ودهاء الملك عبدالعزيز وحكمته، أما (ضيدان بن حثلين) زعيم العجمان فإنه ليس له سابقة جهاد مع الملك عبدالعزيز ، وقد طلب منه الملك عبدالعزيز الغزو إلى الحجاز ومشاركة الإخوان في الجهاد فتباطأ، ومكث في الطريق أكثر من ثلاثة أشهر، فبعث إليه الملك عبدالعزيز في الطريق من يخبره بالاستغناء عن مساعدته، ويرده إلى بلاده ، فرجع وفي نفسه ما فيها، ولما علم بانتصار الملك عبدالعزيز وفتح مكة حزن على خسارته المادية نصيبه من الغنائم، والمعنوية ، غضب عبدالعزيز عليه.. لقد أكن زعيم مطير في "الأرطاوية" ما يتردد في نفسه ، كما أسر زعيم 'عتيبة' في الغطغط طموحاته لبعض خواصه، ثم بدأوا يظهرون بعض ما يبطنون ، فاجتمع الزعيمان في الأرطاوية، وانضم إليهما الثالث ضيدان بن حثلين،

ولسان حالهم يقول: "صفيناها للملك عبدالعزيز وخرجنا من المعركة بالأسلاب"[1] فاتفقوا على أن يعيدوها على الملك عبدالعزيز جذعة ، ولكن الملك عبدالعزيز بدهائه وحكمته لم يتسرع في معاقبتهم بعد أن تمكن من السلطة ، وقد وثق من ولاء البلدان من الحاضرة، وكان الملك عبدالعزيز يعتمد على الحاضرة في كثير من أموره وحروبه ، أما البادية فإنه من الصعب الاعتماد عليها ، فقد كانت حروب أكثرهم لمجرد الحرب والكسب ، ولما انتهت الحرب وطوي بساطها تطلعوا إلى إعادتها من جديد حتى لا تتوقف عجلتها، وتبقى رحى الحرب تطحن الرجال بأثقالها، فالاستقرار في نظرهم ممل ومستهجن ، وينهي دورهم في الحياة المضطربة.. وقد أدركوا بعد نهاية الحرب أن دورهم القيادي قد انتهى أو كاد ، وأن المنتصر في هذه الحروب عبدالعزيز، فحسدوه وأرادوا أن يملوا عليه رغباتهم، وأن يفرضوا عليه المواقع التي يختارونها

[1] خرجنا من العيد بلا حمص أو رجعنا بخفي حنين ، المرجع السابق ، ص١١٠ .

لأنفسهم ، فلما لم يتحقق ما طلبوا أعلنوا التمرد والعصيان[١].

وقد أقامت حكومة العراق مراكز على الحدود مع الحكومة السعودية لحماية حدودها من غارات الإخوان ومنها مركز "البصية" مخالفة بذلك معاهدة "العقير" بين ابن سعود وحكومة العراق فدارت محادثات مع حكومة العراق[٢] حول إزالة هذا المركز، ونقل الحامية التي تقيم فيه، ولكن "فيصل الدويش" انتهز الفرصة فبعث عدداً من رجاله واستولوا على المركز وقتلوا حراس المركز من الجنود، وقاموا بهدمه ونهب ما فيه بدون أمر من الملك عبدالعزيز، وكان يقصد بهذا الهجوم إحراج الملك عبدالعزيز مع حكومة العراق والحكومة الإنجليزية ، وإشعار البادية أنه

---

[١] ولما علم الملك عبدالعزيز بنواياهم السيئة عقد اجتماعاً في الرياض في ٢٥ رجب ١٣٤٥هـ دعا إليه زعماء الإخوان من سكان الهجر أوضح لهم في الاجتماع أنه مازال يسير على المبادئ التي أعلنها في أول قيامه وأنه لم يتغير كما توهم البعض وأنه سائر في خدمة البلاد والإسلام والمسلمين ، وقد تغيب عن الحضور من المعنيين " سلطان بن بجاد " ، ص١١٠ - الوجيز للزركلي .

[٢] فكانت هذه المراكز موضع خلاف بين حكومة العراق والملك عبدالعزيز.

يستطيع بدء الحرب وحماية الحدود التي تساهل في حمايتها الملك عبدالعزيز من أجل إرضاء الإنجليز -كما يزعمون- فغضب الملك عبدالعزيز من إقدامه على الهجوم بدون إذن القائد العام (عبدالعزيز) والاعتداء على دولة أخرى لها حق الجوار، فهم الملك عبدالعزيز بمحاصرة الدويش وضرب تجمعه إلا أنه أجل ذلك حتى يتدبر أمر المتمردين بصفة عامة ، وحسمه حسماً نهائياً حتى لا يتجزأ العقاب فيظهر له مضاعفات في جهات أخرى ، وأثناء تمهل الملك عبدالعزيز قامت الطائرات الإنجليزية وضربت الإخوان في "هجرة اللصافة" متجاوزة الحدود، فزاد همه هماً، وأحس بأن نظراءه اتهموه بأنه عاجزعن صد رعيته عن الاعتداء، وكف الأذى عن جيرانه، وأنه قد فقد السيطرة على أتباعه، وهذا الحدث قام بتحجيم سلطة الملك عبدالعزيز ووضعه أمام الأمر الواقع في نظر الآخرين.

وكان الملك عبدالعزيز في أول بدايات الطريق إلى الاستقرار السياسي، وكثير من الأمور معلقة تنتظر

الحل، ولذلك قدم التأجيل على التعجيل، وقرر دعوة العلماء، والقادة، والوجهاء، والأعيان،ورؤساء العشائر، لعقد جلسة حوار ومناقشة، لوضع حد لتمرد الإخوان، وأراد أن يكون الحل باتفاق أهل الحل والعقد من أهل الوطن، وبفتوى من المشايخ والعلماء، وحرصاً من الملك عبدالعزيز على جمع الكلمة، واتحاد الرأي حتى تكون الضربة جماعية شرعية، حفاظاً على ذمته وسمعته، فاستجابت الرعية، وأقبلت الوفود من كل جهة ماعدا رؤوس الفتنة فإنهم لم يحضروا هذا الاجتماع إلا أن الدويش أرسل ابنه (عزيز) نيابة عنه مدعياً أنه قد تنازل عن الرئاسة لابنه المذكور، وقد حضر هذا الاجتماع مايزيد على ثمانمائة من الوفود وأتباعهم، ويقدر عدد العلماء والرؤساء بنحو ثلاثمائة وخمسين فرداً ، وقد افتتح الملك عبدالعزيز الاجتماع في الرياض في ٢٢ من جمادى الأولى ١٣٤٧هـ ، وألقى الملك عبدالعزيز كلمة شاملة لخص فيها جهاده، وأوضح نواياه وأهدافه وحدد سياسته العامة الداخلية

والخارجية والخاصة جاء فيها " أيهـا الإخوان تعلمـون عظـم المنـة التـي مـن اللـه بهـا علينـا بديـن الإسـلام إذ جمعنا به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد الذلة واذكروا قول الله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم﴾ الآية، إن شفقتي عليكم وعلى ما منّ الله بـه علينـا، وخوفـي مـن تحذيره سبحانه وتعالى بقوله ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾، كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكـان لتذكـروا أولاً: مـا أنعـم اللـه بـه علينـا، فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة، وثانيـاً: لأمـر بدا في نفسي وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحـد شيء يشكوه مني أو من أحـد نوابـي وأمرائـي، بإسـاءة كـانت عليـه ، أو بمنعـه حقـاً مـن حقوقـه، فـأردت أن أعرف ذلك منكم لأخـرج أمـام اللـه بمعـذرة مـن ذلـك، وأكون قد أديت مـا علـيّ مـن واجـب، وثالثـاً: لأسـألكم عما فـي خواطركـم ومـا لديكـم مـن الآراء ممـا ترونـه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم.

" أيها الإخوان إن القوة لله جميعاً، وكلكم يذكر أنني يوم خرجت عليكم كنتم فرقاً وأحزاباً ، يقتل بعضكم بعضاً، وينهب بعضكم بعضاً، وجميع من ولاّه الله أمركم من عربي أو أجنبي، كانوا يدسّون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم وإضعاف قوتكم لذهاب أمركم، ويوم خرجت كنت محل الضعف، وليس لي من عضد وساعد إلا الله وحده، ولا أملك من القوة إلا أربعين رجلاً تعلمونهم، ولا أريد أن أقص عليكم ما منّ الله به عليّ من فتوح، ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم ؛ لأن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم ، وأنتم تعلمونه جميعاً وكما قيل: السيرة تبيّن السريرة .

إنني لم أجمعكم اليوم خوفاً أو رهباً من أحد منكم، فقد كنت وحدي من قبل وليس لي مساعد إلاالله، فما باليت الجموع، والله هو الذي نصرني، وإنما جمعتكم كما قلت لكم خوفاً من ربي، ومخافة من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار. جمعتكم هنا لأمر واحد،

ولا أجيز لأحد أن يتكلم هنا في غيره. ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي، فيجب أن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع، أما الأشياء الخارجة عن هذا فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة للنظر فيها.

أريد منكم أن تنظروا - أولاً - فيمن يتولى أمركم غيري ... وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم، فاختاروا واحداً منهم تتفقون عليه ، وأنا أقره وأساعده وكونوا على يقين بأنني لم أقل هذا القول استخباراً، (لأنني ولله الحمد لا أرى لأحد منكم منّة عليّ في مقامي هذا ، بل المنة لله وحده) ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع بالقوة.

لا يحملني على هذا القول إلا أمران ، الأول: محبة راحتي في ديني ودنياي، والثاني: أني أعوذ بالله من أن أتولى قوماً وهم لي كارهون، فإن أجبتموني إلى هذا فذلك مطلبي، ولكم أمان الله، فأي من يتكلم في هذا فهو آمن ولا أعاتبه لا آجلاً ولا عاجلاً، فإن قبلتم طلبي

هذا فالحمد لله، وإن كنتم لا تزالون مصرّين على ما كلمتموني به على أثر دعوتي لكم، فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع في اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله".

ثم ضجوا: لا نريد بك بديلاً واستمر في الخطابة فقال: "إذا لم يحصل ذلك منكم ، فابحثوا في شخصي وأعمالي، فمن كان له عليّ -أنا عبدالعزيز- شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبيّنه ، ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانه، أنه حر في كل نقد يبينه ولا مسؤولية عليه ، وإني لا أبيح لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئاً من النقد في صدره وكل من كان عنده شيء فليبينه ، ولكم عليّ أن كل نقد تذكرونه أسمعه، فما كان واقعاً أقررت به، وبيّنت سببه، وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه ، وما كان غير بيّن وهو عندكم من قبيل الظنون ، فلكم عليّ عهد الله وميثاقه أنني أبيّنه ولا أكتم عليكم منه شيئاً.

وأما الذي تظنونه مما لم يقع، فأنا أنفيه لكم، وأحكّم في كل ما تقدم شرع الله، فما أثبته أثبّته ، وما نفاه نفيته.

أنتم ، أيها الإخوان، أبدوا ما بدالكم، وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله الناس من نقد ولي أمركم ، أو من نقد موظفيه ، المسؤول عنهم. وأنتم ، أيها العلماء، اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض وستسألون عما سألتم عنه اليوم ، وعما ائتمنكم عليه المسلمون ، فأبدوا الحق في كل ما تسألون عنه ، لا تبالوا بكبير ولا صغير. وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعي، وما أوجب للراعي على الرعية في أمر الدين والدنيا ، وما تجب فيه طاعة ولي الأمر، وما تجب فيه معصيته. وإياكم وكتمان مافي صدوركم في أمر من الأمور التي تسألون عنها. ولكل من تكلم بالحق عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه وأكون مسروراً منه ، وأني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء. والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه ، أيها العلماء فإني أعمل فيه عمل السلف

الصالح إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ، أو قول أحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة.

إياكم ، أيها العلماء، أن تكتموا شيئاً من الحق، تبتغون بذلك مرضاة وجهي ، فمن كتم أمراً يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة ..

أظهروا الحق وبيّنوه وتكلموا بما عندكم ... "

فصاح الإخوان بالبراءة من الدويش وصاحبيه - سلطان بن بجاد وضيدان بن حثلين ، ثم قاموا بتجديد البيعة للملك عبدالعزيز علىالسمع والطاعة في المنشط والمكره وأثره علينا وأن لا ننازع هذا الأمر أهله، وأن يحاربوا معه الباغي إلى أن يفيء إلى الرشد.

فتم للملك عبدالعزيز ماكان يسعى إليه من جمع الكلمة ، وتقوية العزائم ، وعزل رؤوس الفتنة، وتعرية نواياهم، وتفنيد آرائهم، وإجماع المسلمين على حربهم، لخروجهم على الإمام ، وعصيانهم ، وأنهم بخروجهم عليه أصبحوا عصاة يجب صدهم وجهادهم حتى

يعودوا إلى حظيرة الجماعة ويرجعوا إلى السمع والطاعة.

ولكنهم أصروا على عنادهم ، وتماديهم بالباطل، وأذاعوا بين سكان الهجر أنهم مصممون على إقامة الشرع الذي أعرض عنه عبدالعزيز ووالى المشركين، وترك ابن بجاد هجرة "الغطغط" والتف مع الدويش في "الأرطاوية" حتى يكون بعيداً عن تناول الملك عبدالعزيز وقريباً من صحراء الدهنا والحدود العراقية، فكانت هجرة الأرطاوية الملاذ الأخير للمتمردين وأتباعهم ، أما ثالثهم فإنه أخذ يغير على بادية العراق ويقطع السبيل ، كما قام ابن بجاد باعتراض حملة تجارية 'للعقيلات' من أهالي القصيم فقتلهم ، وأخذ حملتهم وتجارتهم .. وبهذه وسواها انطبق عليهم معنى الآية ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم** ...﴾ الآية.

وكانوا يرفضون "الأتيال" -البرقية- يظنون أنها نوع من السحر- فأفتى العلماء بأنها من الاختراعات المفيدة التي تخدم الإنسان، وليس فيها ما يوجب رفضها أو تحريم استخدامها أو تجريم مستوردها، ويعترضون علىالمراكز-المخافر- التي أقامتها حكومة العراق وأما المراكز -المخافر- فقد أجابهم الملك عبدالعزيز عنها فقال: " أنتم بدأتم بالعدوان فاضطروا لبناء هذه المخافرلصد هجماتكم المتكررة عليهم وسوف يتم التفاهم معهم حول إزالتها "[1].

فأفتى علماء نجد في تلك المسائل "المنكرة" في ضوء الكتاب والسنة، وأدانوا العصيان والتمرد، وأن زمام إعلان الجهاد بيد ولي الأمر حسب ما يراه محققاً لمصلحة الإسلام والمسلمين، ولكن المتمردين لم يمتثلوا ولم ينصاعوا لما قرره العلماء وأصروا على عنادهم،

---

[1] كما كان من الأعمال والإصلاحات التي أنكرها الإخوان إرسال ابنيه سعود وفيصل إلى مصر ولندن ، وإدخال التليفون والسيارات إلى بلاد الإسلام والضرائب التي تسمى المكوس (الجمارك) كما يطالبون بمنع إظهار الشعائر الدينية المخالفة لأهل السنة ورفض تعدد الطوائف المذهبية ، تاريخ ملوك آل سعود ، تأليف الأمير سعود بن هذلول ، ص١٨٦ .

فقرر الملك عبدالعزيز بعد الإجماع إخضاعهم بالقوة وقمع تمردهم.

فاستنفر الملك عبدالعزيز الحاضرة والبادية وسار بالجموع في ٢٢ رمضان ١٣٤٧هـ "آخر ١٩٢٩م" قاصداً المتمردين الذين تجمعوا في "السبلة" قرب الزلفي، فنزل الملك عبدالعزيزبجموعه قريباً من تجمعاتهم يفصل بين الفريقين ربوة صغيرة، فأرسل الملك عبدالعزيز إليهم يدعوهم إلى حكم الشرع ، فأبوا والتحم الفريقان في ١٠/١٩ بمعركة حامية الوطيس، واستمرت من الصباح إلى منتصف النهار ، فدارت الدائرة عليهم ، وفر ابن بجاد ببعض أتباعه إلى هجرة "الغطغط"، وجرح الدويش جرحاً عميقاً وكاد يسقط من جواده، فأنقذه أحد أتباعه ، وهرب به إلى 'الأرطاوية'، وأمر الملك عبدالعزيز بإيقاف القتال ومنع رجاله من متابعة الفارين.

ثم نزل الملك عبدالعزيز برجاله قرب 'الأرطاوية' فجيء بالدويش إلى الملك عبدالعزيز على "نعش" ومعه أطفاله ونساؤه يبكون وقال: "إن عفوت فأنت أهل العفو وأن عاقبت فبذنوبنا" فعفا عنه الملك عبدالعزيز وقال "قد

عفوت" وعرضه على طبيبه الخاص لعلاج جراحه، وبعد ثلاثة أيام جاء ابن بجاد إلى الملك عبدالعزيز وهو في "شقراء" مستسلماً فأمر بسجنه في الرياض..، ثم نقل إلى الأحساء.. أما الثالث "ضيدان بن حثلين" فإنه لم يشترك في معركة "السبلة"، وكان في هجرة العجمان (الصرار) فطلبه ابن جلوي أمير الشرقية فرفض فوجه إليه حملة بقيادة ابنه "فهد بن عبدالله بن جلوي" فتقابلا في "العوينة" فقتل "ضيدان" وقتل فهد في ١٩/١١/١٣٤٧هـ الموافق ١٩٢٩م[١]، ودارت معركة ضارية، وانضم نايف إلى

---

[١] وذلك أن عبدالله بن جلوي بعث ابنه فهدا بسرية إلى العجمان لجمع سلاحهم وتجريدهم من معدات الحرب وكان في السرية نايف بن حثلين المنافس لضيدان وعند قربهم من الصرار مركز ضيدان بعث إليهم ضيدان رسولاً ليسألهم عن نوع مهمتهم فأجابه قائد السرية أنه لا يريد إلا الخير فاستقدمه ولما قدم ضيدان ومعه خمسة من رجاله وأربعمائة حواليه يحرسونه وقد أعطاهم التعليمات بأنه إذا مضى أربع ساعات من الليل لم نرجع إليكم أو يأتيكم مني رسول فاهجموا على السرية السعودية وما كان من فهد بن جلوي إلا أن أمر بالقبض على ضيدان ورجاله ووضعهم في خيمة مقيدين وطلب جمع الأسلحة التي لدى القبيلة والجيش فقبل ضيدان إلا أنه شرح له الوضع وأخبره أن رجاله سوف يهاجمونهم إذا تأخر عنهم الخبر ، وطلب أن يذهب أحد المعتقلين ويخبرهم بعدم الهجوم ونقض ما اتفق عليه ، ولكن فهدا لم يقبل ، وأرسل أحد رجاله بكتاب ضيدان ولكن الرسول لم يوصل الكتاب حباً في الفتنة أو لأي سبب آخر وكان فهد بن جلوي قد أخذ حذره وأعطى تعليمات إلى حراس ضيدان بأنه في حال الهجوم من قبل العجمان وسماع أول طلقة من العجمان، يقومون بقتل ضيدان ومن معه فتم ذلك بعد هجوم العجمان على السرية السعودية ولكن فهدا رحمه الله لم يحسب حساب الأفراد الذين في سريته من العجمان فعندما علموا بقتل ضيدان قام أحدهم بقتل فهد فزادت المشكلة مع ابن سعود تعقيداً د. عبدالله بن عثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص٢٣٠ .

جماعة العجمان ، وهزمت القوات السعودية ، واستولى العجمان على مامعهم من ركائب وخيل وسلاح ومؤن.

فهرب العجمان الى الشمال بقيادة زعيمهم الجديد (نايف بن ضيدان بن حثلين) ونزلوا في "الوفرة" قرب الكويت، والتف حولهم من لم يشترك في المعركة، ولحق بهم من يريد الكسب من مطير بقيادة "جاسر بن لامي"، كما انضم إليهم فرحان بن "مشهور" من الرولة، وتجمعت فلول معركة "السبلة" حتى بلغ عددهم أربعة آلاف مقاتل.. وشفي الدويش من جراحه أو كاد ، ثم سار بمن معه من مطير والتقى بنايف ومن معه، وروسوه على الجميع، واشتد ساعد "أبي الكلاب" بالدويش، واجتمعت فلول العصاة ، وكل طامع في الربح من الحرب ، ومن يرجح الشر على الخير.. فانتهج الدويش في عصيانه شن الهجمات على المارة، وقطع الطريق ، والإغارة على الآمنين ، لنشر الفتنة والذعر بين الناس ، وخلق ظروف غير مستقرة في

البلاد ومحاولاً اختراق التلاحم الوطني والترابط الاجتماعي الذي تعب في بنائه الملك عبدالعزيز.

فأغاروا على سبيع والسهول في القاعية، ودارت بينهم معركة "القاعية" في ربيع الأول ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، وفي معركة أخرى مع أمير حائل "عبدالعزيز بن مساعد" في "أم رضمة" قتل فيها "عزيز الدويش" قائد حملاته ووريثه في زعامة القبيلة.

وقد اتضح للملك عبدالعزيز أن معركة "السبلة" لم تحسم الموقف مع هؤلاء المتمردين فدعا الملك عبدالعزيز إلى اجتماع آخر في'الشعراء' وجمع أهل الرأي والمشورة في جمادى الأولى ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ومما قاله الملك عبدالعزيز في هذا الاجتماع "لم تردع المفسدين موعظة، ولم يحجزهم إسلام، ولم يمنعهم عهد، ولم يفد فيهم عطاء، ولم يؤلف قلوبهم معروف، خرجوا عن الطاعة، وفارقوا الجماعة، وظاهروا المارقين، فخفروا ذمة المسلمين، وأفسدوا في

الأرض "بعد إصلاحها" وقطعوا السبيل وأخافوا الآمن وقتلوا البريء".

لا نريد أن نشهد في بلادنا بعد اليوم -بحول الله وقوته- مثل هذا الحادث ولا مثل هذه النزاعات الشيطانية لينصرف كل واحد منكم إلى جماعته يستشيرهم فيما يرون، وموعدنا غدا في هذا المكان لتعلنوا آراءكم، وفي اليوم التالي عاد المؤتمرون، وفي جعبة كل واحد منهم رأيه الخاص فدارت المناقشات برئاسة الملك عبدالعزيز التي استمرت أربع ساعات ثم تمخض الاجتماع عن الاتفاق على ما يلي:-

١ - كل من اشترك في الفتنة يؤخذ ماله وجميع ما لديه من جيش (إبل) وخيل وسلاح.

٢ - كل من كان متّهماً ولم يجاهد مع المسلمين ، تؤخذ منه شوكةالحرب(الذلول والفرس والبندق).

٣ - كل ما يؤخذ من الخارجين يمنح للمجاهدين مع الملك عبدالعزيز.

٤ - يرسل إلى الهجر التي فيها أناس من أهل المعارضة، أمير معه قوة ، لينظر في أمرهم بما تقضي به الشريعة والمصلحة العامة.

٥ - كل هجرة غلب التمرد علىأهلها يطردون منها، ويفرّقون بين القبائل ، ولا يسمح لفريق منهم بالاجتماع في مكان واحد.

٦ - ترسل السرايا لإنفاذ هذه المقررات في خلال عشرة أيام.

٧ - بعد إنفاذ هذه المقررات ، تنحدر جميع الرايات في الحال إلىأطراف الحدود، حيث يقيم العصاة.

وبعد ذلك عاد إلى الرياض وأعلن النفير لحرب المتمردين الفارين إلى جهات الشمال ، وقرر اجتماع الوحدات الغازية في شعيب (الشوكي) الذي يبعد مائة كيلو متر شمال الرياض وعهد بتدبير شئون البلاد إلى نجله الأمير (الملك) سعود مدة غيابه حيث سوف يقوم بنفسه بقيادة الحملة المنصورة ، فتوجه بسيارته إلى "الشوكي"في موكب مهيب مكون من عدد من السيارات

التـــي تحمـــل أفــراد الأســرة والعلمـــاء وعليـــة القـــوم وأعيانهم.. ثــم خيـم فــي الشـوكي فــي ١٣٤٨/٦/٢٨هـ أول ديسمبر ١٩٢٩م بانتظار اجتماع الجيوش الغازية.

ولما علم زعيم التمرد "فيصل الدويش" بما قام به الملك عبدالعزيز أهمه ذلـك وأقض مضجعـه فـأراد أن يخدع الملك عبدالعزيز بحفنة من الكلمات الاستعطافية وعدد من جمل التملق، ولكن الملك عبدالعزيز لا يخدع إذا لم يــرد ذلـك ، لأن مـن دهـاء الملـك عبدالعزيـز أن ينخدع للضعيف ، ويقول "من خدعنا بالله انخدعنـا لـه" أما في مثل هـذا الموقـف فإنـه مـن المتعـذر أن ينخـدع لهـذا المتمـرد الـذي نقـض العهـد عـدة مـرات. أرسـل "الدويش" مندوبـه بكتـاب إلـى الملـك عبدالعزيـز يطلـب العفو ثم يقـول (لا تضطرنـي إلـى دخـول بـلاد الكفـر) يحارب المسلمين وينقض البيعة لإمام المسلمين ويخرج عليهم ثم يتحرج مـن دخـول ديـار الكفـر كمـا يسـميها. فأجابه الملك عبدالعزيز بأنه لا مفر مـن "العقـاب" وأنــه لم يكتب له ويطلب العفو إلا بعـد أن سـدت فـي وجهـه

المسالك ، وأما "الأمان" فإنه يمكن تأمينه على حياته إذا أتى بمن معه مستسلمين خاضعين لحكم الشرع الذي لا محيد لهم عنه، بعد نكث البيعة ، وشق عصا الطاعة، وإشهار السلاح في وجوه المسلمين ، وقطع الطريق.

فأمر الملك عبدالعزيز بأن تتحرك الجموع من "الشوكي" باتجاه "الدبدبة" و"الدو" مكان تجمعهم في "ظرابين" الدبدبة" ولما سمع الشراذم الذين تجمعوا حوله للنهب والكسب بمسير الملك عبدالعزيز وما معه من الجيوش الجرارة التي لم يسمعوا بمثلها من قبل قالوا "جاءنا عبدالعزيز بمائة وخمسين راية ولا قبل لنا به.."، فتفرقوا من حوله (قبل وصول الملك عبدالعزيز) ولم يبق معه إلا قلة من رجاله وكان له أعداء من شيوخ بادية العراق موتورين منه ، ومنهم "عبدالمحسن الفرم من شيوخ حرب ، وابن طواله ، وابن سويط"، فاتفقوا على مهاجمته فأغاروا عليه في ١٨/٧/١٣٤٨هـ وأخذوا ما معه ، ودخلوا خيمة الدويش ونهبوا ما فيها، ثم أحرقوها، فلجأ رجاله إلى بادية العراق ثم لحق بهم

بأهله ، ولكنه طورد من قبل بادية العراق، فاتجه إلى الكويت ولما علم الملك عبدالعزيز بهروبه إلى الكويت وهو في "حفر الباطن" أبرق في ٥/٨ إلى المندوب السامي البريطاني في العراق يذكره بالاتفاق الذي بينهم بعدم إيواء العصاة من الطرفين .. "وها هم أولاء قد دخلوا في الكويت فإما أن تطردوهم وأما تسمحوا لنا بمطاردتهم أينما ذهبوا ".

ثم أبرق له المندوب السامي البريطاني يخبره بأن فيصل بن سلطان الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن لامي "معتقلون في بارجة بريطانية .. وكانوا قد استسلموا بالجهراء" يوم ١٣٤٨/٨/٨هـ فأبرق الملك عبدالعزيز للمندوب طالبا تسليمهم إليه تنفيذا للاتفاقية بتبادل تسليم المجرمين .. ثم زحف الملك عبدالعزيز بجموعه إلى (خباري وضحا) قرب الكويت، وفي صباح يوم ١٣٤٨/٨/٢٨هـ هبطت الطائرة فنزل منها "ديكسون" المعتمد البريطاني في الكويت، وقائد البارجة ومعهما "فيصل الدويش ونايف بن حثلين وجاسر بن

لامي" فأمر بإرسال المتمردين إلى "المخيم" ثم نقلوا إلى الرياض ومنها إلى سجن "الأحساء" "الدباب" الذي يقيم فيه رابعهم سلطان بن بجاد .. وقد لقي حتفه في سجنه عام ١٣٥٠هـ ، أما ابن بجاد وابن لامي وابن حثلين فماتوا في عام ١٣٥٣هـ فتوجه العجمان ومطير بأطفالهم ونسائهم إلى الملك عبدالعزيز فعفا عنهم وفرقهم على "الهجر" ومن ثم استتب الأمن وساد الاستقرار والسلام[1].

---

(١) نقلاً بتصرف من كتاب الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز لخير الدين الزركلي ، فتنة الدويش ، ص١٠٧ - ١٢٧ .

الخلاف بين الإمام يحيى
والملك عبدالعزيز

كانت نظرة الإمام يحيى بن حميد الدين إلى انتصارات الملك عبدالعزيز وتوحيده للمملكة نظرة استياء وامتعاض يشوبها الخوف من اكتساح "اليمن" مع أن الملك عبدالعزيز قد قال بنفسه حينما أشاروا عليه بالتاج المثلث: مكة، الرياض، صنعاء قال "اليمن ليست لي" ولكن الإمام يحيى قد سيطر عليه الخوف وركبه الحسد فكانت من الفرص التي انتهزها تأييده لما قام به أمير شرق الأردن الملك "عبدالله " من تمويل حركة "ابن رفادة" وإيواء الأدارسة الذين فروا ولجأوا إلى اليمن وعناصر الشغب من أتباع "ابن رفادة" وكانت هذه من الخلافات التي بدأت تظهر واضحة ومكشوفة، وإن كان يظهر للملك عبدالعزيز الأخوة والصداقة، وأنه وإن تعاطف مع هؤلاء فإنه يبرر هذه التصرفات بخطابات معسولة الكلمات ومنمقة الأساليب، لكن الفعل يخالف القول.

وقد طلب الملك عبدالعزيز من إمام اليمن تسليم عناصر الشغب من أتباع "ابن رفادة" حين وصولهم إلى

"اليمن" فأنكر وجودهم لديه، كما أنه قد طلب من الملك العفو عن الأدارسة الذين فروا من وجه الجيش السعودي ودخلوا اليمن، فأجابه الملك عبدالعزيز ووافق على بقائهم في اليمن وعين لهم مرتبات شهرية وهم في اليمن.

ولكن الإمام يحيى اتخذ منهم أداة "ضغط" يناور بها على الحدود السعودية اليمنية فطلب الملك عبدالعزيز الاتفاق على الحدود بين البلدين وإيقاف هذه المناوشات الحدودية فوافق الإمام يحيى على ذلك، فأرسل الملك عبدالعزيز وفداً إلى اليمن ، ولكن الوفد علم بأن جيش الإمام يحيى احتل "بدراً" وما حولها فعاد الوفد أدراجه ، فعلم الملك عبدالعزيز أن الإمام يحيى يقوم بمناورته تلك تغطية لنياته التوسعية، فأعد الملك عبدالعزيز الجيش اللازم لمقابلة الجيش اليمني ومع أن المفاوضات قد استمرت بين الطرفين.

فأرسل الإمام يحيى خلالها وفداً إلى أبها للنظر في مسألة الخلافات الحدودية ، فاتضح للوفد السعودي

أن الوفد اليمني يحاول عدم الاعتراف بالمعاهدات السابقة ، وأن أطماعهم قد زادت ، وأنهم لا يعترفون بالوضع القائم ، وفي أثناء جلسات الوفدين شجع الإمام يحيى عبدالوهاب الإدريسي بإثارة القبائل وتحريكها ضد السلطة السعودية وجنود الإمام يحيى مازالت تتنقل في الجبال، فاحتلت بعض جبال (تهامة) وأرغموا أهلها للخضوع للإمام يحيى والتنكيل بمن لم يخضع لهذه الرغبة ، فاضطر الملك عبدالعزيز إلى تجهيز جيش بقيادة ابن أخيه الأمير "فيصل بن سعد بن عبدالرحمن" وتوجه إلى عسير لمقابلة الجيش اليمني الذي يواصل تعدياته على الأراضي السعودية داخل الحدود المتفق عليها سابقاً، فعسكرت هذه القوة في الخميس وعددهم سبعة آلاف مقاتل وفي ١٣٥٢/١٢/٦هـ الموافق ١٩٣٤/٣/٢١م أصدر الملك عبدالعزيز أمره إلى ولي عهده آنذاك "الملك سعود" بأن يتقدم بقوات أخرى باستعادة ما استولى عليه الجيش اليمني من تلك الجهات، ولما فشلت المفاوضات تحركت تلك القوات

حتى وصلت إلى بلاد (وادعة) فتقدم "فيصل بن سعد" بمن معه من الجنود إلى (باقم) وحاصرها وتوجه قسم من تلك القوات إلى (نفعة) بقيادة "خالد بن محمد بن عبدالرحمن" حتى سلمت وتقدمت القوات الاحتياطية بقيادة الأمير محمد بن عبدالعزيز لمساعدة أخيه "الملك سعود"، حتى وصلت تلك القوات إلىنجران وأخرجت منها جنود اليمن الذين احتلوها، وتم تحريرها، ثم صدر الأمر الملكي على الملك "فيصل بن عبدالعزيز" النائب العام في الحجاز آنذاك بالتوجه إلى هناك، وكانت فرقته مزودة بالأسلحة الحديثة والرشاشات المتطورة فجاء عن طريق الساحل فاجتاحت قواته كثيراً من بلدان الساحل وأخلتها من الجنود اليمنية وهاجم (ميدي) ومنها تقدم إلى (الحديدة) وهي البلدان التابعة لنفوذ الأدارسة الذين تنازلوا عن حدودهم لملك المملكة العربية السعودية بعد الاتفاق معه على ذلك

ودخلها فيصل في ١٣٥٣/١/٢١هـ[1].

ولما أصبح الإمام يحيى في مـأزق حـرج، طلـب من قادة العالم الإسلامي والعربي التوسط بينه وبين الملك عبدالعزيز بن سعود بإيقاف الزحف والاكتفاء بما حقق من نجاح في معاركه، فاستجاب الملك عبدالعزيز وشكل وفداً اجتمعوا في "جدة" مع وفد الإمام يحيى حميد الدين في يوم الإثنين ١٣٥٣/١/٣هـ وأبرق الإمام بطلب إيقاف القتال وهو مستعد للتفاوض المثمر فانبثق الاجتماع عن اتفاق،ومن بنوده التخلي عن جبل نجران الذي فيه الخلاف، وإخلاء الجبال من الجنود، وإطلاق الرهائن، وتسليم الأدارسة، ولكن الإمام يحيى توقع أنه سوف ينال شيئاً أفضل من هذا الاتفاق بالقتال.

فتقدمت القوات السعودية بعد ذلك حتى وصلت بلاد "الطائف" جنوب الحديدة وهي غير الطائف

---

[1] يذكر الدكتور عبدالله العثيمين ٢٨٤/٢ أنه دخلها في ١٣٥٣/١/١٣هـ ، ومرجعه في ذلك العقيلي ١١٣٤/٢ ، كان دخول الجيش السعودي (لميدي) ١٣٥٣/١/١٣هـ ودخوله إلى الحديدة ١٣٥٣/١/٢١هـ ، وكان إيقاف القتال في ١٣٥٣/١/٢٩هـ الموافق ١٩٣٤/٥/١٣م ، العثيمين ٢٨٦/٢ .

المعروفة في المملكة العربية السعودية وتعد الطائف اليمنية مرفأً لقبائل الزرانيق وبيت الفقيه والزيدية وغيرهم ، ولما رأى الإمام يحيى تفوق القوات السعودية وأنها أصبحت داخل اليمن ولم يبق عليها إلا التقدم إلى صنعاء ، رضخ للأمر الواقع ووافق على ما تضمنه قرار المجتمعين، وأخلى الجبال، وأطلق سراح الرهائن، وأمر بتسليم الأدارسة ، وتوقف القتال، وبقيت القوات السعودية مكانها التي انتهى عندها الزحف، وأرسل الإمام وفداً إلىالملك عبدالعزيز يفاوض من جديد لإنهاء جميع الخلافات، فالتقى الوفد اليمني مع وفد المملكة بمدينة الطائف السعودية وكان رئيس الوفد اليمني عبدالله بن الوزير ورئيس الوفد السعودي "الملك خالد بن عبدالعزيز" رحمه الله.

وقد انتهى الاجتماع بإعداد معاهدة صلح بين الطرفين توجت بتوقيعها من كل من الملك عبدالعزيز والإمام يحيى وأرسلت منها نسخة للأمير فيصل المنتصر الذي ينتظر في مكان المعركة ما يسفر عنه

الاجتماع للإشراف على تنفيذ مواد "الاتفاق" والتي بموجبها تخلى الملك عبدالعزيز عن "الحديدة" للإمام يحيى وانتهت الفتنة وساد التفاهم بين البلدين[1].

---

[1] عن كتاب " تاريخ ملوك آل سعود " الأمير سعود بن هذلول ٢٢٠ - ٢٢٦ بتصرف ، وتعد الطائف السعودية المنتجع الجبلي الذي تبتلعه جبال الهدا الخضراء المطلة على سهول مكة والمشاعر المقدسة.

الأدارسة

يرجع تـاريخ الأدارسـة فـي عسـير إلـى مؤسـس الأسرة أحمد الإدريسي الذي ولد في بلدة العرائـش فـي المغرب عام ١٧٨٥م، وقدم إلى مدينة "صبيا" في مطلع القرن التاسع عشر، صوفي المذهب ، شاذلي الطريقـة، توجـه إلـى مكـة عـام ١٧٩٩م والتقـى فيهـا بالسـيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل مفتي "زبيد" باليمن ولمـا عاد الأهدل إلى "زبيد" دعا أحمد الإدريسي لزيارته فـي بلدة "زبيد" في اليمن فتوجه الإدريسي لزيارته في بلدته فمر بمصـر ثم جـازان "والحديـدة" وهـو فـي طريقـه إلـى"زبيـد" فاستقبله الأهـدل عنـد وصولـه "زبيـد" ولمـا استقر به المقام أخذ يبشر بعقيدته، ويدعو إلـى طريقتـه الصوفية، والتف حوله مشائخ وعلماء الطريقة، واجتمع عليـه فئـام مـن النـاس ، فكـانت "زبيـد" مركـز نشـاطه، يطوف فـي تهامـة ثـم يعـود إليهـا، فتسـابق النـاس إلـى اعتناق دعوته، ونشر طريقته، ثم أجاز طريقته للأهـدل وأولاده إجازة عامة، فتسلسـلت الطريقـة بعـد ذلـك فـي بيت الأهدل، وقد سـمى طريقتـه بـ " الأحمديـة " نسـبة

إلى اسمه ، وأما حقيقتها فهي الطريقة الشاذلية ، فهي لا تختلف عن بدع الشاذليين ثم اتجه الإدريسي شمالاً فزار "الحديدة" و"مراوغة" و"باقل" ، ثم توجه إلى "صبيا التابعة" "لأبي عريش" فاستوطنها واستقر فيها حتى توفي عام ١٨٣٧م بعد أن خلف ثروة هائلة جمعها من استغلال السذج بطريقته المبتدعة حتى ظنه الجهال ولياً من الأولياء ، فكانت دعوته هذه سبباً في جمع ثروته الطائلة التي تتمتع من خلالها أسرته بالنفوذ والجاه الكبير والسلطان العريض،والهالة الدينية التي اعتمد عليها حفيده "محمد بن علي بن أحمد الإدريسي" الذي أسس فيما بعد إمارة الأدارسة في عسير ، وقد ولد في "صبيا" ١٨٧٦م ، وتلقى تعليمه في "الأزهر" ، ثم في مدينة (الكفرة) مقر السنوسيين في "برقة" في "ليبيا"، وجاء منها إلى السودان فأقام في "أرجو" بدنقلة، وتزوج بابنة الشيخ السوداني هارون الطويل شيخ الطريقة الأحمدية، ثم عاد "محمد الإدريسي" إلى عسير مسقط رأسه في أوائل القرن العشرين وقت حكم العثمانيين

لها ، وقد نجح الإدريسي في استمالة رؤساء العشائر في عسير، كما انتهز فرصة النزاع القائم بين مشايخ البلاد، فأعان بعضهم على بعض حتى كانت له السيادة عليهم، ثم مد الإدريسي سيادته شمالاً وشرقاً في الجبال المحيطة بعسير فجمع عدداً من العشائر تحت سيطرته فاستولى على "حاشد" و" بكيل" حتى أصبح عام ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م شخصية قوية تهدد "صنعاء" ، ولم يهتم به العثمانيون في أول أمره ، وعدوه رجل طائفة دينية ينتهي نشاطه بوفاته، كما أن الشريف بمكة قد تجاهله حتى استفحل أمره ، واتسع نفوذه وتطور خطره، وكان الإمام يحيى الوحيد الذي أدرك حقيقة خطره ، وأهمه ظهوره وحسب ألف حساب لنشاط حركته التي تجاوزت "المخلاف السليماني" ووصلت دعوته إلى "صعدة" مركز الزيدية باليمن ، واعتنقوا تعاليمه الصوفية ، ودانوا لها ، وأعطوه ولاءهم كاملاً فاضطر الإمام "يحيى" إلى التحالف معه والاعتراف به ليواجهوا الدولة العثمانية معاً المسيطرة على صنعاء

وقد ساعدت إيطاليا الإدريسي حتى تورط الدولة العثمانية بحرب معه لإشغالها عن الإيطاليين حتى يحققوا مطامعهم فى"ليبيا"، وقد رحب الإدريسي بهذه المؤازرة من إيطاليا لأنها توافق رغبة في نفسه لتوسيع نطاق نفوذه وتجاوز المخلاف السليماني الواقع تحت سيطرته امتداداً لما كان قائماً بين حكام (صبيا، جازان) من علاقات ومعاهدات سابقة مع حكام آل سعود في السابق، فقد كتب محمد الإدريسي إلى الملك عبدالعزيز بعد ظهوره يطلب الانضمام إلى سلطته فأجاب طلبه، وأقره الملك عبدالعزيز على بلاده، وقد ارتضى الحسن الإدريسي من تلقاء نفسه بقاءالسلطة تحت سلطة الملك عبدالعزيز، ولكن تدخل "حسين الدباغ" من حزب "ابن رفادة" أفسد هذه العلاقة الطيبة بين الأدارسةوآل سعود، ولما علم الملك عبدالعزيز بما بدر من "الدباغ" وحزبه، وتجاوب الإدريسي معهم ، كتب عبدالعزيز إلى الإدريسي في ١٣٥٠/٦/٢٨هـ يحذره من مغبة متابعة أمثال هؤلاء المفسدين، فأجاب الإدريسي الملك

عبدالعزيز بأنه على الولاء والإخلاص والعهد السابق، ولكنه ناقم على عامله "فهد بن زعير" والمفتش "تركي بن ماضي" فقط وهو غير جاد بما يقول- ، وبقي تلك الفترة يراوغ في إجابته للملك عبدالعزيز.

وفي ١٣٥١/٧/٥هـ هجم الإدريسي على عامل الملك عبدالعزيز "فهد بن زعير" واعتقله، وتولى حكم البلاد بنفسه، وجاءه المدد من حزب "الأحرار"، ولما علم الملك عبدالعزيز بما فعله الإدريسي بعث قوة إلى جازان فدخلت مدينة جازان دون أدنى مقاومة في ١٣٥١/٧/١٨هـ، فهرب "الحسن الإدريسي" إلى "صبيا" وهرب "الدباغ" مندوب الحزب وألقى بنفسه في البحر فغرق فيه وقبض على رفيقه "علي يماني" ، ثم فر "الحسن الإدريسي" إلى جهة قبلة المسارحة فدخلوا "صبياً" وصامطة و"أبي عريش" وهرب الأدارسة إلى

اليمن بعد اليأس من الانتصار واستقروا باليمن تحت حماية الإمام يحيى[1].

---

(1) تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر ، د/ محمد حسن العيدروس ص٣٦٨ ، كتاب تاريخ ملوك آل سعود ، تأليف الأمير سعود بن هذلول ، ص ٢١٣ - ٢١٦ .

خروج "ابن رفادة"
على السلطة الشرعية

المعارضة أساس المعادلة لكل ما يجري في الساحة على مختلف الأصعدة ، وهي تيار مستمر في كل جانب من جوانب الحياة ، موجود في كل زمان ومكان، وهو يمثل الرأي المعاكس أو الاتجاه الآخر ويتبناه ويرفع شعاراته الخارجون على الإجماع السائد، ويظنون أن المصلحة الوطنية في رفض الوضع القائم، والهرولة إلى التجديد، وقد يكون في رفض القادم الجديد، والإبقاء على القائم التليد ، وهو ظاهرة صحية إذا لم يأخذ بخط التطرف ، فهو شبيه بالأمراض والعاهات التي تلم بالأجسام السليمة، وتعرضها للأعياء فترة زمنية معينة، لإيقاظ الغافل من سبات غفلته، وحتى تعد المعارضة ظاهرة صحية لابد أن تكون نتاج أفكار متطورة راقية، ومبنية على أسس علمية، ومقاصد سامية نبيلة حتى يمكن أن تكون وسيلة ضغط أو ثقل معادل يؤدي إلى توازن القوى المؤثرة في الأحداث، وحمل السياسة القائمة على انتهاج الخط المستقيم، ولكن إذا أخذت طريق التطرف والعنف،

وأصبحت خلية من خلايا الإرهاب، والجرائم المنظمة تحول المنشقون إلى عامل تخريب وفساد يجب التصدي لهم ومحاصرتهم، وضرب تجمعاتهم بيد من حديد حتى لا تجر معارضتهم البلاد إلى مأساة دموية نهايتها غير محددة ، وحينما استطاع الملك عبدالعزيز بزعامته التاريخية، وذهنيته القيادية المبدعة، وأفكاره المتطورة أن يخرج بالجزيرة العربية من منعطف القبلية المفرطة، ويتجاوز بها حدود الزعامات الانفصالية إلى وحدة وطنية متماسكة، ومجتمع منسجم تتعايش فيه الأجناس البشرية المختلفة، فأغضب نجاحه الفريد حشداً من الحاقدين والحاسدين الذين أرادوا هدم البناء العالي ، وتقويض الحصن المنيع ، فشقوا عصا الطاعة ، وخرجوا عن إجماع الأمة لإجهاض المكاسب الوطنية التي حققها الملك الباني ، وكان وجود مجرد المعارضات من الأمور المعتادة التي تنطوي عليها الطباع البشرية ، ولكن أن تقوم بمجابهات مسلحة فلابد من قمعها بالسلاح الذي شهرته -من باب المعاملة

بالمثل-، وكان الملك عبدالعزيز يدرك أن تحقيق المكاسب الوطنية والسياسية لابد أن يصحبها دور فعال في تحقيق الحماية والأمن لتلك المكاسب ، ولذلك فقد تصدى لكل معارضة هدفها زعزعت الأمن، وإيجاد حالة من الذعر وعدم الاستقرار، وخلق قاعدة للشغب والخلافات، وكان يتابع تلك الحركات باهتمام بالغ، ويجري وراء نشاطها المتسارع، حتى خنق أصوات أصحاب الميول العدوانية، ولكن لابد للمشكلات من ذيول، فقد أعلن الشريف عبدالله بن الحسين أميرشرق الأردن اعتراضه علىالصفاء بعداللقاء الذي تم بين الملك عبدالعزيز وأخيه "فيصل" ملك العراق معرباً عن أسفه أن يصافح أخوه اليد التي دكت عرش والده "الحسين" في الحجاز وأبعدت أخاه "علي بن الحسين" من جدة، كما غاظه اجتماع القلوب على أرض الجزيرة العربية فأراد مقاومة ذلك الاتفاق، فالتف حوله جماعة من الحاقدين الذين كانوا يضمرون الحقد للملك عبدالعزيز، وبث الدعاية السيئة ضد الوحدة الوطنية،

فألف "الدباغ" حزباً سرياً بتشجيع وتمويل من الشريف "عبدالله بن الحسين" للقيام بنشاط مسلح ضد الملك عبدالعزيز وتعهد له بالحماية والمال، وسمى هذا الحزب (بحزب الأحرار الحجازي) ومن أعضائه عبدالله بن الحسين والشريف زيد بن شاكر والشريف "خالد" من بني غالب، و"حسين الدباغ" المحرك والمنظم والمنسق للحزب، وأسندت رئاسته إلى طاهر الدباغ سكرتير ورئيس الحزب الوطني الحجازي السابق الذي كان قد طالب "الحسين" بالتنازل عن العرش في الحجاز لابنه "الشريف علي"، ثم أمده بالمال حتى سافر إلى مصر، فألف فرعاً للحزب هناك يضم مجموعة من المنشقين، واجتمع هؤلاء المنشقون (بحامد بن سالم بن رفادة "الأعور")[1]، وكان من مشايخ بلي الذي سبق أن انزلق في أول الأمر في تيار المعارضة ظناً منه أن

[1] لقد سبق أن تمرد على الشريف علي وسحب يده من طاعته والتجأ إلى الملك عبدالعزيز وعاهده على السمع والطاعة ولكنه عاد إلى نقض العهد كما نقض العهد الذي كان بينه وبين الشريف ، وآل رفادة شيوخ قبيلة " بلي " من قضاعة اليمانية تسكن شمال الحجاز في أطراف " الوجه " وبعد فتح مكة تنكر للملك عبدالعزيز ونقض العهد فهرب إلى مصر سنة ١٣٤٧هـ ، الزركلي الوجيز ص١٥٦.

لمعارضته شأناً يقف في وجه تقدم الملك عبدالعزيز، ولكن معارضته تلك باءت بالفشل، وعرضت مكانته الاجتماعية للزوال، وحياته للهلاك فطاردته قوات الملك عبدالعزيز حتى هرب إلى الشمال، ومنه إلى مصر، ولكنه وجد شراذم تؤيد انحرافه، وتبارك عصيانه ، ولم يكن "حامد بن رفادة" بالشخصية المرموقة حتى يستحق الزعامة، ولكن المغرضين شحنوا أفكاره ، وزجوا به في التيار المعاكس، فكان العنصر النشاز في هذه المجموعة الخاسرة ، ثم التقت أفكار تلك المجموعة بالأدارسة زعماء المخلاف السليماني (جازان) واتفقوا معهم على الاشتراك بالعمل في الحزب المعادي للملك عبدالعزيزوالمناهض لحكمه، ولكن إفلاس الشريف الممول للحزب قد دعاه إلى اللجوء إلى خديعة الخديوي عباس، وطلب منه أن يمدهم بالمال مقابل أن تتم له البيعة بعد نجاح العملية، وأن تبدأ المعركة بواسطة "حامد بن رفادة" في الشمال تتبعها حركة من قبل "الأدارسة" في الجنوب (تهامة)

وبعد اجتماع حسين الدباغ في مصر ببعض العناصر سافر إلى "مصوع" ومنها إلى "عدن"، ثم إلى "لحج" وكتب تقريراً عن رحلته هذه إلى زيد بن شاكر، ثم سافر إلى صنعاء لاستمالة الإمام "يحيى حميد الدين" فلم يوفق بإقناعه إلا أنه قوبل بوعد من ابنه أحمد بالتأييد ومساعدة الأدارسة في حالة اشتباكهم مع ابن سعود، فوافقت هذه الدعوة رغبة في نفس "الحسن الإدريسي" فنقض العهد الذي أبرمه مع الملك عبدالعزيز وأيد "ابن رفادة" و"محمد أبو طقيقة" ومن معهما ، ثم سافر إلى "النقب" بالأردن في أول محرم سنة ١٣٥١هـ ، ثم توجه "حامد بن رفادة" وأبو طقيقة متسللين من الحدود الشمالية الغربية سالكين طريق الساحل ومعهم أربعمائة مقاتل حتى وصلوا إلى "طابة" نقطة الحدود المصرية ثم اجتازوا العقبة بالأردن وبعث "الشريف عبدالله بن الحسين" رسالة شفوية للملك عبدالعزيز يخبره بأنه عدوه اللدود، وأنه سوف يبذل قصارى جهده للبطش به، ومساعدة كل من يعاديه

ويحاربه، ولما علم الملك عبدالعزيز بما يدبره له الشريف عبدالله أمير الأردن من مكائد ومساعدة العناصر الحاقدة الذين حملوا السلاح في وجوه إخوانهم وأقبلوا بمساعدة الشريف لشن الحرب على الآمنين، أصدر الملك عبدالعزيز أمره بالتعبئة العامة وجهز حمله بقيادة "عبدالله بن عقيل"، فسلكوا طريق تبوك، ومنها إلى "حقل" و"البدع" وحملة أخرى تحملها السيارات بقيادة عبدالله بن حلوان ومحمد بن سلطان وتوجهت تلك الحملة إلى ضباء في الساحل الشمالي، وأمر بالقبض على كل من يظن بأن له ضلعاً في الحركة الفاشلة[1] ، وحذر من التجمعات المشبوهة المغرضة والأحزاب المضللة والتنظيمات الفاسدة وكتب لبريطانيا يخبرها بما بدر من عميلها الشريف عبدالله حاكم شرق الأردن، وتحريضه للحاقدين، وإمدادهم بالمؤن، والسلاح، وأن ما فعلوه تحت نظر بريطانيا يعد خرقاً للاتفاقات والمعاهدات المعقودة بين

---

(1) نقلاً من تاريخ ملوك آل سعود للأمير سعود بن هذلول ، ص٢٠٩ .

الدولتين،فقامت بريطانيا بمنع الصادرات من الأرزاق، والمؤن، وآلات الحرب "لابن رفادة" ومن معه عن طريق شرق الأردن، وبعثت الدوريات على الحدود لمراقبة تنفيذ الأمر، وأرسلت باخرة حربية إلى ميناء "العقبة" تشرف على الموقف، وتحول دون تدبير حاكم الأردن وحزبه من أعمال سيئة ، ثم صدر بلاغ من المندوب السامي البريطاني في شرق الأردن يتضمن منع كل المساعدات بأشكالها المارة عن طريقها إلى الحزب الناقم على حكومة الحجاز، وأمر باتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بوضع هذه الأوامر موضع التنفيذ، فلما ضمن ابن سعود أن "ابن رفادة" لن يتمكن من الهرب إلى الأردن وكان ابن رفادة ومعه أربعمائة مقاتل قد وصلوا إلى جبل "شار" وتحصنوا به داخل الحدود السعودية قريباً من "ضباء" أوعز ابن سعود لأهل ضباء أن يكتبوا إلى ابن رفادة ويطلبوا منه الحضور إليهم لاحتلال بلادهم ومناصرته، ولما وصله ما كتبوا صدق ظنه ونزل من الجبل هو ورجاله

وتوجهوا إلى ضباء ، ولما توسطوا من الأرض المكشوفة للجيش السعودي طوقوهم من كل جانب وفي يوم السبت ١٣٥١/٣/٢٩هـ هاجمت تلك الجيوش هؤلاء العصاة البغاة ، ومن قاوم منهم قتل، كما قتل في هذه المعركة ابن رفادة وأبو طقيقة زعماء هذه الفتنة، وقبض على من بقي على قيد الحياة ، ولم يتمكن أحد منهم من الهرب فقطع دابر الفتنة.

وأمر الملك عبدالعزيز رئيس تحرير صحيفة أم القرى بالرد على رسالة الملك عبدالله في العدد الصادر في ١٣٥١/٤/٢هـ التي حملها إليه الأستاذ الجامعي إحسان سامي أستاذ اللغة العربية في جامعة "عليكرة" في الهند ونشرت في جريدة "المقطم" التي تصدر في مصر، وقد جاء فيها: "إذا كان الشريف عبدالله يرى نفسه العدو اللدود لابن سعود، فإن ابن سعود على عكس ذلك، يرى أنه صديقه الحميم الودود، لأن جميع الأعمال التي عملها الشريف ضد ابن سعود كانت نتائجها من أحسن النتائج التي قوت مركز ابن

مسعود من تجهيز الجيوش بما غنمه من الترك في المدينة ، وبعثه مع جيشه للخرمة، وتربة فكانت غنيمة لابن سعود تقوى بها وآخر هداياه ابن رفادة وفئته الباغية، فقد جمعهم وبعثهم إلى ابن سعود لإلقاء القبض عليهم جميعاً بأقل التكاليف ، وأيسر السبل، وأن ابن سعود يعد هذا من المكاسب التي أنجزها له الشريف، ويعترف له بما قام به له من خدمة لم يقصدها وإنما قصد ضدها" وهكذا رد ابن سعود على رسالة الشريف برد مؤدب وفيه تهكم لاذع. وبعد ذلك أطلق صراح كل من قبض عليه على ذمة هذه القضية[1].

[1] نقل باختصار مع بعض التصرف من تاريخ ملوك آل سعود للأمير سعود بن هذلول ، ص٢٠٤ - ٢١٢ .

القسم الثالث:

إنجازات الملك عبدالعزيز وأهم أعماله أثناء التأسيس وبعده

الإصلاحات
في المسجد الحرام

لقد كان الملك عبدالعزيز يسير في كفاحه المتواصل بعدة مسارات: مسيرة الجهاد المضني، وضم أجزاء البلاد وتوحيد أقاليمها، ومسيرة البناء الطويلة في شتى المجالات في مجال التعليم والحركة الفكرية، وفي مجال التطوير والمشاريع الإنمائية، وفي مجال السياسة والعلاقات الدولية، وفي مجال الاقتصاد والوثبة النفطية، وفي مجال التنظيم والأعمال الإدارية، وفي مجال الأمن والخدمة الاجتماعية، يد تؤلف وتأسى، ويد تؤسس وتبني.

وكان من ضمن اهتماماته بعد فتح مكة إصلاحات المرافق العامة التي من أهمها المسجد الحرام، فأمر برصف المسعى وتنظيمه، وتبليطه بالرخام الحجري، وتنظيم ماء زمزم، ووضع مواقف للشرب والاغتسال، كما قام بتجديد باب الكعبة وعمل مظلات لأروقة المسجد الحرام تقي المصلين من حرارة الشمس، وتمنع عنهم الأمطار، وكان أكثر من موقع بحاجة إلىهذه النفقات،ولكن الملك عبدالعزيز قدم الحرم على غيره،

كما أمر رحمه الله برصف درج باب السلام، ولم تزل عين الإصلاح تلاحق الحاجات الملحة التي تنتظر إصلاح الصالحين المصلحين، وقد أنفق على هذه الأعمال الجبارة أموالاً طائلة.

وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله يهتم بتقويم السلوك، وتهذيب النفوس ، وكان وفق منهجه الإصلاحي إذا استعاد بلداً ودخلها أمر بإقامة شعائر الدين ، وإزالة ما يتعارض مع تعاليمه ، وأمر بإقامة الصلوات الخمس جماعة في المساجد بأوقاتها، ورتب القضاة، والمرشدين، والوعاظ، وأئمة المساجد، وأهل الحسبة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وتمشيا مع منهجه فإنه لما فتح مكة - وكان شائعاً فيها من آثار الأتراك شرب الدخان، والتهاون بأمور الدين، فأمر بمنع شرب الدخان في المسعى والشوارع المحيطة بالحرم ، وأخطر مروجي المحرمات والمتعاطين لها، وحدد جزاء أولئك حسب قواعد الشرع، وأمر الأهالي بإقامة الصلاة في أوقاتها جماعة

في المساجد، ومعاقبة من يتخلف عن ذلك ، كما أمر بتوحيد الجماعة في المسجد الحرام، وألغى تفرق الجماعات، وتعددها، وجمعهم على إمام واحد في جميع الأوقات، ووحد خطبة الجمعة، وصلاة التراويح، وأمر بتسوية القبور العالية ، وهدم القباب المشيدة عليها، والمزارات، وإزالة جميع ما يتعارض مع الدين الحنيف، تمشيا مع مبادئه العامة في كل بلد يقوم باستعادتها[١].

---

[١] راجع تذكرة أولي النهى ، ابراهيم بن عبيد عبدالمحسن ، ١٧٦/٣ .

كسوة الكعبة المشرفة
تصنع في مكة

كانت الكعبة تكسى منذ زمن بعيد من قبل الملوك والزعماء ، فقد كساها "تبع" ملك حمير، قبل الهجرة بمائتين وعشرين عاماً، كساها بالبرود المقصبة، وعمل لها باباً ومفتاحاً ، وكساها خلفاؤه بالجلد والقباطي -قماش مصري- ثم أخذ الناس يقدمون لها الهدايا من الكساوي المختلفة فيلبسونها على بعضها، وفي عهد قصي وضع على القبائل رفادة لكسوتها سنوياً، واستمر ذلك في عقبه، وكان المغيرة قبل الإسلام يكسوها سنة وقبائل قريش تكسوها أخرى، وقد كساها النبي صلى الله عليه وسلم بالثياب اليمانية، ثم كساها عمر، وعثمان، وعبدالله بن الزبير، وعبدالملك بن مروان، ولما حج المهدي سنة ١٦٠هـ شكا إليه سدنة الكعبة من كثرة الكساوي على الكعبة فأمر بإنزال الكساوي المتراكمة وإبقاء واحدة منها فقط، فتم ذلك وسار عليه السدنة حتى يومنا هذا.

وكان العباسيون يبالغون في العناية بكسوتها، وكانت تكسى بالحرير الأسود -شعارهم- وكانوا

يعملونها بمدينة "تنيس" المصرية التي كان لها شهرة عظيمة في المنسوجاب الثمينة، وكانت ثغراً لمصر في شمال دمياط حتى هدمها الملك الكامل ٦٣٤هـ، ولما ضعف العباسيون صارت الكسوة ترسل تارة من ملوك اليمن، وتارة من ملوك مصر، إلى أن استقرت في سلاطين مصر، فوقف عليها الملك الصالح قريتي "باسوس" و"سند بيس" من أعمال القليوبية، ومن ثم صارت ترسل الكسوة الخارجية السوداء إليها سنوياً، أما الكسوة الداخلية فهي من الحرير الأحمر، واختصت بالكسوة السوداء الخارجية مصر، وهي ثمان ستائر من الحرير الأسود المكتوب عليها بالنسخ، وفي كل مكان منها "**لا اله إلا الله محمد رسول الله**" وطول الستارة الواحدة نحو خمسة وعشرين متراً ، ومتوسط عرضها خمسة أمتار، وتعمل الكسوة في مصر سنوياً بدار فسيحة "بالخرنفش" وكل سنة تطور، ويدخل عليها بعض التحسينات، وتصرف مصاريف إعداد الكسوة من الأوقاف المصرية الخاصة بذلك.

وبعد حادثة المحمل في منى بمكة عام ١٣٤٤هـ يوم عيد الأضحى المبارك أمر الملك فؤاد الأول (ملك مصر) بالحجر على الأوقاف الخاصة بكسوة الكعبة، وأن لا ترسل (كالمعتاد) كسوة الكعبة احتجاجاً على منع "بدعة المحمل من دخول مكة على هيئته البدعية بالموسيقى، والأنغام في المشاعر المقدسة، وقد اعتاد حجاج الشام، والعراق، ومصر باصطحاب المحمل معهم وهو تقليد تركي تكون الموسيقى، والأنغام مع وقع خفاف الجمال وفي ١٠/١٢/١٣٤٤هـ ، يوم العيد بمنى رشقه الإخوان بالحجارة فأمر قائد حرس المحمل برشقهم بالرصاص، فقتل عدد من الإخوان، وتطورت القضية إلى قضية سياسية أدت إلى القطيعة بين البلدين"[1].

وقد وصل خبر المنع متأخراً في أول ذي القعدة، فقام رجال الملك عبدالعزيز المختصين وبأمر منه

---

[1] ص١٣٤ - ١٣٨ الرحلة الحجازية للبتنوني ، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ص١٢٦ - ١٢٧.
هذا وقد منعت حكومة مصر بعد الفتح كسوة الكعبة التي كانت تبعثها سنوياً باعتبارها المشرفة على صناعتها هناك وتصرف عليها من المتبرعين والمحسنين والأوقاف منذ مئات السنين.

بتجهيزها وخياطتها من الجوخ الأسود الفاخر المبطن، وعمل حزامها بالتطريز الفضي، وإنجازها قبل الموعد المحدد لارتدائها وهو يوم النحر من كل عام، وكانت هذه أول مرة في التاريخ تكسى الكعبة بإنتاج أيدي سعودية، وفي شهر ذي الحجة ١٣٤٦هـ أمر الملك عبدالعزيز بتأسيس دار لكسوة الكعبة فشرعت الجهة المكلفة من قبل الملك عبدالعزيز ببناء موقع للمصنع في أجياد، أمام مقر وزارة المالية، وأخذ العمال على عاتقهم إنجاز المبنى بسرعة، فانتهوا من البناء في أقل من ستة أشهر، فكانت هذه الدار أول دار أسست خصيصاً لحياكة كسوة الكعبة بمكة، في عهد الملك عبدالعزيز، وذلك في شهر رجب من تلك السنة، وكان عدد العمال يزيد على ستين فنياً وعاملاً، فأنجزت الكسوة في موعدها المحدد، وكتب عليها (هذه الكسوة صنعت في مكة المباركة المعظمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود أيده الله بنصره آمين ١٣٤٦هـ)،

فلما كان يوم النحر اليوم الذي تلبس فيه كسوتها الجديدة في كل عام كسيت بالثوب المصنوع في المملكة وما زالت تكتسي به عاماً بعد عام، فكانت في غاية الحسن والجمال ، ومحل إعجاب الحجاج والزوار، ولقد كانت مفخرة من مفاخر الملك عبدالعزيز المؤسس والباني، وكانت في وقتها من أكبر الإنجازات التي تهم المسلمين وتنال إعجابهم[1].

[1] راجع تذكرة أولي النهى ، إبراهيم بن عبدالمحسن ابن عبيد ١٧٦/٣.

بعض المشكلات الداخلية التي جدت بعد فتح مكة

- ١ -

لقد استطاع الملك عبدالعزيز السيطرة على الوضع بعد فتح مكة، وقاد المسيرة بنفسه محافظة على أرواح المواطنين من نزق وتطرف المحاربين، وبعد ضبط الأمور في مكة، توجه إلى جدة ليشرف بنفسه على تنظيم الأعمال العسكرية، والجموع التي تلح عليه بالهجوم على تحصينات "علي بن الحسين" وإنجاز المهمة بسرعة، ولكن الملك عبدالعزيز مراعاة لمشاعر العالم الإسلامي، ومحافظة على أرواح البعثات الدبلوماسية، والقنصليات الدولية تحمل مشقة الحرب الطويلة، وتكاليفها الباهظة ، ومضايقات قواته في سبيل نجاحه أمام الرأي العام، وطمعاً في حقن الدماء، وتجنباً لإزهاق الأرواح المدفوعة والمغرر بها، كما بعث ابنه محمداً لحصار المدينة المنورة ومنع الأعراب من الاقتراب من البلد حتى تسلم طائعة مختارة، فبقي مدة طويلة في ملاحقة قواته، لقوات العدو حتى انتهى

الحصار بالتسليم في كلا الجهتين بخسائر بشرية محدودة لا تكاد تذكر.

فكانت حروبه من أنظف الحروب التي واجهتها البلاد فيما مضى، وذلك لانتهاجه سياسة الحصار، وتحليه بالصبر، وطول النفس، كما سلك طريق استمالة الأهالي والأعيان، وإقناعهم بأن قصده من كل هذا راحتهم، ومحاصرة الفتن التي توقظها خلافات الزعماء الإقليميين وأطماعهم.

فنال بهذا الأسلوب إعجاب الرأي العام العالمي، وكسب مودة الأهالي، ومؤاخاتهم لإخوانهم القادمين بوصفهم وفودا مصلحين لا غزاة محتلين ..

فالتموا حول القائد مبايعين مهنئين مستبشرين.. وشاركوا إخوانهم بروح الأخوة والمواطنة، وبهذه المعاملة اللطيفة، والسياسة السلسة حاز على ثقة الدول، فسارعت إلىالاعتراف به ملكاً علىالحجاز بعد مبايعته من قبل الشعب الذي بايع مختاراً طائعاً راغباً[1].

---

(1) راجع كتاب "معجزة فوق الرمال" ، أحمد عسه ، ص١٠٤-١٠٥ .

- ٢ -

ومشكلة أخرى برزت بعد فتح الحجاز وهي تمسك البادية في الحجاز بعاداتهم وتقاليدهم القديمة التي أقرهم عليها الحكام السابقون، مثل "الخوة" و"الضريبة"، ونهب الحجاج والمسافرين إذا لم يكن معهم "رفق" إذا مروا بحماهم أومناطق نفوذهم، فجمع الملك عبدالعزيز زعماء العشائر، وأشعرهم أن فرض الضرائب وحماية الحجاج من شئون الدولة، وعلى المواطنين أن يلتزم كلّ حدّه، وكل رئيس عشيرة مسؤول عن أخطاء أفراد عشيرته، وسوف يحاسب في حالة عجزه عن ضبط تحركات أفراده، وفي حالة تمردهم عليه يصبح غير أهل للرئاسة، ومن ثم تسحب منه الرئاسة وتعطى لمن هو أقدر منه، ومنعهم من السكن في الطرقات ، وبعث لهم من يعلمهم، وخصص لهم أماكن للسكن بماعرف بالهجر تعويضاً لهم عن الرعي والارتحال حتى يقوموا بإحياء الأرض وزراعتها ، والأكل من إنتاجها، وليستقروا بها، فيحسوا بالارتباط بالوطن والحكومة.. ،

فكان كل زعيم أو شيخ عشيرة حارساً على ثغر من الثغور، فكانت هذه الإجراءات التنظيمية وثبةحضارية، وفي نفس الوقت خدمة للدولة كفتها مؤونة المحافظة على الأمن بواسطة جنود رسميين ، وكان من أنجح الأمور التي قادت الأعراب إلى السكون، والإذعان أن الملك عبدالعزيز قام بتطبيق حدود الشريعة بدقة، فالسارق تقطع يده، والقاتل يقتل قصاصاً، ولم يتساهل أو يتهاون بذلك، فخاف المجرم، وارتاح المسلم. وكان لبث الروح الدينية، والتمسك بآداب وتعاليم الإسلام أكبر رادع ووازع ديني يردع مرتكب الجريمة ، فكان هناك رقابة ذاتية تمنع الفرد من ارتكاب الجريمة وإن استطاع ، وأمن العقاب لبعده عن الأنظار، فاجتمعت الهيبة من الحاكم، والرقابة الذاتية، والحدود الشرعية، فكانت هذه الثلاث مجتمعة كفيلة بحفظ النظام، واستقرار الأمن الذي أصبح مضرب المثل ، ولا يوجد له مثيل في أي بلد آخر ، فثلث السكان يحميهم الدين وثلث تحميه هيبة الإمام ، والثلث الآخر يخاف

من تطبيق الحدود الشرعية، وإقامتها عليه، وفيها هلاكه أو تعذيبه[1].

- ٣ -

الوقوف ضد تدويل الحجاز:

كانت هناك أصوات خارج البلاد تنادي بتدويل الحجاز قبل قيام الملك عبدالعزيز باستعادة مكة بسبب ما يقوم به الأشراف من التحكم بالمشاعر المقدسة، ومنع الحجاج من حين لآخر من أداء النسك متى أرادوا ذلك ، وباستغلال الحجاج واستنزاف أموالهم، وكانت هذه التصرفات الهوجاء كافية لإثارة المسلمين وتذمرهم من الأعمال السيئة التي يلاقيها الحاج في موسم الحج، والمعتمر في كل الأوقات، ولكن الملك عبدالعزيز بعد فتح مكة قام بتنظيم شئون الحج بسرعة، وحاول بقدر الإمكانات المتاحة تسهيل الأمور لأداء مناسك الحج، ومنع الأهالي من استغلال الحجاج، وقد لاقى تنظيم "الملك عبدالعزيز" معارضة شديدة من قبل

---

(1) المرجع السابق ، ص١٠٦-١٠٧ .

المستفيدين من الحجاج (هذا يحمل ، وهذا يسقي، وهذا يؤجر، وهذا يؤوي) وكل هذه بالأجرة حتى إذا عاد الحجاج إلى أوطانهم عادوا مفلسين مادياً فقضى تنظيم الملك عبدالعزيز على خطوات الاستغلال واحدة تلو الأخرى، حتى سيطر على الوضع ، وأصبح في موقف مشرف، فاستطاع أن يهدم فكرة التدويل بحجة المحافظة على حياة الحجاج وراحتهم، وكانت فكرة التدويل مبطنة بأهداف بعيدة المدى.

ولكن الملك عبدالعزيز بدهائه وفطنته تنبه إلى ما يهدف إليه أصحاب مشروع التدويل، ورفض الفكرة تحت أي شعار تقام، وقال الملك عبدالعزيز إن مصير الحجاز قد تقرر من قبل شعب الحجاز أنفسهم، وأن الحكومات الإسلامية قد اعترفت بوضع الحجاز الجديد، وأنه لن يسمح لمنظمات غير رسمية ولا مسئولة أن تتدخل بشئون الحجاز الداخلية في اجتماعات لا تحضرها الحكومات الإسلامية المستقلة، ونحن نرحب بدرس كل ما يعين على تقدم الحجاز على أن تقدم

التوصيات لحكومة الحجاز، وتنفيذ كل صالح منها، وبهذا قطع خط الرجعة على دعاة التدويل، وركز على تنظيم شئون الحج والدوائر التي يتعلق بها تطوير شئون الحج بكل جوانبه[1].

---

[1] معجزة فوق الرمال ... أحمد عسه، ص ١١٠ .

الشـــورى

لقد ثبت بالقرآن والسنة، وأعمال سلف الأمة، أن الشورى قاعدة من قواعد الإسلام ، وركن من أركانه السياسية الأساسية ، وأن مبدأ الشورى من أهم الركائز التي يعتمد عليها نظام الحكم الإسلامي ، الذي يحقق نوعاً من التكامل في التعامل بين الراعي والرعية، والانسجام في العلاقات بين الحاكم والمحكوم ، ويكاد يكون همزة الوصل بين طرفي الحكم ، ولذا فإنه يجب على حكام المسلمين تطبيق نظام الشورى في حكوماتهم الإسلامية، كما يجب على الرعية بعد تطبيق الحكم المبني على الشورى الطاعة والامتثال، وأن يشيروا على الحكام بما فيه مصلحة الدين والأمة والوطن بما يتلاءم مع الأوضاع المختلفة حتى لا يلجأ حكامهم إلى الاستبداد بالرأي ، وفرض السلطة الفردية المتعسفة، وقد جاء القرآن بما يثبت وجوب هذا المبدأ قال تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾[1]، وهذا الأمر يقتضي

---

(1) آل عمران ٥٩ .

الوجوب، وقال ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[1] ، وهذا مدح لصفة المؤمنين الذين يتشاورون في أمور دينهم ودنياهم، وهو دال على الاستحباب، وأشار بعض العلماء إلى أن الآية ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[2] ، أنها تدل بصراحة على الوجوب أكثر من الآية السابقة، وأما الدليل من السنة فإن أباهريرة رضي الله عنه قال "ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، وأئمة المسلمين عامة يجب عليهم التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء به وتطبيق أحكامه، وقد اختلف أهل العلم عما إذا كان ما يراه أهل المشورة والرأي ملزماً للحكام أم أنه اختياري، وبحث هذا الخلاف ليس هذا محله ، ونظراً لنشأة الملك عبدالعزيز الدينية وثقافته الشرعية[3]. فقد أخذ بهذا

---

(1) الشورى ٣٨ .

(2) آل عمران ١٠٤ .

(3) نظرات في الثقافة الإسلامية لمحفوظ عزام ، ص٢١٠-٢١٦ .

المبدأ فكان يجتمع برفاقه ويشاورهم في كثير من أمور جهاده أثناء توحيده للمملكة، واسترداد ملك آبائه وأجداده، وبعد نهاية الجهاد، واستكمال منهج التوحيد، وبعد استعادة مكة دعا إلى اجتماع العلماء والوجهاء والأعيان ثم قام فيهم خطيباً فقال "إن دياراً كدياركم تحتاج إلى اهتمام زائد في إدارة شؤونها، وعندنا مثل يعرفه الناس جميعاً: أهل مكة أدرى بشعابها. فأنتم أعلم ببلدكم من البعيدين عنكم، وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسؤوليات الأعمال على عواتقكم، أريد منكم أن تعينوا وقتاً تجتمع فيه نخبة من العلماء والأعيان والتجار، وينتخب كل صنف من هؤلاء عدداً معيناً، كما ترتضون وتقررون، وذلك بأوراق تمضونها من المجتمعين بأنهم ارتضوا أولئك النفر لإدارة مصالحهم العامة، والنظر في شؤونهم. ثم يستلم هؤلاء الأشخاص زمام الأمر. فيعيّنون لأنفسهم أوقاتاً يجتمعون فيها، ويقررون ما فيه المصلحة للبلد. وجميع شكايات الناس ومطالبهم يجب أن يكون مرجعها هؤلاء النخبة من

الناس. ويكونون أيضاً الواسطة بين الأهلين وبيني. فهم عيون لي وآذان للناس. يسمعون شكاويهم وينظرون فيها، ثم يراجعونني.

إنني أريد ممن سيجتمعون لانتخاب الأشخاص المطلوبين، أن يتحروا المصلحة العامة ويقدموها على كل شيء فينتخبوا أهل الجدارة واللياقة الذين يغارون على المصالح العامة، ولا يقدمون عليها مصالحهم الخاصة ، ويكونون من أهل الغيرة والحمية والتقوى.

" تجدون بعض الحكومات تجعل لها مجالس للاستشارة. ولكن كثيراً من تلك المجالس وهمية أكثر منها حقيقية. تشكل ليقال إن هنالك مجالس وهيئات، ويكون العمل في يد شخص واحد وينسب العمل إلى العموم. أما أنا فلا أريد من هذا المجلس الذي أدعوكم لانتخابه أشكالاً وأوهاماً وإنما أريد شكلاً حقيقياً يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة.

لا أريد أوهاماً ، وإنما أريد حقائق. أريد رجالاً يعملون. فإذا اجتمع أولئك المنتخبون وأشكل عليّ أمر من الأمور، رجعت إليهم في حله ، وعملت بمشورتهم. وتكون ذمتي سالمة من المسؤوليات. وأريد منهم أن يعملوا بما يجدون فيه المصلحة. وليس لأحد من الذين هم أطرافي سلطة عليهم ولا على غيرهم.

أريد الصراحة في القول لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم:رجل كذاب يكذب عليّ عن عمد، ورجل ذو هوى، ورجل متملق، وهؤلاء أبغض الناس عندي"[(١)].

وبعد ذلك تم اجتماع آخر انتخب فيه أعضاء المجلس الأهلي أو المجلس البلدي، وأسند إليه النظر في نظام المحاكم الشرعية، ومسائل الأوقاف، ونظام الأمن الداخلي، ولوائح البلديات، وصحة العاصمة، ونشر التعليم الديني، وتنظيم التجارة، ووسائل البرق والبريد، وهذه المجالس صورة من صور الشورى في الإسلام، ونواة لتأسيس مجلس الشورى الذي صدرت

[(١)] النص منقول من الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي ، ص١٦٠ - ١٦١ .

التعليمات التي عرفت بالنظام الأساسي للحكم المتضمنة تأليف، وتأسيس مجلس الشورى، وذلك بعد أن توسعت الدولـة، وتعددت أقاليمها فـأصبح من غير المستطاع مشاورة أقطاب الرأي فـي كل الأقـاليم، وهم العلمـاء، وأهل الحل، والعقد، والضبط، والربط المتبوعـون، الذيـن إذا أحكمـوا أمـراً، وأبرمـوه أيدهـم النـاس، وإذا نقضوا أمراً اتبعهم الأكثرون، وأمـر بإنشـاء، وتأسيس مجلس الشورى الذي يمثل أعضـاؤه الرعيـة، ويعطـي المشورة للحاكم نيابة عنهم، وهو الإمكان المتاح، ويعـد صورة من أحد صور الشورى في الإسلام، وقد تأسس مجلس الشورى في مكة عام ١٣٤٥هـ بثمانيـة أعضـاء يرأسـهم النـائب العـام، وفـي عـام ١٣٦٩هـ زاد عـدد أعضائـه إلـى ثلاثـة عشـر عضـواً، وقـد تحـددت اختصاصاته بمـا أوضحـه رئيس المجلس فـي كلمتـه الافتتاحية حيث قال " في مثل هذا اليوم مـن كـل عـام، نلتقي أولاً لشكر الله عزوجل على ما أنعم به علينا من نعم كثيرة، ثم لافتتاح عهد جديد في حياة البلاد والأمة.

ولاشك في أن هذا العهد ، عهد مسؤوليات وواجبات، يشترك فيها الراعي والرعية، والمسؤول وغير المسؤول. ولكن هذا الاشتراك في المسؤوليات يختلف باختلاف إمكانيات المسؤولين وغير المسؤولين. وغنيّ عن البيان أن حكومة جلالة الملك، والمجلس، والشعب مرتبطون بأوثق الروابط من الناحية الأخوية والدينية والوطنية وكل العناصر المهمة، وعلى كلٍّ مسؤوليته ولكل اقتداره.

فمسؤوليةالمجلس هي القيام بماعليه من توجيهات وإقرارمايلزم لتقدم البلاد والأمة، ومراقبة ما ينفّذ وما لاينفّذ، وملاحظة ما تقصّر عنه القوانين أوالأوامر أوالقرارات.

ومسؤوليات الحكومة هي القيام بما عليها من إنفاذ ما يتقرر، والسعي بالإصلاح من شتى نواحيه، واتخاذ أنجع الطرق لتأمين المقاصد التي من أجلها سنت القوانين وأصدرت الأوامر. "وواجب الرعية هو مساعدة الجهات المنوط بها أمر التنفيذ، لتسهيل مهمات

السير بحسب الأوامر، والتوجيهات التي توجه إليهم، والتقليل بقدر الإمكان من إشغال الجهة المسؤولة بما لا طائل تحته.

إذا تضافرت الجهود فلاشك في أن الأمة والبلاد بحول الله تعالى، ثم بحسن توجيه صاحب الجلالة الملك، واجتهاد العاملين كل في حقله وإخلاصهم ستبلغ الغاية المنشودة بحول الله، فحكومة جلالته لا تزال تستهدف ما يكون فيه خير البلاد سواء في الحقل الداخلي أو الخارجي.

أما سياسة الحكومة في الداخل، فنشر العلم، وتوسعة المدن، وتأمين الموافق الصحية بقدر الإمكان، والسهر على صحة الشعب والوافدين، وتنفيذ وإقرار المشاريع النافعة للبلاد والأمة. ولاشك في أن الطفرة محال. ولكن المهم في كل الأشياء، هو أن يسلك الإنسان الطريق القويم، بإخلاص وجدّ ومثابرة.

في السنوات الماضية حصل بعض التقدم، وإن كان ليس كل ما أريد. ولكن على كل حال هو أحسن من لا شيء.

من الناحية الصحية : توسعت إدارة الصحة العامة في ميزاتها وفي ترتيباتها.

ومن الناحية العلمية: توسعت إدارة المعارف العامة في فتح المدارس وإيجاد الفصول النافعة فيها، وأقرت بموافقة الحكومة وتشجيع جلالته فتح كلّيتين في هذا العام، هما كلية الشريعة وكلية اللغة العربية. وفعلاً فتحت كلية الشريعة وبدأت الدراسة فيها من هذاالشهر، كما تأسست مدرسة للصناعات بجدة.

ومن الناحية العمرانية: أنشئت بعض الطرق وأكمل إصلاح بعض آخر. واتخذت الأسباب للشروع في إصلاح طريق الطائف والطريق الموصل بين المدينة والمطار، وإصلاح طريق جدة - المدينة، وتوسيع الطرق بين مكة وجدة، أو إيجاد خط آخر، مع الخط الموجود حالياً. وربما تفتح في بحر السنة بعض الطرق الداخلية في العاصمة لتخفيف الضغط، وتسهيل حركة المرور. واتخذت الأسباب لبناء بعض السدود

في الطائف لحفظ المياه، ويؤمل أن يبدأ العمل بها في بحر هذه السنة.

ومن ناحية المواصلات: قامت إدارة البرق، والبريد العامة باستحضار ما يلزم لإنشاء خطوط تلفونية جديدة، تربط مكة – جدة – الطائف. والأمل أن يتم إنشاء هذه الخطوط في هذه السنة، وأظن أن مدير البرق، والبريد العام سيحقق ذلك (وكان حاضراً فقال: إن شاء الله) هذا ما يتعلق بالحقل الداخلي.

أما ما يتعلق بالحقل الخارجي، فإن سياسة الحكومة هي توطيد العلاقات الأخوية، والودية مع البلاد العربية. وتوطيد العلاقات الودية مع الحكومات الأجنبية. وبالأخص الإسلامية والشرقية. ولا تضمر لأحد سوءاً ولا ترضى بأن يضمر لها أحد سوءاً. وعلى كل فحكومة جلالة الملك سائرة على سياسة تعتقد أنها حكيمة. وهي: توطيد الروابط الودية مع كل حكومة، وشعب يسعى لكسب صداقتها، يحدوها في كل ذلك الإخلاص. وليس للحكومة غرض، أو مطمع

سوى محافظة هذه البلاد على استقلالها، واستقرارها، وشدّ أزر بعضها بعضاً.

وعلى كلّ فكلنا مسؤولون وكلنا محاسبون.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لأداء مايجب علينا، لخدمة هذه الأمة والبلاد في ظل صاحب الجلالة، مسترشدين بإرشاداته الحكيمة، والله الموفق الملهم للصواب"[1].

---

[1] النص من كتاب الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي، ص١٦٣ - ١٦٥.

تطوير المدن

لقد كان اهتمام الملك عبدالعزيز لإعمار المدن داخلاً تحت رغبته في تطوير البلاد من كل جوانب الحياة، وقد وجه عنايته واهتمامه إلى المدن الكبرى كالرياض العاصمة الوطنية، ومكة العاصمة الدينية، وجدة العاصمة السياسية، ومقر البعثات الدبلوماسية والهيئات السياسية، والمدينة المنورة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تضم بين جنباتها مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والطائف التي كان المنتجع التي يقضي فيها جل أوقات الصيف، أما مدن المنطقة الشرقية فإن الحركة النفطية قدتكفلت بتطورها، تأثراً بالحركة الدائبة المستمرة، والحاجة التي تتجدد في كل يوم ، وشركة أرامكوا آخذة في بناء المساكن، وتعبيد الطرق، وتعميم المياه من أجل عمالها وعمالتها الوافدة الذين أخذ عددهم يتزايد في تلك المناطق، أما القصيم فإن سكانها يميلون بطبيعتهم إلى التقشف والبقاء على الوضع الذي يتحكمون فيه بأنفسهم، وكان الملك عبدالعزيز يكن لهم التقدير والاحترام ويقدرلهم

هذه الرغبة، والوقت كفيل بدخولهم في مضمار التقدم والتحضر، وكان البناء والنهضة العمرانية تواكب نشاط السكان الذين رغبوا في تطوير مساكنهم وزيادة مساحتها وتحديثها بعد أن كثرت المادة في أيديهم، ونمت الثروة في البلاد مع نشاط الدولة التي بدأت تقيم المشاريع والمنشآت الحكومية ، وتحاول التخطيط وتنظيم المباني العمرانية، وتوسعة الشوارع حتى تستوعب وسائل النقل الحديثة (السيارات) بعد أن كانت وسائل النقل الحيوانات التي لا تحتاج إلى شوارع واسعة، ولكن في آخر عهد الملك عبدالعزيز بدأ يتغير الطراز المعماري الأول ويأخذ شكل الطراز الجديد، وقد بنى قصر المربع بالطين أساسه الحجر وسقف بالخشب كالمعتاد، ولكن التحسينات قد أدخلت في مجالسه وغرفه وممراته ، وقد جاء استعمال المسلح متأخراً جداً، أما في جدة فقد توسعت الحكومة في إقامة المباني الحديثة، وبناء الإدارات الحكومية، والدواوين الملكية، والعمائر السكنية، وعجت المشاريع الوطنية

في كل جوانبها، بعد أن كثر الوافدون عليها من مختلف الجنسيات ، ومنهم الممثلون السياسيون، والقناصلة ، وأصحاب المشاريع والأعمال التجارية الحرة، وأفراد البعثات الدبلوماسية، وكان من أحب ما يتمنى الملك عبدالعزيز رصف وتعبيد الطريق المؤدي إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم رفعاً للتعب والمعاناة والمشقة التي يلاقيها حجاج بيت الله الحرام، وزوار المسجد النبوي الشريف، وقد أمر رحمه الله بإنشاء هذا الطريق وكُلِّفَت بالقيام بذلك شركة عالمية (توماس وورد) البريطانية ورصفه بالإسفلت وتعهدت الشركة بإنجازه عام ١٣٧٣هـ وتوفي رحمه الله قبل موعد استلامه ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ وكان مما يثاب عليه من الأعمال الدينية والوطنية تطوير المنطقة المحيطة بالمسجد النبوي الشريف، وتوسعته وإصلاح الجوانب المتآكلة والمتهدمة بعد أن ضاق بالمصلين والزوار، وخاصة في المواسم، فأعلن عزمه القيام بهذا المشروع الخيري في ١٢ شعبان

١٣٦٨هـ واستقدم لهذه العملية مهندسين معماريين فوضعوا الخرائط اللازمة لذلك، ونزعت ملكية كثير من العقارات المجاورة للمسجد، وجرى تعويض أهلها، وجرى إدخالها بالتوسعة، ورصدت المبالغ اللازمة لبناء هذا العمل الجبار، حتى بلغت مساحة المسجد بعد التوسعة ٢٢٩٥٥م وفي ٥/شوال١٣٧٠هـ، بدأ الهدم في المباني المجاورة والملاصقة للمسجد النبوي، وبلغت أقيام العقارات المنزوعة ٣٦ مليون ريال وكلف المقاول ابن لادن لبناء هذه التوسعة بمبلغ مقارب لمبلغ تعويض نزع الملكيات، فكانت مشاريع نزع الملكيات قد بدأت بها الحكومة منذ عهد الملك عبدالعزيز، فهو صاحب السبق الذي بدأ بها، وسار على نهجه أبناؤه من بعده، ولم يتوقف العمل آنذاك على توسعة المسجد النبوي، بل امتدت يد الإصلاح إلى توسعة الشوارع المحيطة بالمسجد المؤدية إليه، وشق الطرق وإحداث الميادين والحدائق، وأنشأ الملك عبدالعزيز المستشفى العام، وشيدت مباني المحكمة الشرعية، والمكتبات

العامة، ومباني الجامعة الإسلامية، وأنشأ المطارات الواسعة التي تستقبل أي نوع من أنواع الطائرات وكثير من المشاريع الإنمائية والعمرانية التي قامت في كل مدينة وبعضها استكمل بعد وفاته رحمه الله[1].

---

[1] الوجيز في تاريخ الملك عبدالعزيز للزركلي ، ص٢٣٠ .

بين الواقع والتطوير

كان الملك عبدالعزيز شديد الاهتمام بالمشاريع الأساسية لبناء شعبه وبلاده، وكان الواقع الذي تعيشه المناطق الموحدة مريراًومزرياً في كل مجالات الحياة، وكانت مشكلات المياه من أعقد تلك المشكلات الإنمائية التي تقف حجر عثرة في وجه التطوير، وكان يلمس حوائج الناس قبل أن يلمسوها بأنفسهم، لأنه فرد منهم لا يختص بشيء يميزه عن غيره من المأكل والملبس والمشرب، ولذلك فإن كل حاجة تبدو للمواطنين تكون قد بدت للملك نفسه، ومن تلك الحوائج الملحة مياه الشرب الشحيحة في كل أنحاء البلاد، وكان تأمين المياه للحجاج في مكة الهاجس الذي لا يفارقه لحظة واحدة، فقد كانوا يعانون أشد المعاناة من قلة المياه.

وكان من أشد هموم الملك عبدالعزيز الملحة تلك القضية وقد كانوا يحصلوا على حاجتهم من الماء أيام الحج في شدة الحر إذا اجتمع الوفود وزوار البيت بواسطة السقاقي على ظهورهم وأكتافهم يشترون

"الزفة"[1] بمبلغ من المال، وهذا أمر لا يريده الملك عبدالعزيز، فقد حارب استغلال الحجاج في كل النواحي، وكان يوجد بمكة بعد استعادتها عين زبيدة يرتوي منها أهل مكة فقام بتوسعتها وزيادة إنتاجها إلى أكثر من الضعف. وكانت جدة بعد استعادتها تشرب من صهاريج وخزانات تجمع فيها مياه الأمطار، وكانت الدولة العثمانية قد قامت بمشروع تحلية مياه البحر وتقطيره بما يسمى بـ "الكنداسة" ولكنه ضعيف وكثير الخراب والتوقف فيتقاتل الناس على شربة الماء ، وكانت توجد "عين الشمس" (بالوزيرية) ضعيفة الماء تقع في شرقي جدة ، ومن ثَمَّ قامت الحكومة بأمر الملك عبدالعزيز باستيراد كنداسة أخرى للتقطير، ولكنها لم تجد نفعاً، وقد حل الملك عبدالعزيز هذه الأزمة بإنجاز مشروع لتأمين مياه الشرب إلى جدة من عيون (مر الظهران) وادي فاطمة، وأخذ من تلك

---

(1) والزفة تنكتان من الصفيح بينهما عارض من الخشب المعالج تعلق الصفيحتان بالحبال على طرفيه فيمشي بهما " السقا " حيث أراد.

العيون جزءاً من ماء كل عين، وأعطى أهلها مقابل ذلك تعويضات مالية تصرفها لهم الحكومة باستمرار، فتدفق الماء العذب بواسطة الأنابيب لأول مرة وذلك عام ١٣٦٧هـ ، وقد بلغت نفقات هذا المشروع ما يزيد على ستة ملايين ريال، وسميت العين العزيزية تخليداً لذكرى الملك عبدالعزيز الذي قام بذلك، فكان تأمين المياه إلى كل من جدة ومكة من أبرز وأنفع المشاريع التي قام بإنجازها المغفور له في وقتها، وقد شمل الماء الذي وصل إلى جدة كثيراً من الضواحي حتى إنه وصل إلى الكيلو (٤٥) طريق مكة لأن الحجاج كانوا يسيرون على أقدامهم من جدة إلى مكة فيشربون من تلك الكباسات الموضوعة على قارعة الطريق لتأمين مياه الشرب للمارة، فكان نصيب جدة من عنصر الحياة وافراً حتى دخل الماء للبيوت فانتشرت الحدائق، وجرى تشجير الكثير من شوارعها، فأصبحت جدة مدينة خضراء، بعد أن كانت لا تجد قطرة الماء الذي يبل الصدى ويروي الحلوق الجافة، وذلك بفضل الله

ثم بجهود الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن المؤسس والباني[1]، ولم يكن نصيب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أقل من نصيب المدن الأخرى فقد كانت المدينة تشرب من العين الزرقاء فقام الملك عبدالعزيز بإصلاح المجرى وتوسيعه وتبليط القنوات من المنبع في قباء إلى المصب في الخزانات التي تغذي الشبكة، وقد جرى البحث عن روافد لتلك العين في "البدع الجديد" فضمت تلك الروافد إلى المجرى الأساسي، ووضعت المضخات لرفع الماء إذا انخفض منسوبه في الصيف عن المستوى المطلوب، وكان يشرف على العين إدارة تختص بمتابعتها، واستمرارها، وصيانتها، والمحافظة عليها.

وأما العاصمة الرياض فإنها كانت تشرب من الآبار المجاورة في المزارع "القلبان" التي تسنى عليها السوائم والنواضح ، وكانوا يحفرون في كل بيت بئر "حسو" وينزعون منه الماء بالدلو ثم يصب في

---

(1) الوجيز للزركلي ، ص٢٤٠ .

"القرو" وهو الخزان المؤقت، ولكن المياه التي تخرج من هذه الآبار المنزلية الصغيرة شديدة الملوحة وغير صالحة للشرب ولكنهم يستخدمون تلك المياه للغسيل والوضوء للصلاة ، فكانوا يحتاجون المياه العذبة للشرب والطبخ فقط، ولذلك كان استهلاكهم من الماء العذب قليلاً جداً، لا يزيد عن بضعة لترات في اليوم والليلة، ولكن الملك عبدالعزيز أمر بحفر آبار ارتوازية تغذي المدينة بالماء بواسطة شبكة على الطريقة الحديثة وتعميمه للبيوت. وفي الخرج اهتم الملك عبدالعزيز بالعيون والآبار الغزيرة المياه هناك فاستقدم لها البعثات الفنية الزراعية من مصر والعراق ثم جيء بالفنيين الأمريكيين لإصلاح مجاريها وتشييد المشاريع الزراعية عليها لتربية الثروة الحيوانية من الأبقار الضخمة المستوردة ، والأغنام الأصيلة ، وكانت الأحساء من أغنى البلاد بمياه العيون الجارية المنتشرة في كل مكان تروى منها النخيل والمزارع ، وكانت تشبه الأنهار لأنها تسيل بدون فعل فاعل ، فقد اشتهر

من تلك العيون "عين الخدود"، و "عين الحقل"، و"عين غصيبه"، و"عين التعاضد"، و"عين برابر"، و"العين الحارة" ، و"عين أم سبعة" ، و"عين الجوهرية" ، وفي القرى ما يزيد على خمسين عيناً جارية فأمر الملك بإصلاحها وصيانتها.

أما أبناء البادية وعابروا الطرق فقد اعتادوا على الشرب من المياه الراكدة الأسنة التي تتجمع في الملازم الصخرية والطينية من الأرض الصلبة بعد نزول الأمطار وكانت تلك المياه الراكدة تجوبها جحافل البعوض والذباب والعلق والنواديس المائية وتطفح بالخشاش الميت، والديدان والفضلات الآدمية والبهائمية فيقوم الوارد على هذه المياه بتصفية ذلك وتعقيمه بوضع خرقة على الإناء -إن وجد- أو وضع طرف الغترة على الشفتين وامتصاص الماء من ورائها (بمثابة فلتر) حتى لا تدخل إلى الفم الأجرام والأجسام الكبيرة من الخشاش الطائر الميت والزواحف العائمة، وقد تشرب من هذه المياه الكلاب والسباع والبهائم قبل

الإنسان، ولكن كل هذه الصور قد تغيرت بجهود المؤسس والباني الملك عبدالعزيز.

وقد كان البحث عن المياه الجوفية شغل الملك عبدالعزيز الشاغل لإحساسه بحاجة المواطن الماسة للشرب وللزراعة التي هي مصدر المعيشة، لأنه لايوجد آنذاك موارد للدولة غير الزكاة من التمور والحبوب والمواشي والجمارك التي لا تتجاوز بعض القروش الزهيدة، وقد جاءت الحفارات الارتوازية بنتيجة جيدة كلها بجهود الملك عبدالعزيز، وقد جرى حفر الآبار الإرتوازية في كثير من مدن نجد بعد نجاح التجربة في المنطقة الشرقية.

تأسيس الهجر وبناء الإخوان

لقد بلغت الحياة في شبه الجزيرة العربية -وخاصة في بوادي نجد- أقصى أبعاد الجهل، والانحطاط الخلقي والديني[1] أثناء الحكم التركي للبلاد الإسلامية بسبب الإهمال وانتشار الخرافات والبدع، وبقيت أجيالا متعددة على هذه الحال تتخبط في ظلمات الجهل والضلال ، حتى عبد الكثير من الجهال الأشجار والأحجار، وقدسوا الأضرحة ، وبنوا عليها القباب والمزارات، ولما قام الإمام المجدد الشيخ "محمد بن عبدالوهاب" بدعوته الإصلاحية عادت الحياة في ربوع نجد وبواديها إلىمبادئ الدين وأصوله، وإلى الوعي الديني ، والرجوع إلى التعاليم الدينية والأخلاق الإسلامية، واستمرت على ذلك ردحا من الزمن، ولكن الانتكاسة عادت من جديد بعد هجوم جيش الاحتلال الهمجي المتسلط الذي هدم "الدرعية" قاعدة الحكم السعودي ودكَّ حصونها وقلاعها وقام بتخريبها وإحراقها وتدمير الحياة فيها، وقتل علماء الدين،

---

[1] قياساً على التعاليم الدينية والأخلاق الإسلامية.

وتشريد طلبة العلم من المسلمين، فخيمت على البلاد الغربة المزمنة عقوداً متلاحقة من الزمن فتبلدالإحساس الديني لدى العامة، وخاصة أبناء البادية وخمدت جذوة الشعور الديني، وتبخرت حرارة الدعوة الإصلاحية، فارتكست الحياة في أغوار الجاهلية الأولى ، وابتعدوا عن روح العقيدة السلفية، وتجاهلوا أوجهلوا التعاليم الإسلامية، وتنصلوا من أداءالفرائض والواجبات جهلاً، وتفريطاً، وتهاوناً، حتى شبَّ مولودهم لا يعرف من الإسلام إلا اسمه، ولامن القرآن إلا رسمه، فتبدلت أخلاقهم الإسلامية وتغيرت طباعهم العربية الأصيلة فتحولوا إلى أجلاف أخلاف يتصفون بالشراسة، والصرامة المزعجة، والصفاقة والغطرسة المفرطة، والقسوة الخشنة، يفرون عند اللقاء، ويقرون عند الطمع، وينزعون عند الفزع، يقيمون المعارك ويقعدونها عند أتفه الأسباب، ويهرعون إذا تكالبت عليهم الأحزاب، وأثخنتهم الحراب، ليس لهم جلد على الحرب، ولا على السلم، يملّون من حياة الاستقرار،

والاســتمرار، إن غُلِبـوا صــروا، وأن طُلِبـوا فــروا، يخوضون المعارك للكسب، والثأر، والتســلية، متقلبـون أثنــاء القتــال، ينسـحبون مـن المعـارك عنــد اشــتدادها، واشـتعالها، إذا نـالوا مـن الغنــائم كفـايتهم أو تكــاثرت عليهم السهام، وعلموا أن النتائج ليسـت فـي صـالحهم، ويعدون هذا الانسحاب المفاجئ تكتيكا وشطارة، وليـس جبنـاً أو خوفـاً مـن الهزيمـة، أو نكوصـاً عـن القتــال. ويـرى البـاحثون أن أبنـاء الباديـة نتـاج أوضـاع قديمـة وحديثـة عاشـوا علـى شـكل شـراذم تجمعهـا الغنيمــة، ويفرقها الغيث، وكـانوا يعيشـون فـي عزلـة عـن أبنـاء الحاضرة بسبب الاختلاف في المفـاهيم، والسـلوكيات، ففرضت عليهم هذه العزلة الإقامة الجبرية الدائمـة فـي الصحـراء، فـأصبحوا يعـانون وحدهـم شـظف العيـش، وحياة البؤس والشقاء والتعاسة.

قال الريحاني عنهـم "إنهـم سيف فـي يـدك اليـوم خنجر في ظهرك غداً" وقال حافظ وهبة "يقولون المــال مال الله اليوم لك وغداً لغـيرك، نصبـح فقـراء ونمسـي

أغنياء، ونمسي أغنياء ونصبح فقراء" هذا هو مسلكهم السائد الذي لا يقره الدين ولا تؤيده الأعراف، ومن صفاتهم السلبية إعجابهم بحياة البداوة، والتمسك بها حتى عدوا أنفسهم أسعد الناس بهذه الحياة القاسية، لأن التحضر -في نظرهم- قيد لحريتهم يفرض عليهم الاستقرار الممل الذي لم يعتادوه، كما يفخرون بالأحساب، والأنساب وتسلسل الآباء والأجداد، وصفاء الدم ونقائه -كما يتوهمون- مع أنهم لا يملكون من الدنيا سوى رماحهم وسيوفهم، أحرار من أي ارتباط، يموجون كالبحر حين تلعب به هوج الرياح العاتية، هذه صفات أبناء البادية وسلبياتهم وما آلت إليه حالهم قبل استعادة الملك"عبدالعزيز" الرياض، ولكن كيف كان تفكير الملك "عبدالعزيز" بتغيير أوضاعهم، وتهذيب سلوكهم، وقلب نظام حياتهم بحيث تسهل السيطرة عليهم، والإفادة من نشاطهم، وخبرتهم القتالية.

وكان "الملك عبدالعزيز" الخبير بطبائع أبناء البادية، وما تنطوي عليه نفسياتهم من طموح وأطماع،

ورغبات تترجم إلى سلوكيات عشوائية، فلماأراد توجيه هذه السلوكيات والإفادة من النشاط، والحركة، والخبرات القتالية استقر في ذهنه أنه لن يتمكن من استغلال تلك الطاقات الاستغلال الأمثل حتى يعيد قولبتهم ويردهم إلى ما كانوا عليه في السابق[1] من سيرة حسنة وأخلاق فاضلة، وصفات عربية أصيلة مع علمه التام أن جمع المتنافر رابع المستحيلات[2].

وأن الإرغام والإرهاب والتهديد أمر لا ينفع ولا يجدي معهم، فلجأ إلى وسيلة الترغيب، والترهيب في آن واحد، والتي تتحقق بأربعة أمور: هي الدين، والتوطين،والمال،والحسام أخيراً، وجعل الدين العنصر الأساسي والخيط القوي الذي يجمعهم وينظم شتاتهم.

فبدأ بالدين الذي يعد من أيسر السبل لفك العقد المستعصية لديهم، فسلطان الدين أقوى من سلطة السلطان، ووازع الضمير أكثر قدرة على الحراسة من

---

(1) قبل فساد أصالتهم العربية والإسلامية.

(2) المستحيلات الثلاثة – العنقاء والغول والخل الوفي.

الرقيب، فالدين إذا تمكن من النفوس هذبها، وإذا تغلغل في القلوب صقلها ، وإذا اخترق الأعماق قيد الحركات والسكنات، وحبس الأنشطة الطاغية، والسلوكيات النابية، فهو من أقوى الحواجز المانعة عن الخروج على القواعد المرعية، والجنوح، وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، فسلطان الدين يحطم الشموخ والتعالي، ويقضي على رعونات البداوة المتخلفة، وغطرسة الجاهلية المتعجرفة ، فإذا أوغل الفرد في الدين حماه من الانحراف في السلوك، وصانه من الانجراف وراء الرغبات، والاعتداء علىالآخرين، وقد حرم الدين دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، فالدين حصانة ذاتية للفرد، يقمع بحدوده الشهوات، ويمنع بتعاليمه النزوات، وإن كان الفرد بمعزل عن الرقيب، ولكن الدين أساسه العلم، والعلم لا يوصل إليه إلا بالتعلم، والتعليم من لوازمه الاستقرار في المدن، والاستيطان في البلدان، فهو لا يطارد الجراد في الحماد، ولا الطيور في الفجاج، والبادية في الصحراء

لا يحصرون، وفي القطين لا يستقرون، فبدأ تجربته الفذة بإرسال المرشدين، والوعاظ والمعلمين (المطاوعة) إلى أماكن تجمعات البادية، فأشاعت تلك المواعظ والخطب والنصائح الرغبة في الدين، والرجوع إلى تعاليمه ومبادئه، فهبت روح الإيمان من جديد، ودبت الحركة في أوصال الصحوة الدينية، وأفاقت من الغفلة والسبات العميق، وعاد النمو إلى أطراف الحياة المشلولة التي تسرب إليها الخدر المميت، وتسابق الإخوان إلى حياة الاستقرار، واتجهوا إلى الزراعة والحرث، وفلاحة الأرض، وامتهان الحرف اليدوية "صناعة في اليد أمان من الفقر" وأطيب الحلال إلى الله كسب اليد، والجهاد في سبيل الله هو الجهاد الواجب لا الجهاد في سبيل الكسب والغنيمة، والهجرة إلى المدن والقرى، هجر للحياة المرة، وهجر للعادات السيئة، والتقاليد السلبية البالية التي تخالف تعاليم الدين، وتتعارض مع مبادئه القيمة، وتعزل الفرد البدوي عن الجمع والجماعات، ومجالس الذكر، وميادين التعليم،

فاقتنع أبناء البادية أن الأخوة في الدين أقوى من أخوة النسب والقرابة، وأن المحبة في الله أفضل أنواع الحب، وأن الهجرة والغربة في طلب العلم عبادة، وأكثروا من ذم سكنى البوادي والقفار التي تبعد الفرد عن الاختلاط بالآخرين، والترابط الاجتماعي، وتعلم القرآن والسنة والعلوم الشرعية، وأصول الدين، فانخرطوا في الطاعة بحثاً عن هذه الامتيازات، وتقاطروا إلى التحضر والهجرة.

وكان الملك "عبدالعزيز" قد رأى أن من الحكمة جمعهم في أماكن خاصة بهم يمارسون عليها نشاطهم اليومي، وحركتهم الدينية، وحتى تصل إليهم يد السلطة بسهولة، كما أدرك أن توطينهم مع الحاضرة قد يتولد منه مشكلات اجتماعية بسبب وجود اختلاف بين البادية والحاضرة في عاداتهم وتقاليدهم ومفاهيمهم للحياة العملية، ومن هنا جاء إسكانهم في أماكن تخصهم، فاختار لهم الملك عبدالعزيز مواقع مناسبة سميت بـ"الهجر" فأقطعهم أراضي يقيمون عليها

مساكنهم، وأعطاهم المال لبنائها، ومنحهم الأراضي الزراعية، وساعدهم على إحيائها، وزراعتها، وهو مشروع رائع يقضي على حياة البداوة بالتدريج ولم يفكر فيه حاكم قبله[1].

ولما كان من الصفات الذميمة في أبناء البادية التنافر والتناحر بسبب النزاع على المراعي والموارد، والثارات والسلب والنهب، فقد ركز المرشدون الذين أرسلهم الملك عبدالعزيز إلى تجمعات البادية على الترغيب في الأخوة في الإسلام والمحبة في الله لأنها أوثق عرى الإيمان، وحذروا من التعادي والتنافر والتباغض، "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث وخيرهم الذي يبدأ بالسلام" والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وإن

(1) قبل تحضيرهم وتهذيب عاداتهم القبلية وترويض نفوسهم العصية ، خشية أن تتطور الخلافات فتصل إلى الصدام بسبب تطرفهم في الأحكام وعدم فهمهم لحياة الحاضرة ، وقد بدر منهم رفض المخترعات الحديثة كالساعة، والهاتف ، والبرقية ، والسيارة ، والراديو التي بدأت تغزو البلاد العربية وتستعمل في بعض المدن ، وتنكرها البادية ، بل حاربوا الذين يستعملونها واتهموهم بدينهم.

دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا ، وجاء في القرآن الكريم: ﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾، وتطبيقاً لهذه المفاهيم ونتيجة للمواعظ والخطب ، فقد كثر من أفراد البادية العناصر الخيرة الذين يتعاونون على البر والتقوى، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتآخون في الإسلام وتأصلت بين الأفراد الأخوة الإيمانية القوية، وانتشرت المحبة بين الناس، فاشتاق الفرد إلى أخيه في الله، وأحس بالراحة النفسية أثناء الجلوس معه والركون إليه وبثه الشكوى، وتوطدت عرى المحبة بينهم دون النظر إلى الانتماءات القبلية لأن أخوة الإسلام فاقت أخوة النسب، ثم تضافرت الأخوات المتعددة ، أخوة الدين، وأخوة النسب، وأخوة اللغة، والوطن، ولكن أوثقها وأقواها الأخوة في ذات الله فالتآخي في الله قوي الأواصر لا يفصل تلك الأخوة إلا الموت.

فالإخوان عبارة عن أولئك الذين تآخوا في الله، واجتمعوا على المحبة في الله، واستجابوا للدعاة والوعاظ والمرشدين ، ولانت قلوبهم لذكر الله، ودخلوا في حظيرة الزهاد والعباد ، فناسب جمعهم في مساكن جماعية بنوا فيها الدور المتقاربة، والمزارع المتجاورة، وبنوا المساجد والجوامع التي يؤدون فيها الصلوات خمس مرات في اليوم والليلة، فسمي مكان استقرارهم وتجمعهم بالهجر التي أصبحت تضم مجموعة من المتحابين في الله الذين تخلوا عن بداوة الصحراء المتعبة، وانتقلوا إلى حياة المدن، والقرى، واستبدلوا الحل والترحال بالمساكن والاستقرار، وتخلوا عن التشتت في الأقطار، إلى التجمع في الأمصار، تركوا الخيام المؤقتة، وبيوت الشعر المهددة بالزوال، إلى المباني الثابتة المأمونة، ومن الحظائر والمذاري إلى الأسوار المستقرة الواقية، فكان اسم الإخوان رمزاً لانفصال البدوي من البادية والقبيلة، وارتباطه بالوطن في الهجرة الجديدة، والدولة العتيدة، هجروا الرعي

والغارات ، واستبدلوها بالزراعة ، والمهن ، والتجارة، والكسب الحلال، يقول حافظ وهبة فيهم: الإخـوان عَلَـمٌ علـى سـكان البادية الذيـن تركـوا السـكنى فـي الخيـام، واستقروا في أماكن محدودة، وبنوا بيوتاً من الطين فـي موقع واحـد سـميت "بـالهجر" إشـارة إلـى أنهـم هجـروا الحيـاة القديمـة المكروهـة إلـى حيـاة أخـرى محبوبـة ومطلوبة.

وقد أثارت سياسة التهجير فـزع "الملـك حسـين" في مكة وأوقعته في مأزق أخذ يتسـع فـي نظـره يومـاً بعد يوم حتى وصل بـه إلى منعطـف حـرج، هـذا وإن صدق حدسـه فإنـه لـم يـأخذ بالحيطـة حتـى ينجـو مـن الوقوع في المأزق الذي فزع منه في بداية الأمر حتـى دخل في دائرة مظلمة قادته إلى سـقوط عرشـه وطلـب النجاة بنفسه.

كان أبناء البادية قبـل مشـروع التوطيـن يهيمـون فـي الصحـراء كالأسـماك فـي البحـار، والطيـور فـوق الأشجار، ليس لهـم مـأوى يجمعهـم، ولا موطـن معيـن

يستقرون فيه، وكانت المشكلة التي تواجه خصمهم حركتهم الدائبة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

وهذه مسألة تجعل مطاردتهم بالغة الصعوبة، وضرباً من المستحيل ، ومنازلتهم ليس فيها هزيمة، ولا انتصار إن غُلِبوا هربوا وإن غَلَبوا قتلوا وفتكوا، ولذلك فقد تحاشى الملك عبدالعزيز الدخول معهم في حرب بعد تجربته في معركة "جراب" ومعركة "كنزان" لعلمه أن منازلتهم خسارة في كلا الحالين -الانتصار والهزيمة- ولذلك فقد عالج وضعهم بحكمة ودراية، وكان من الأمور التي ساعدت الملك عبدالعزيز على نجاح مشروعه قناعة زعمائهم بكفاءة الملك عبدالعزيز القيادية واعترافهم بها، وتسليم زمام السلطة بيده على الرغم من أن لهم أطماعا وطموحات لا يرضون أن تضيع تحت وطأة سلطة الملك عبدالعزيز، وهذه مسألة قد أدركها الملك عبدالعزيز وعالجها قبل بزوغها مع بقاء سلطته، فأقر كل زعيم

على عشيرته، وجعله مسؤولاً عنهم أمامه، فأرضى طموحه، وكسب ولاءه، حتى أن الزعيم يحس أن زعامته لم تزل موفورة بعد ولائه للملك عبدالعزيز، بل إنه أصبح بعد هذا الولاء يجد سنداً له وظهراً يحميه من الزعامات الأخرى، وقد استهوت هذه السياسة الحكيمةكثيراً من زعماء القبائل فسارعوا إلى الانضواء تحت لوائه راغبين حتى تكاثر أتباعه، ورجحت كفّته العددية والقتالية فخافه الخصوم وأدى خوفهم إلى انتصاره عليهم في نهاية الأمر.

وكان الهدف من التوطين أن الملك عبدالعزيز قد أسس قواته وسراياه القتالية من أبناء الحاضرة فكانوا نواة جيشه المحارب، وقواته التي يعتمد عليها في فتوحاته حتى أصبح لديه قوة رادعة من الحاضرة قادرة على قمع الخصوم، ولما فكر في استخدام أبناء البادية الذين أتوه طائعين، وأراد توظيفهم في غزو المناطق النائية أدرك أن هذه مرحلة تأتي بعد توطينهم وتعليمهم وتدريبهم وتحييد ولائهم لرؤسائهم حتى يستطيع أن

يضرب بهم العدو البعيد، ولم يرد تكليف أبناء الحاضرة بهذه المهمة حتى يتركوا أوطانهم ومزارعهم وعوائلهم، ويتابعوا العلم السعودي في كل مكان، فالسكان بحاجة إلى الإنتاج الزراعي الذي تعتمد عليه البلاد محلياً.

أما أبناء البادية فإنهم أكثر فراغاً ورغبة في القتال من الحاضرة، فرأى الملك عبدالعزيز أن من الحكمة إسناد مهمة الجهاد في المناطق الحدودية إلى أبناء البادية بعد تسليحهم وتوجيههم التوجيه السليم، فهم الذين يميلون إلى الترحال، ولا يملون القتال، وذلك بعد قولبتهم وإعادة تشكيلهم من جديد، ثم يجعلهم رأس حربة في حملاته التوحيدية للبلاد، وكان فعلاً بحاجة إلى قوة قتالية متدربة تتمتع ببراعة أبناء البادية، وخفة حركتهم في القتال، وشجاعة أبناء الحاضرة، وإخلاصهم وثباتهم في الحروب، إلا أنه لا يرغب أن يتحول أبناء الحاضرة إلى حياة البادية التي يحاربها بكل جهوده، فهو يسعى إلى تغيير حياة المجتمع

البدوي، وينقلهم من الصحراء الحمراء إلى المدن والمزارع الخضراء، وقد وجد أبناء البادية في العراء يصارعون الحياة القاسية، لا يصل إليهم تعليم، ولا تنالهم يد الإصلاح، ولا يطولهم عصا التأديب، إذا انتشروا لا يحصرون، وإذا انتصروا لا يقهرون، يتفرقون في الصحراء الواسعة كالجراد في الحماد، وكالطيور في الفجاج، وهذا وضع لا يريده الملك "عبدالعزيز" ولا يقره العهد الجديد، ولهذا فكر بالتوطين أولاً ثم التعليم والتدريب ثانياً، ومن ثم اتخذ منهم قوة يضرب بها في تخوم معاقل العدو، فإنهم طاقة مهدرة، وقوة متناحرة ضائعة.

وقد كان من أهداف التوطين وإنشاء حركة الإخوان -علاوة على تحسين وضعهم الاجتماعي- أهداف أخرى ترمي إليها أفكار الملك "عبدالعزيز" البعيدة التي قد تخفى على كثير من الزعماء والمسئولين يدركها المتعمق في السياسة أثناء تدريبهم وإلهاب الحماس الديني في نفوسهم، وإذكاء الروح

القتالية لديهم، وكان يركز على المطـامح السياسـية فـي شبه الجزيرة العربية، إلا أنه كان يخفـي تلـك الأهـداف مـدة طويلـة لـم يكتشـفها أحـد حتـى أدرك مآربـه منهـا، ونـال بغيته، وقطف ثمار أفكاره في غزواتـه وفتوحاتـه المتوالية حتى أصبحت إنتصارته مضرب المثل[1].

(1) راجع عن هذا الموضوع بأكمله ، تاريخ نجد لعبدالله فلبي ص ٣٠٥-٣٠٨ ، ملوك العرب لأمـين الريحاني ص٨١-٨٨ ، وبنو ميشان ص١١٧-١٢٧، أحمد عسه "معجزه فوق الرمال" ص٥٩-٦٥ ، محمد المـانع توحيـد المملكـة العربيـة السـعودية ص١٠٩ ، د. مديحـة أحمـد درويـش ، تـاريخ الدولـة السعودية ص١٥٩-١٦٦ .

الأدب في عهد الملك عبدالعزيز
" والنهضة الفكرية "

كانت شبه الجزيرة العربية وما يتصل بها من أراضٍ خصبة مهد الحضارات القديمة، والديانات السماوية، والفصاحة العربية، وكل ماله صلة بالمصالح البشرية منشؤه محيط شبه الجزيرة العربية، فقد كانت مركز الكرة الأرضية، والمكان اليابس الخصب منها، وبقية المساحات تغطيها البحار والثلوج، وكان المكان الصالح للسكن منها هو هذا الجزء من الأرض، وقد كان الناس قلة قبل تكاثرهم ثم انتشروا على مر العصور من هذا المكان وكلما زاد تكاثر الناس زاد المد واكتشاف المساحات الصالحة للسكن تبعاً للحاجة، وكان الخالق سبحانه يزيد لهم في المساحة، فكلما تقدم الزمان تغيرت المدارات وتبدلت المطالع، فأذابت أشعة الشمس الجليد المتراكم على المرتفعات وسفوح الجبال، وانحدرت مكونة أنهاراً وأخاديد في الأرض، وعلى مر العصور تناقصت المساحات المائية واتسعت رقعة اليابس بسبب ما يتبخر من تلك البحار، ثم يعود أمطاراً يتوزع على الجهات اليابسة ثم يتغلغل كميات منها في

أعماق الأرض والأخاديد الجوفية من الأرض، وهذه الكميات التي تخزن في أعماق الطبقات الجوفية تؤثر في منسوب البحار سلباً.

ولا منازع في أن الجزيرة العربية هي المكان الذي انتشر منه البشر عموماً، فقد هلك الناس في الطوفان ولم يبق إلا من كان مع نوح في السفينة، وكل الناس بعد الطوفان من ذرية نوح عليه السلام وهم سام وحام ويافث قال الله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فلم يكن لأحد ممن ركب في السفينة مع نوح ذرية سوى أبناء نوح الثلاثة المذكورين.

وكانت الجزيرة مقرالساميين الذين منهم الأمة العربية، وكانت الجزيرة العربية إلى عهد قريب مهد البلاغة والفصاحة والبيان، وكان الشعراء والخطباء يتبارون في أسواق الجاهلية ومنها سوق "عكاظ" وسوق "مجنة" و"المجاز" وهذه أسواق معروفة ومشهورة يلتقي فيها الخطباء والشعراء ينشدون فيها أشعارهم ويلقون

خطبهم ، وفيها محكمون ، وقد أدرك الإسلام هذه الأسواق.

وقد حضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحدالمواسم مع من حضر"قال صلىالله عليه وسلم: رأيت قس بن ساعدة الأيادي على جمله يلقي خطبته في سوق عكاظ"، وقد تكون الخطبة المشهورة التي رآه النبي صلى الله عليه وسلم يلقيها ومطلعها: "أيها الناس اسمعوا وعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، وبحار تزخر ونجوم تزهر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولايرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا" ؟

وبعد نزول الوحي اشتغل المسلمون بالقرآن وحلقات الذكر، ومجالس العلم عن تلك المباريات التي تقام في الأسواق الجاهلية، وأصبحت من العادات القديمة المطمورة، وازدهرت اللغة العربية في عصر

صدر الإسلام والدولة الأموية والعباسية بسبب ما اقتبسته من القرآن والسنة أو العلوم الأخرى بعد الفتوحات الإسلامية، ولما انتقلت الخلافة إلى الشام ثم إلى بغداد أصبحت الجزيرة العربية تقع في أطراف الخلافة الإسلامية "والأطراف أتلاف" -كما يقولون- فانحسر عنها مد الخلافة وعمرانها، وأصبح الناس يتوافدون إلى مقر الخلافة ويهجرون الأطراف المنسية وخاصة في عصر تراجع الدولة الإسلامية عن المناطق النائية، فجفت خيرات الدولة عن أطرافها، ثم توالت عليها الجفوة والحروب الأهلية الغازية وأخيراً أجهز على ما بقي من الفصاحة الاحتلال العثماني الذي اتخذ سياسة التتريك ومحو كل ما يمت إلى العرب والعربية بصلة، وكان الأتراك بالإضافة إلى عجمتهم جهال أغبياء حاقدون فقضت تلك العوامل السلبية، على ما تبقى من اللغة العربية، فانحط اللسان العربي، وتحول من اللحن إلى اللكنة الأعجمية التركية، ففسدت اللغة، وانحرف اللسان العربي، وتحول العرب إلى

أنصاف عرب، وأنصاف عجم، لاهم بالعرب ولا بالعجم من حيث اللغة والتقليد، وفسدت كل القيم التي يتوارثونها بسبب التحول الخطير في البيئة العربية، وأصبح العربي الذي يتعلم منه الآخرون سليقته، يتعلم هو الآخر لغته، فألفت القواميس والمعاجم، فلحن المحجوم والحاجم، وأصبح العربي لا يعرف معاني مفردات لغته، وراح يتعلمها كما يتعلم مفردات لغة أخرى بسبب هجوم الترك والعجم على لغة القرآن ولغة الموقف يوم القيامة.

فأراد الملك عبدالعزيز بعد أن وحدها سياسياً أن يعيد لها ماضي مجدها العربي الأصيل، فاتجه إلى هذا الجانب، ولكنه يعلم أن العودة إليه ليست بالأمر اليسير وأنه يحتاج إلى أجيال قادمة حتى يعيد إليها كل الذي فقدته في عصورها الماضية فاستقطب[1]، الكوادر العلمية والمثقفة من أي جنس لما وجد منهم الرغبة في

---

(1) وكانت مساعيه الخيرة تسير مع تيار المعاصرة، ولا تتعارض مع القيم الأصيلة، ثم يحتاج إلى استكمال.

التعاون معه ليؤسس ثقافة أصيلة راسخة الجذور تقوم عليها نهضة علمية محلية واسعة لتأهيل إنسان الجزيرة المشارك في حركة التوحيد لتقوم بإنقاذ الواقع المتجهم الذي لا ينسجم مع متطلبات الحياة الحضارية المنشودة وانتشال المجتمع المتردي في مهاوي التخلف الفكري والشلل الثقافي والإعاقة العلمية.

وكان الملك عبدالعزيز أثناء جهاده يسير بالبلاد في ثلاثة مسارات كلها تصب في قناة واحدة هي صالح الوطن والمواطن فمسيرة الجهاد في ضم أقاليم ومدن البلاد، وتوحيد صفوف أبنائها ودمج قبائله، وهذا جانب سياسي، ومسار آخر للبناء الاقتصادي الذي يكاد يكون معدوماً وليس له وجود أو كيان، وبناء فكري علمي، ثقافي، والجامع المشترك بين هذه المسارات نقل البلاد بأهلها مما هي فيه من تخلف إلى مصاف الدول المجاورة على الأقل -المتقدمة- لتسير مع الشعوب الأخرى والأمم التي تريد الحياة الكريمة، فأخذ بأسباب المواكبة والمعاصرة والتحديث المتاح المحدود مع

التمسك بالثوابت الإسلامية والأخلاقية الأصيلة وتجنب ما يتعارض معها، وكان في نظرته التقدمية ينطلق من مرتكزات أساسية إسلامية وعربية ومحلية وهذه المرتكزات الثابتة جمعت في منظومة واحدة منحت البلاد مكانة عالية متميزة بين الأمم.

لقد أدرك الملك عبدالعزيز أن الشعب من أجل أن يتعلم ويتخطى حواجز الجهل ويستغل ثرواته بنفسه مضطر إلى الاستعانة بالأجنبي، لأن استيراد العلوم الحديثة شبيه باستيراد المخترعات الحديثة، ولاضرر فيه إذا كان مقروناً باحترام معتقداتنا وعاداتنا وتقاليدنا ومثلنا العليا، وإذا ما لزموا الحياد في اتجاهاتهم المختلفة، وقد تضمنتها خطبه المبثوثة إلى العالم في كل المناسبات منذراً ومحذراً من أن يستغلوا وجودهم بفرض شيء من سلوكياتهم وقال "إنكم جئتم مدرسين لا أسياداً وضيوفاً لا غزاة، وإن بقاء صداقتنا منوط بذلك"، ولذلك استقدم الخبراء والمدرسين والمثقفين والكتّاب ومن رغب البقاء لديه منهم قبله وأكرمه من

أجل أن يمحضه النصيحة، ويؤدي ما يستطيع بإخلاص واجتهاد، وبعث الطلبة إلى الخارج للدراسة والتدرب على الأعمال المهنية الفنية مثل الطباعة وأعمال المطابع والإذاعة والهندسة الإذاعية والتدريب على أعمال الاتصالات السلكية واللاسلكية، وكان يحرص أن تكون البعثات إلى الدول الإسلامية مثل: مصر وغيرها من الجهات التي يعلم أن فيها مجالاً للدراسة المفيدة، وفتح المدارس المختلفة وأعطى الشعراء والأدباء الحرية في القول، ومنحهم العطايا المادية والمعنوية حتى ارتفع عمود الأدب واتسعت ردهاته وجال في ميدانه الأدباء والشعراء والمفكرون[1].

واتجه في تطوير البلاد إلى الاستعانة بخبرات أبناء الدول العربية المجاورة فكان يستعين بالمتعلمين

---

[1] وكان الملك عبدالعزيز يهدف إلى توحيد شبه الجزيرة العربية ، ثم تنشيط الحركة الفكرية لتحويل أبناء الجزيرة إلى أمة عصرية حديثة بعد نهاية عمليات الجهاد التي هي الهدف الأول ، ثم جند قدراته وإمكاناته لتحقيق الهدف الثاني والثالث ، وبدأ بهما معاً فاهتم بالتعليم الذي هو بداية سلم التقدم والتطور خاصة التعليم الشرعي الذي هو بأمس الحاجة إليه ، وذلك بفتح المدارس والمعاهد العلمية وسير البعثات الخارجية.

والمثقفين من مختلف الجنسيات مبعداً عن تفكيره الإقليمية والعنصرية القبلية واهتم بالكيف عن الكم، وفجر في البلاد البكر الطاقات البشرية في كل مجال من مجالات الحياة فجاء بالمستشارين والإداريين الذين سبق لهم العمل في مناصب وزارية في بلادهم ولديهم خبرات تراكمية، فاستفاد منها وأعطاهم الثقة الكاملة حتى أخلصوا له في العمل، وأفادوا البلاد بخبراتهم ومعلوماتهم، ولم يهمل المواطن بل عين معهم من يستفيد من خبراتهم ويتدربون معهم حتى رأينا بوادر عودة الجزيرة علمياً إلى سابق مجدها التليد أيام ازدهارها وطفرتها الثقافية والعلمية فكانت إنجازاته الحضارية ومبادراته تأتي خارج نطاق الأفهام السطحية الفجة[1].

---

[1] المرجع، بنو ميشان، عبدالعزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، ص٢١٠ .

إنشاء مجلس الوكلاء

من الإجراءات الإدارية التطويرية التي تمت في عهد الملك عبدالعزيز إنشاء مجلس الوكلاء الذي جرى تأسيسه والذي بدأ أعماله في ١٣٥٠/٦/٢٨هـ بثلاثة أعضاء وهم وكيل وزارة الخارجية ووكيل المالية ونائب رئيس مجلس الشورى، ثم أضيف إليهم عضو رابع هو رئيس دوائر المالية وصدر نظامه في ١٣٥٠/٨/١٩هـ وأسندت رئاسته للنائب العام في الحجاز.

وكان من اختصاصاته القيام ببعض المهام التشريعية والوظائف التنفيذية معاً، وقد قصد منه القيام بالمهمتين معاً التشريع والتنفيذ، وكان يتمتع بصلاحيات ومهام واسعة النطاق، في رسم السياسة العامة للدولة، وكل وكيل عضو في مجلس الوكلاء مسؤول عن تنفيذ السياسة العامة للدولة في إدارته مسؤولية مباشرة أمام الملك أو نائبه، وكان النائب العام يقوم برئاسة مجلس الوكلاء والشورى إضافة إلى عمله كوزير للخارجية والداخلية، ومشرفاً على الشئون العسكرية وكانت

اجتماعات مجلس الوكلاء تتم في كل ليلة في بدايته ويتخذ خلالها القرارات والتوصيات اللازمة على المعاملات المتعلقة بالشئون المالية والخارجية والتنظيمية، ودراسة المشاريع العمرانية، وحينما توسع الجهاز الإداري للدولة ازدادت مهامه وأقسامه الإدارية، وانبثقت عنه لجنة دائمة تقوم بدراسة المعاملات الواردة إليه من جميع الجهات، وعمل خلاصات بما تتضمن وجهات نظر الجهات المستفيدة، ومدى اتفاق طلبها مع النظم المطبقة، وتحال إليها المعاملات من مجلس الوكلاء، وتعتمد قراراتها على الأغلبية من الأعضاء، ثم يصادق عليها النائب العام، وبعد ذلك تكون نافذة المفعول، ونص نظام المجلس على أن الملك هو مصدر السلطة العليا ومنه يستمد المجلس سلطته، وقد جاء في نظامه أنه مسؤول بالتضامن مع أجهزة الدولة عن الإصلاحات الهامة وكل ماله علاقة مباشرة بكتاب الحكومة وواجباتها، والنظر في وضع مشروع نظام له على أساس مبدأ تركيز المسؤوليات،

وتوزيع الأعمال وتبسيط الإجراءات، وقد أعطى النظام رئيس مجلس الوكلاء بحكم إشرافه على أجهزة الدولة حق تنفيذ قرارات المجلس التي تتخذ بالإجماع وتكون نافذة المفعول وملزمة حال صدورها ورئيس المجلس هو الذي يقوم بإعداد الأوامر الملكية وإصدارها إلى الدوائر الحكومية والوكالات، وهو مرجع تلك الدوائر في معاملاتها الرسمية، وحينما توسعت الدوائر الحكومية رغب الملك عبدالعزيز في تطوير الأنظمة الإدارية وتوزيع الأعمال بشكل أعم وأدق فأسند هذه المهمة إلى مجلس الشورى لإصدار رأيه في ذلك وأصبح انعقاد جلساته مرة في الأسبوع ويشترك في مناقشاته ومداولاته رئيس الجهة صاحبة الشأن عند مناقشة طلبات واحتياجات إدارته، وحددت صلاحياته في الاعتمادات المالية وتوسعت مهامه وصلاحياته حتى أصبح جهازاً مركزياً يسيطر على مرافق وإدارات المملكة مما مهد لتحويله إلى مجلس الوزراء في عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م وديوان النائب العام إلى

ديون رئاسة مجلس الوزراء ١٣٧٤هـ ، وقد استمر مجلس الوكلاء السلطة العليا بعد الملك ما يزيد على اثنتين وعشرين سنة من ١٣٥٠/٦/٢٨هـ إلى ١٣٧٣/٢/١هـ ، وقد صدر المرسوم الملكي رقم ٤٢٨٨/١/٢٠/٥ في ١٣٧٣/٢/١هـ بناء على ما تقتضيه مصلحة البلاد وتكاثر الواجبات وتنوع[1] المسئوليات الملقاة على عاتق الدولة ورغبة -الإرادة الملكية- القيام بما يكفل ضبط الأعمال وتركيز المسئوليات على أحسن وجه وفق الأسس السليمة التي تأخذ بالبلاد إلى مكانتها الجديرة بها بين الأمم، وترفع مستوى الشعب السعودي، وتضمن له حياة هنيئة رغدة كريمة في ظل العدل والاستقرار "هذه حيثيات المرسوم الملكي القاضي بتأسيس وتشكيل مجلس الوزراء الذي حل محل مجلس الوكلاء وأعضاؤه جميع وزراء الدولة وزراء الوزارات القائمة، وكذلك المستشارون الذين

---

[1] صدر نظام المجلس عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م بقرار مجلس الوكلاء رقم ٢٧ / في ٤/٢٩ /١٣٥٥هـ المرفق به النظام ، معهد الإدارة العامة الوثائق نص النظام ملحق رقم (٧).

يحملون لقب وزير دولة وعضو في مجلس الوزراء، وتكون قراراته بالإجماع أو الأكثرية وتوضع موضع التنفيذ بعد تصديق رئيس مجلس الوزراء وموافقة الملك عليها، وقد حدد نظامه مهامه من صلاحيات ومسؤوليات، وقد توفي الملك عبدالعزيز رحمه الله بعد تشكيله قبل أن يعقد أول جلسة من جلساته[١].

---

[١] كتاب تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزبز ، ع.د. ابراهيم عويض العتيبي ، ص١٣٩ - ١٥٩ - ٥٢٥ .

البحث عن الماء يجر
الى إكتشاف البترول

- ١ -

عندما شرع الملك عبدالعزيز في توطين البادية (بالهجر) واجهته مشكلة قلة المياه، ووقفت حجر عثرة في سبيل تحقيق أهدافه، وكان السكان يسمعون أن شبه الجزيرة العربية في عهودها السحيقة كانت جنة وارفة الظلال، وأن الغابات التي تجري تحتها الأنهار تغطي معظم أجزائها، وأن المسافر من نجد إلى الشام لا ينقطع عنه الظل والماء العذب حتى تطأ قدماه الأرض المقدسة في فلسطين، وهذا صحيح، ولكن الرمال زحفت من صحراء سيبيريا، ومن صحراء الربع الخالي فطمرت تلك الغابات، وغطت مجاري الأنهار وطغت على منابعها حينما تحول المناخ إلىصحراوي، وانتقلت إليه الحرارة بالتدريج، وكان عهد الجزيرة بالغابات والأشجار الخضراء والأنهارحينما كانت تغطي أوربا الثلوج في عصرها الجليدي، وكانت تلك الثلوج المجاورة والقريبة من أطراف الجزيرة تمدها ببخار الماء في طبقات الجو العليا والرطوبة وبرودة الطقس،

والأنهار التي قد تصل إليها حينما لا تعترضها البحار، مثل الأنهار التي لاتزال باقية في الشمال، في الأردن، والشام، والعراق، وفي مصر لأن منابع تلك الأنهار لا تزال تهبط عليها الثلوج، أما وسط الجزيرة فإن انحسار الثلوج عن أوربا واكتشافها كبلد عامرة تأثرت به الجزيرة سلبياً فتحولت إلى كثبان رملية تصاحبها حرارة شديدة، ولهذا تحولت أجواؤها إلى الحالة الراهنة التي لا يطيقها سوى أهلها.

ولكن الملك عبدالعزيز لم ييأس، أو يستسلم لهذا الجفاف، فقد فطن لكل هذا واستفاد من أدلة الماضي، كما أن بقاء بعض العيون الجارية دال على وجود المياه الجوفية، مثل عيون الأحساء ومنها "عين نجم" وعيون الخرج مثل الخفس، هيت، والعيون في الحوطة والأفلاج ، والعيون في وادي فاطمة في الحجاز وغير ذلك ..

وكان السكان من الحاضرة يستخدمون الآبار الجوفية لسقي زروعهم ، ولكن هذه (القلبان) قليلة

المياه لأنها تخضع لغزارة الأمطار وندرتها فإذا نزل المطر ارتفع منسوب المياه في تلك الآبار، وإذا قلت الأمطار زاد شح الماء فيها، وإمكانات السكان محدودة لاتمكنهم من البحث عن المياه في الأعماق الجوفية البعيدة، وكان يوجد في آخر عهد الملك عبدالعزيز مخترعات حديثة لاستخراج المياه الجوفية البعيدة في الطبقات الجوفية من الأرض، كالحفارات الارتوازية التي تستخدمها الدول الصناعية في البحث والتنقيب عن البترول، فأراد الملك عبدالعزيز الاستفادة منها والاستعانة بها، فقام باستيرادها، ومن ثم استيراد الماكينات لضخ تلك المياه، ولكن هذه الآلات مرتبطة بالخبراء الجيولوجيين (خبراء طبقات الأرض) لتحديد الأماكن التي يكثر فيها وجود المياه الجوفية، فاستقدم المهندسين الزراعيين من أمريكا للتنقيب عن المياه الجوفية فعثروا على كميات ضخمة من المياه الجوفية مطمورة تحت الرمال.

فانطلقت تلك الحملة الواسعة، وانتشرت في أنحاء الجزيرة مستخدمة الوسائل الآلية الحديثة لاختراق طبقات الأرض الجوفية لإخراج المياه من أعماق الأرض، فالماء في الصحراء القاحلة أثمن من الذهب الرنان، فهو عصب الحياة، ولا حياة بدون ماء، وحينما توافرت المياه وضمن الملك عبدالعزيز وجودها تحت الأرض استقدم المهندسين الزراعيين من أمريكا وأوربا وبدأت المشاريع الزراعية في الخرج، والأحساء، وفي الحجاز تؤتي ثمارها، ثم شملت أجزاء كثيرة من أقطار المملكة المترامية الأطراف، فأنشأت مديرية الشؤون الزراعية في رجب ١٣٦٧هـ ومقرها جدة، فقامت باستيراد مكائن للري باعتها على المزارعين بالأقساط المريحة، وجلبت حفارات ارتوازية لتوفير المياه اللازمة للمدن والقرى، كما استوردت بعض أنواع الأشجار على هيئة شتلات، وأنواع الفواكه، على شكل بذور، وأنشأت مزارع نموذجية في جدة، طريق مكة، ثم قامت باستثمار

الأراضـــي البـــور الزراعيـــة وبمنحهـــا للمزارعيـــن لاستعمارها واســتثمارها، وقـامت بمسـاعدتهم بـالبذور، والمواد المكافحة، والقـروض، والاعانـات، ثـم تحولـت هذه المديرية إلى وزارة للزراعة بناء على تقرير قدمـه الخبير الأمريكي (إدوارد) بأمر من الملـك عبدالعزيـز، المتضمن عزمه على إنشاء هذه الوزارة والذي تحقق[1] بعد وفاة الملك عبدالعزيز بحوالي شهرين قال (إدوارد) الخبير الأمريكي الذي كان يشرف علـى أعمـال الحفـر لن أنسى زيارة الملك عبدالعزيز لورشتنا، حيث انحنـى على حافة البئر، وحـدق فـي طبقـة الميـاه التـي كـانت تتألق في الحفـرة القائمـة، وكـان وجهـه الصـارم عـادة بادي الانفعال، وكانت عيناه مغرورقتين بالدمع، فربـت علـى كتفـي وقـال لـي بصـوت متهـدج لقدحققـت عمـلاً باهراً يا إدوارد فابق هنا بضـع سنين.

فأثارت هذه البدايات الطيبة، والاكتشافات الأولية الحماس لدى القائد الحريص على بناء الدولـة أن يـأمر

---

(1) عبدالعزيز آل سعود، سيرة بطل ومولد مملكة، بنوميشان، ص ٢٢١.

بصيانة الآبار المهجورة، أو شبه المهجورة، وتعميقها، ومدت القنوات الأسمنتية بين آلاف النخيل والمزارع، وأقيمت بعض السدود لتخزين مياه الأمطار التي كانت تذهب هدراً في المناطق القاحلة، ثم حفر عدداً من الآبار الارتوازية، فانتشرت الآبار الارتوازية في أنحاء الجزيرة، وبالذات منطقة نجدالتي يغلب عليها التصحر، وتغطي معظم أراضيهاالرمال المتحركة مع الأعاصير، والعواصف، فتغير وجه الحياة في مختلف المناطق، وأصبحت المزروعات الوطنية تغطي معظم حاجة البلاد، بعد أن كانت تستورد كل شيء مع القلة،والفاقة، ونقص المواد الغذائية، فتوافرت التمور، والحبوب، والخضراوات وبعض الفواكه، وخاصة الحمضيات، فتبدل وجه الحياة في تلك المناطق من عابس مكفهر إلى باسم مخضر بفضل ما قام به موحد الجزيرة من عزيمة قوية وإرادة فولاذية.

- ٢ -

وهذه الآبار الارتوازية لاستخراج المياه الجوفية قد جرّت إلى شيء أعظم من ذلك، فقد دلت الحفريات واختبارات الخبراء إلى احتمال وجود البترول في أراضي المملكة العربية السعودية في وقت مبكر، وقد كان من محاسن الصدف أن الإنجليزي (فرانك هولمز) يقوم بسبر الأغوار في منطقة البحرين لحساب إحدى الشركات البحرية البريطانية، فتوصل إلى اكتشاف غير متوقع، إذ وجد نفسه أمام طبقة صغيرة من النفط قريب من ساحل الأحساء، فتقدم هذا الخبير هولمز بطلب إعطائه امتياز التنقيب عن البترول من أمير البحرين، فحصل على الامتياز، وعاد إلى بلاده، ولكنه لم يجد من الشركات من اهتمت بهذا الاكتشاف، فباع الامتياز بثمن بخس على شركة أمريكية صغيرة "شركة زيت الخليج" ، وتوقف الأمر عند هذا الحد، وفي عام ١٣٥٠هـ تقريباً جاء إلى الأحساء فريق متنكر بزي أبناء البادية فقبض عليهم بتهمة العمالة، والتجسس

لحساب دولة معادية أجنبية فاتضح أنهم خبراء أمريكيون جاءوا للتنقيب عن البترول، فأمر الملك عبدالعزيز بالإفراج عنهم وتركهم وشأنهم بمشورة من الخبير (إدوارد) فاكتشفوا وجود البترول تحت الطبقة العازلة المارة بإيران والعراق فكان لهذا الاكتشاف ضجة كبيرة في الأوساط الغربية، فأيد اكتشاف "هولمز" السابق، فجاءت وفود شركات النفط الأمريكية والعالمية يتسابقون إلى القصر الملكي كل يريد أن يحظى بهذا الاكتشاف وكانوا يحاولون أن تباع عليهم تلك المساحات التي اكتشفوا فيها النفط، ولكن الملك عبدالعزيز توقف عن إجابتهم بشيء من الحذروالتحفظ، ثم قرر أن يمنح شركة نفط الخليج الامتياز بأجور سنوية معينة لمدة محدودة بعد هذه المدة تعود المعدات المقامة على الأراضي ملكاً للدولة، ولكن هذه الشركة الصغيرة حاصرتها ضغوط من الشركات الكبرى، أجبرتها تلك الضغوط على بيع امتيازها على الشركة الأمريكية الكبرى (استاندر آويل أوف كليفورنيا) بمبلغ

خمسين ألف دولار، وكان شراء امتياز استخراج بترول الجزيرة أعظم صفقة تجارية في وقتها، وقد استفادت هذه الشركة من وضعها القائم حيث لم تكن خاضعة لأنظمة شركات البترول العالمية، فكانت تضخ من الآبار ما تريد من الكميات، وتبيع بالسعر الذي تحدده هي حسب مصلحتها، فضربت الشركات الأخرى، وقوي مركزها، فاستطاعت بنشاطها استعادة نفقات التجهيزات الأساسية بأسرع وقت ممكن، وبدأت تجني من الأرباح ما جعل مركزها المالي من أقوى مراكز الشركات العالمية، وفي عام ١٣٥٦هـ اتحدت هذه الشركة (شركة كليفورنيا) مع (شركة نفط تكساس) تحت مسمى واحد (شركة كليفورنيا العربية) (أرامكو)، فدخلت مع الشركات الأخرى في منافسة حادة في أسواق النفط العالمية...

فبلغ سقف الإنتاج في عام ١٣٥٥هـ مائة وأربعاً وسبعين ألف طن وفي عام ١٣٥٦هـ ارتفع إلى ستمائة وأربعين ألف طن وفي عام ١٣٥٧هـ بلغ مليون ومائة

ألف طن إلى مليون طن في ١٣٥٩هـ وثلاثة ملايين طن في ١٣٦١هـ وهكذا استمر في الارتفاع واستمر الحفر وزيادة الآبار الارتوازية، فكان هذا المشروع فتحاً آخر للملك عبدالعزيز بعد الفتح والتحرير، فتحركت الحياة الصامتة في الخليج، وأقيم عدد من المصافي البترولية على طول الساحل، وعدد من الصهاريج، والمضخات، وأحواض السفن، والأرصفة، وقامت الشركة بتشغيل قطاع كبير من السكان، والمقيمين لتصفية وتخزين وتعبئة الكميات الهائلة من النفط المتدفق، فارتفعت موارد الدولة، وبدأت طلائع الرفاهية تشرق، فتقهقرت الصحراء، وتحولت إلى بساتين خضراء، ورياض غناء، ولم تتوقف الفتوحات الاقتصادية عند هذا الحد، فقد اتجهت الأنظار والأفكار عند هذا القائد الشهم إلى التعدين، واستخراج الحديد، والنحاس، والكروم، والذهب، والفضة، فقد اتضح أن جوف الصحراء مليء بالثروات الطائلة من الذهب، والفضة، والمعادن النفيسة، فجاء خبراء التعدين من

أمريكا، وأسسوا شركة رابطة المناجم في المملكة العربية السعودية، وكانت مهمتها البحث عن الحديد والكروم، والذهب، الفضة، ومختلف المعادن النفيسة... فقامت هذه الشركة بترميم منجم البحران المهجور وصيانته واستئناف العمل فيه ، وكان هذا المنجم من أقدم المناجم في العالم ويقال إنه يستخدم من عهد الملك "سليمان"[1].

كان الملك عبدالعزيز يهمه أمر بلاده التي خرجت من معركة التحرير والتوحيد مثقلة بالمتاعب والمطالب، كما يفكر ببناء المشاريع التي تنعم بها الدول الأخرى، ولكن هناك أمور كثيرة تحول دون تحقيق أهدافه، فالمعارضات الداخلية لها دور، وقلة المال ومحدودية الموارد، وهذه هي العقبة الكئود، ولذلك فقد ظل يبحث بشتى الوسائل عن تعزيز موارده المالية لبناء بلاده، وتحقيق رفاهية شعبه، وكان سائراً في تنفيذ ما يراه نافعاً على الرغم من أن الكثير من

---

(١) بنو ميشان ، ص٢٣٢ .

المعارضين يسمون(السيارة والطيارة والهاتف والبرقية والراديو) بدعاً ويتهمون الملك عبدالعزيز بأنه يريد أن يزج بأبناء الجزيرة في مهاوي الضياع بإدخال هذه البدع واستخدامها وفرضها على الناس، ولكنه استطاع التغلب على معظم معارضاتهم بالحكمة والسياسة، وأما المعارضة المتعندة، فقد أرغمها بالقوة، وألقمها الطاعة، ولم يثن عزيمته انتقاد الذين يميلون إلى التقشف، ويضربون صفحاً عن زخارف الحياة وكمالياتها، ولا معارضة الذين يظنون أن حركة الحياة يجب أن تقف عند حذ الواقع الذي يعيشه المثبطون، فأما المعارضون الذين ينظرون إلى الحياة نظرة فردية ذاتية فيقيسون الآخرين على أنفسهم ، ثم يرفضون الأشياء التي لا تعجبهم بدون دليل مادي أو شرعي يبرر هذا الرفض، فهؤلاء أمرهم أيسر من الذين يخترعون الأدلة، ولكن الملك عبدالعزيز المتحمس لهذه المخترعات ينظر إلى مصالح الآخرين بصرف النظر عن المصلحة الذاتية، وينظر إلى مسئولياته الجسام، والتزاماته العظيمة،

وارتباطاته بالدول الأخرى، فهو مسئول عن شعب بأكمله مسئول عن حمايته، وأمنه، واستقراره، وتأمين احتياجاته، ومطالبه، ومن ثم رفاهيته، ولذلك فإنه ظل يبحث بشتى الوسائل عن الطرق الكفيلة لتأمين الضروريات لأبناء الجزيرة، ومن ثم الكماليات، فهو ينظر إلى الأمور نظرة شاملة فيها تحقيق رغبات الرعية بمختلف المشارب والمطالب لمختلف طبقاتهم، ولذلك فقد سار بتنفيذ ما يدور في دائرة أفكاره بعد أن تؤيد من قبل المستشارين العرب والأجانب الذين قد استعان بخبراتهم ومعلوماتهم لتحويل الدولة الناشئة إلى دولة حديثة متطورة بعد تنفيذ برامجه الإصلاحية ...

استخدام الكهرباء

كانت بداية دخول الكهرباء للمملكة عام ١٣٤٨هـ وقد تبرع أحد الأثرياء المسلمين من الهند بمولدات كهربائية لإضاءة الأماكن المقدسة وبعض البنايات الضخمة بمكة المكرمة، وكان يقوم بتشغيلها وإدارتها مهندس هندي/ محمد رفيق فأعجب الملك بمقدرته ورأى أن الوقت قد حان ليكون في قصره بالرياض إضاءة كهربائية فأرسله من الحجاز عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣٠م ليشتري مكائن جديدة وينقلها للرياض، فاشترى ثلاث مكائن وأرسلها بالشاحنات إلى الرياض حيث وصلت إليه سليمة، ثم قدم رفيق ومساعدوه وقاموا بمد الشبكة -الأسلاك- داخل القصر إلا أنها عند التشغيل لم تعمل بكفاءة وخيبت الآمال، ثم طلب السفر إلى جدة لإحضار قطع غيار لتلك المولدات، فذهب ولم يعد حيث لم يجد ما يريد، ولكنه استأذن من وزير المالية عبدالله السليمان وذهب إلى مصر واشترى مكينة جديدة، ثم عاد عام ١٣٥١هـ/١٩٣١م ومعه المطلوب فاستطاع أن يشغل الإنارة بسهولة، فأصبح

القصر يزدان بالنور الكهربائي، وكان موضع إعجاب كثير من البادية، فيتساءلون عن هذه الأنوار فيقول الملك لهم مكينة وأسلاك.

كانت عوامل الإضاءة المستعملة في أنحاء المملكة هي السرج والفوانيس بالزيت الحيواني (الودك الشحم المذاب) والسمن أو الشمع إذا وجد ثم تغير الحال إلى الوقود بالكاز أو الديزل -من مشتقات البترول- ثم تطورت السرج من الفوانيس إلى الأتاريك فكانت توضع في الأسواق إلى عهد متأخر، ولكن الملك عبدالعزيز بناء على منهجه التطويري أراد أن يستفيد الأهالي من المخترعات الحديثة في كل المجالات، وكان من أفضل ما انتفع به في وقته من تلك المخترعات الكهرباء، فبادر بتعميمها بادئاً بالرياض عاصمة الوطن، فقد أمر الملك بأن تضاء مدينة الرياض بالكهرباء وذلك عام١٣٦٧هـ-١٩٤٨م وتفاجأ الناس بوصول عدد من سيارات الشحن الكبيرة قادمة من المنطقة الشرقية (رأس مشاب) تحمل مكائن

ومولدات (دينمو) تعمل بالديزل وقد تم استيرادها من أمريكا (ولاية سان فرانسيسكو)[1].

فكانت تلك المكائن الضخمة هي نواة لمحطة توليد الكهرباء، وتعميمه للدور والقصور والشوارع والمتاجر والآبار الزراعية ومياه الشرب التي تمد وتغذي العاصمة، وجرت تقويتها بمولدات ومكائن أخرى، واستمرت توسعتها حسب الحاجة المستجدة في كل يوم ولحظة، وكانت تواكب النهضة والتطور المتسارع في كل ميدان، وكان التيار هو المحرك لكل الأنشطة الحضارية.

---

(1) راجع توحيد المملكة العربية السعودية ، محمد المانع ، ص٢٢٥ .

الإهتمام العالمي بالخليج العربي منح الملك عبدالعزيز مكانة عالمية وجعله موضع إهتمام الدول العظمى

إن من منطق الأشياء أن تدرك الدول الكبرى أهمية الخليج العربي الاستراتيجية، والاقتصادية التي فرضتها الظروف السياسية العالمية، وقد زادت قناعة أمريكا بأهميته عند ما عجز مرفأ البصرة المهدد بالعواصف والأوحال التي تحملها مياه شط العرب عن استيعاب المعدات، والأجهزة العسكرية والصناعية والمؤن المنقولة من الولايات المتحدة إلى الروس، على الرغم من الاستمرار في تعميقه لاستيعاب شحنات المساعدات الحربية ، ومع كل هذه الإصلاحات والتوسعة فإنه لابد من اللجوء إلى الساحل الجنوبي من الخليج العربي المحصن بصورة أفضل من الرياح العاصفة، ولكن تلك السواحل البديلة في جنوب الخليج واقعة تحت سيطرة الملك عبدالعزيز، وكان لابد من التفاوض معه وخاصة بعد أن تولت أمريكا قيادة مصالح الحلفاء كلها في الخليج العربي عند هذا ابتسم الحظ في وجه الملك عبدالعزيز وهو على ظهر الباخرة مع الرئيس الأمريكي "روزفلت" حينما أصبح في

منظور أمريكا وبريطانيا أحد ملوك النفط الذين يشار إليهم بالبنان، وكان الملك عبدالعزيز وقتها - على الرغم من تحسن الأحوال المادية - فإنه يعاني من نقص في الموارد المالية، ولم يتوقف عن البحث بشتى الوسائل عن تعزيز موارده لبناء بلاده، وتحقيق رفاهية شعبه. وفي هذا الظرف الدقيق بالنسبة للطرفين قال "الملك عبدالعزيز": "يريد الإنكليز أن يحتفظوا بطريق الهند مفتوحة، ويريد الأمريكيون الاحتفاظ بطريق إلى الاتحاد السوفياتي، وهم فوق ذلك يبحثون عن مكان أمين لإصلاح بواخرهم، وإفراغ حمولتها، إن لدي ما يريدون في موانئ الأحساء، فهنالك الرافعات والمستودعات، والأرصفة والمنشآت المرفئية المختلفة التي بنتها شركات النفط الأميركية، ولما كانت هذه المنشآت قد أقيمت كلها في الأراضي السعودية لأغراض مدنية وتجارية فلا يمكن استخدامها لأغراض عسكرية إلا بعد موافقتي، وإني لمستعد للموافقة ما دمت أؤيد الحلفاء وأعتقد بأنهم سينتصرون بالنهاية ...

إذن لا بـأس مـن أن أسـتغل هـذه المسـاعدات التـي سأقدمها لهـم لمصلحـة بلـدي وشـعبي". وحينمـا منحـت أمريكـا بريطانيـا قرضـاً مجزيـاً وافقـت علـى مفاوضـة الملك عبدالعزيز بأن تخصص له بريطانيـا جزءًا ممـا اقترضته مقابل تأجير المرافئ السـعودية الواقعـة علـى الخليـج، وكـان الملـك عبدالعزيـز يوجــه سياسـته مـع مصالح بلده بصرف النظر مع من تكون؟ لكنه يحسـب ألف حساب للعواقب، فلا ينجرف مـع المصلحـة الآنيـة إذا كـانت تجـر خلفهـا الويـلات فـي النهايـة ، بـل إنــه يستخدم المعادلة، ويدرس الحالـة مـن جميـع الأطـراف فقد وجه سياسته مع بريطانيا ضد الأتراك لأن الأتـراك كانوا هم العدو المسـتوطن القديـم المغلـوب، والإنجليـز الصديق الجديد الذي يحارب العدو، فـاقترب منـه لهـذا السـبب، ولكـن بحـذر متنـاهٍ ، ولا يخفـى علـى الملـك عبدالعزيز أن الإنجليز قدأخذوا يتراجعون عن الخطوط الأمامية وأنهم قد اقتربوا مـن الـنزع الأخـير، وهنـاك القادم الجديدالذي يبذل تحت ستار المساعدات الإنسـانية،

وقد يكون أقل خطراً لأنه فـي ظـاهره ليس لـه أطمـاع سياسية فـي الـدول العربيـة، كمـا أظهـر أنــه يحــارب الاستعمار، وكان الواضح أمام العالم أن أمريكا تساعد الدول المتخلفة، لقد رفض مندوب الملك عبدالعزيز فـي القاهرة القرض البريطاني المشروط بشـروط سياسـية، فقرر "روزفلت" التفاوض مع الملك عبدالعزيـز بنفسـه، فاغتاظ تشرشل من هذه المفاجآت، لأنه لا يريد أن تتـم الصفقة بدون وساطته، فيخرج من الميدان قبل حضـور المائدة، فاهتم تشرشـل لمعرفـة فحـوى المحادثـات بيـن "روزفلـت" والملـك عبدالعزيــز وملــك مصــر و"هيــلا سلاسي" إمبراطور الحبشة فحاول اسـتجلاء الأمـر مـن "هاري"، رجل البيت الأبيض فقال، لقد أجبـت تشرشـل بـأني أجهل تمامـاً هـذه النوايـا ولكـن أعلـم أن الرئيـس يرغب في بحث الحالة في فلسطين مع ابن سعود، غير أن حديثي مع تشرشل لم يشف غليله، وظل مقتنعاًبأننـا سلكنا سبل المؤامرة لنسف الإمبراطورية البريطانية في تلك المناطق، ابتسم "روزفلت" لهـذه المخـاوف، وظلـت

نواياه سرا، وضجت الدوائر البريطانية في لندن حيث اعتقدوا أن أمريكا تسعى لسحب البساط من تحتها، وأنها قاربت دخول مناطق الصيد المحرمة على غير الإنجليز منذ قرن ونصف.

لقد وضعت المدمرة الأمريكية تحت تصرف الملك عبدالعزيز، وتمت مقابلته "لروزفلت" على ظهر الطراد (كوينسي) عام١٣٦٥ الموافق ١٤شباط ١٩٤٥م عند مدخل البحر الأحمر، وقد أحيط بما يستطاع من إكرام واحترام، قال "روزفلت" أثناء المقابلة "إنني سعيد برؤيتكم فما الذي يمكن أن أفعله في سبيلكم".

رد الملك عبدالعزيز "لقد سعدت باستقبالكم الودي ولكن ليس لدي أي مطلب أتقدم به فأنتم الذين رغبتم في رؤيتي ولهذا أفترض أن لديكم ما تقولون لي"، لقد قابل الرئيس الأمريكي "روزفلت" عدداً من الشخصيات العربية لم يسمع بمثل لهجة الملك عبدالعزيز المجردة من التملق والمجاملة، لقد استخدم "روزفلت" براعته في التأثير على محدثه ولكنها لم تبلغ الحد الذي أراده، إن

صمت الملك عبدالعزيز أمام أكبر رئيس دولة قد ألجأ ذلك الرئيس إلى كشف نواياه، وكان يريد أن يعرف رأي الملك عبدالعزيز حول هجرة اليهود إلى فلسطين، فأراد تقليل أهمية الهجرة لعل الملك عبدالعزيز يوافق على ذلك، ولكن الملك عبدالعزيز كان موقفه من هذه القضية متشدداً فقال "لا" فقال "روزفلت" إن اليهود قد حولوا الأراضي الفلسطينية إلى أراضٍ خصبة، وأنها سوف تفيد كل العرب، فقال الملك عبدالعزيز "اليهود حولوها بأموال أمريكية، ولو أعطيت بعض تلك الأموال إلى العرب لم يكونوا أقل منهم قدرة ومهارة" ثم قال "إن الجيش المسلح من اليهود لا تبدو عليه أية رغبة في قتال الألمان -كما تزعمون- بل إنه يشكل تهديداً للعرب، وأعلن الملك عبدالعزيز بصراحة أن العالم العربي لن يسمح بدخول أفواج جديدة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وأن العرب سيحملون السلاح، وإنه سيكون بصفته الدينية والسياسية في طليعة المحاربين إلى جانب إخوانه في فلسطين.

استغرب "روزفلت" كلام الملك عبدالعزيز، فطلب من المترجم إعادته مراراً، وكان الملك عبدالعزيز في كل مرة يبدو أكثر صلابة[1]. فقال روزفلت عن الملك عبدالعزيز بعد تلك المقابلة (ما وجدت واحداً في حياتي حصلت منه أقل مما حصلت عليه من هذا الملك العربي ذي الإرادة الحديدية)[2].

ولما يئس "روزفلت" من حصوله على ملاينة من الملك عبدالعزيز في قضية فلسطين انتقل إلى رغبة القيادة الأمريكية باستخدام سواحل الأحساء وموانيه لإيواء القوافل الأمريكية المارة به وتموينها بالوقود.

وعاد الهدوء إلى الملك عبدالعزيز وأبدى استعداده بقبول ذلك بشروط دونت في الاتفاقية، وبعد تلك المداولات اتفق الطرفان على ما يلي:

١ - ألا تتعرض العربية السعودية، لاحتلال عسكري.

---

(١) عبارة بنو ميشان، ٢٦٩، ٢٧٢ الزركلي الوجيز.

(٢) نقلاً عن ليوث في كتاب أبي قال لي).

٢ - ألا يقتطع أي جزء من أرض الوطن ، والأماكن التي سوف يستخدمها الجيش الأميركي تكون على سبيل الإيجار لمدة خمس سنين ، ومتى انقضت السنوات الخمس تعود للدولة السعودية بكل ما عليها من أبنية ومنشآت.

٣ - تكون للمملكة العربية السعودية الأفضلية في الحصول على المعدات الحربية المودعة في "كرمنشاه"لاستخدامها في تطويرتسليح "الإخوان".

٤ - تؤيد الولايات المتحدة وفقاً للحريات الأربع ، المنصوص عليها في ميثاق الأطلسي ، كل المبادرات التي تتخذها الدولة السعودية إسهاماً في تحرير الشعوب العربية الرازحة تحت نير الاحتلال الأجنبي.

لقد ضمن الملك عبدالعزيز في البند الأول، من هذه الشروط استقلال الجزيرة العربية، بينما أكد في البند الرابع حرصه وتمسكه باستقلال البلاد العربية، ثم أثار الرئيس الأميركي قضية النفط، فطلب منح

الولايات المتحدة حق استثمار نفط المملكة العربية السعودية فتوصلا بعد المداولات إلى اتفاق يرتكز على الأسس التالية:

١ - ألايتخلى ابن سعود عن أي جزء من أراضيه، بل تكون الشركات المستثمرة مستأجرة للأراضي.

٢ - مدة الاستثمار ستون عاماً ، أي أنها تنتهي في العام ٢٠٠٥ وتعود بعدها الآبار ومنشآت البترول كلها إلى الدولة السعودية.

٣ - يرفع الرسم المدفوع للملك عن كل برميل من البترول المصدر من ١٨ إلى ٢١ بنس أميركي.

٤ - توسع المنطقة التي تستثمرها شركة "أرامكو" إلى مساحة تبلغ مليوناً و٥٠٠ ألف كيلومتر مربع.

وقد بلغ التنافس بين الأمريكان وبريطانيا حداً جعل الإمريكان يفكرون بالتخلص من القيود البريطانية وهي أجور النقل التي يفرضها عليهم الذين يملكون الناقلات الضخمة بأجور وتكلفة باهظة، والمسألة الثانية الرسوم بمرورها من قناة السويس التي كانت تسيطر

عليها بريطانيا، فأرادت أمريكا التخلص من هذه التكاليف بمد خط من الأنابيب -التابلاين- عبر البلاد العربية الذي يصل الظهران مباشرة بالبحر الأبيض المتوسط في صيدا، وقد بسطه "روزفلت" على الملك عبدالعزيز على ظهر "كوينسي" فكان هذا المشروع ضربة أليمة لبريطانيا قد لاتستطيع بعدها الصمود طويلا أمام المزاحمة الأمريكية، وعند وضع المشروع موضع التنفيذ لم يعترض الخط أية عقبة في الأراضي السعودية، ولكن المرحلة الثانية هي المرحلة المتعبة لأنه لابد أن يمر بمناطق خاضعة للنفوذ البريطاني - الأردن، وفلسطين، ثم سوريا، ولبنان، ينتهي في (صيدا) ، طالت المفاوضات مع سوريا ولبنان وتعثرت عدة مرات، وعلى الرغم من الصعوبات فقد كانت الانقلابات المتتالية في سوريا انفراجاً لحل الأزمة وجرى توقيع الاتفاق من حسني الزعيم وتوقف العمل به وقت سامي الحناوي ولكنه استؤنف في عهد أديب الشيشكلي، وفي عام ١٣٧٠هـ أدار الملك عبدالعزيز

جهاز التحويل ١٣ / تشرين الثاني ١٩٥٠م ، فتدفقت من بقيق عبر الأنابيب إلى صيدا بقطع مسافة ١٧٨٣كم عبر البلاد العربية من المنبع في الأحساء إلى المصب في صيدا في البحر الأبيض المتوسط وكان مشروعاً ضخماً وجباراً[1].

وقد مدت خطوط أنابيب بين أربعة حقول بترول حقل في البحرين، وثلاثة في الخليج السعودي الدمام، والقطيف، وبقيق، وأنشأت مصافي في البحرين والدمام وبقيق أكبرها محطة تكرير للنزول في رأس تنورة، وهكذا استطاعت (أرامكو) إغراق الأسواق الأوربية بفيض من النفط الأرخص والأفضل فتضاعف الإنتاج وقلت تكلفته، وزاد دخل المملكة العربية السعودية تبعاً لذلك.

واستغل الملك عبدالعزيز ارتفاع موجة السخط ضد الاستعمار والحماس الوطني في العالم العربي بتعديل الاتفاق مع أرامكو فوافقت أرامكو بتعديل

---

(١) بنو ميشان ، ص٢٨٨ .

الاتفاق في أول كانون الثاني عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م بحيث تدفع الشركة٥٠٪ من أرباحها للخزينة السعودية، كما اعترفت بحق الملك بوصفه رئيس دولة أن يفرض ضريبة دخل على عائدات الشركة ، فكان هذا إنجاز لا يقل أهمية عن إنجاز خط (التابلاين)، وطورت مدينة الدمام ومدن الساحل كلها وتحولت من عشاش تجرفها العواصف الرملية في الصيف إلى مدن تغطي معظم مساحاتها المباني الحديثة، والحدائق الخضراء والمتاجر الضخمة، والشوارع الواسعة وتحولت من مرفأ لصيد الأسماك إلى ميناء ضخم ترسو فيه أكبر البواخر العالمية التي تحمل البترول إلى أنحاء العالم، وتحول سكان الخليج من "نوخذا" وصيادي محار إلى تجار بترول ودهاقين بحار كل هذا بفضل الله ثم بفضل جهود الملك عبدالعزيز وإنجازاته الحضارية(١).

---

(١) راجع : بنو ميشان ، ص٢٥٢ – ٢٨٨ .

إنشاء محطة الإذاعة السعودية في جدة
واستخدام المخترعات الحديثة للاتصالات

كان الملك عبدالعزيز يرحمه الله قد احتاج إلى ربط البلاد بحلقة من الاتصالات ، ووصول المعلومات إليه بسرعة، وخاصة في ذلك الوقت الذي كانت راية الجهاد مرفوعة في كل جهة من أطراف الجزيرة، وكان يهمه أن يعرف أخبار الجبهات القتالية على مدار الساعة، وأخبارعماله في كل بلد من البلاد التي فتحها، في الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، فكان لابد من الاستعانة بالمخترعات الحديثة، لأن البريد التقليدي بطيء، وتتأخر الأخبار عن الوصول في الوقت المناسب، كما أن أخبار العالم لا تصل إليه بسهولة، فيحس الحاكم أن حكومته في عزلةعن العالم المتحرك، فأدرك أنه لابد من استخدام (البرقية) وهذه من أبسط الأمور، وكانت الأحوال المادية لا تشجع على القيام بأي مشروع تنموي، ولكن عزيمة الملك عبدالعزيز قوية، فقررأن يجلب محطات اللاسلكي، ولكن بالإضافة إلى مشكلة المادة ، قد واجهته معارضة شديدة من قبل الإخوان الذين ظنوها سحراً وشيطاناً (من جهل شيئاً

أنكره)، وكان إنكارهم هذا من الناحية الدينية، فاعتقدوا أنها سحر، ولاشك لديهم في ذلك، والسحر حرام بنص الكتاب والسنة، فقاوموها بشدة، ولكن الملك عبدالعزيز استطاع بأسلوبه الأخاذ إقناعهم في أول الأمر، ثم تحولت إلى مواجهة في معركة "السبلة" و"أم رضمة" انتهت تلك المواجهات بانتصار الملك عبدالعزيز، فاستفاد منها فائدة جيدة، حيث أصبحت تصل إليه أخبار عماله، وقادة الجبهات بسرعة، فساهمت في خفض معدلات الجريمة، وزيادة في حفظ الأمن، وضبط الرعية، وأداة الحكم، فكانت خطوة جبارة تضاف إلى ما قام به الملك عبدالعزيز من جهود في بناء دولة عصرية حديثة.

ولم يكتف بالبرقية لأن من مشكلاتها أنها تحتاج إلى محطات إرسال واستقبال ومأمورين، وقد تتأخر الأخبار بعض الوقت، كما أن الأخبار التي تنقلها تقتصر على الأعمال الرسمية، ثم فكر باستخدام الهاتف السلكي، ولكن كانت خدماته محدودة، بسبب أنه يحتاج

إلى تمديدات سلكية، ولم يمنعه عن تأسيسه أنه محدود الفائدة، بل استورده واستخدمه فأدى مهمته في وقته ذلك، وقد لاقى هو الآخر معارضة عند التأسيس، ولكن أقل من البرقية التي تعصب الإخوان بشأنها، وهناك من رحل عن البلد التي ركزت فيها أبراج الاستقبال.

ثم أدخل أجهزة الراديو، وقد استعان بها على سماع أخبار العالم في كل الأوقات، فعارضه الأخوان أشد المعارضة، وحاربوا مقتنيه، وكسروا أي جهاز يستطيعون الوصول إليه في البيوت العامة، وكان الراديو بدعة ظاهرة في أول أمره، حيث يركز الإرسال على أغانٍ هابطة وخليعة مما زاد الطين بلة، والاستماع إلى الراديو جر إلى إنشاء إذاعة سعودية في جدة، فالإذاعة عنصر هام من عناصرالإعلام المتطور في عهد المؤسس للمملكة، وقد فرضتها عليه الحاجة، وقد سبق الإذاعة إنشاء نظام إذاعي خاص، وكانت مهمته الأساسية إخبار الملك عبدالعزيز بما يجري في العالم من أحداث، ثم تطور هذا النظام إلى إنشاء

محطة الإذاعة السعودية حتى سمع العالم صوت المملكة العربية السعودية من مدينة جدة، وقد بدأت الإرسال في ١٣٦٨/١٢/٩هـ أول أكتوبر ١٩٤٩م يوم عرفات بكلمة ألقاها نائب الملك آنذاك "فيصل بن عبدالعزيز" هنّأ فيها الحجاج بمناسك الحج، ورحب بقدومهم إلى الأراضي المقدسة، وكانت إدارتها مرتبطة بوزارة المالية، وكانت تقوم بنشاط إعلامي، وثقافي، وتصرف مكافآت مالية للكتاب المتعاونين معها، والمراسلين الذين يوافونها بالأخبار اليومية بالتعاون مع وكالات الأنباء العربية والعالمية، ومنها شركة "رويتر" وشركة "الصحافة" ووكالة الصحافة المتحدة وتذاع برامجها باللغة العربية، ثم أنشئت محطة ثانية تابعة لها بمكة المكرمة بجبل "هندي"، وقد افتتحها نائب الملك فيصل بن عبدالعزيز ليلة أول محرم عام ١٣٧١هـ الموافق أكتوبر ١٩٥١م، لقد استفاد الملك عبدالعزيز من استخدام هذه المخترعات الحديثة التي استطاعت إسقاط الحواجز المكانية، والمسافات الزمانية وأصبح تدفق

المعلومات السريع من أقصى بلاد العـالم يعـبر الحـدود السياسـية والقـارات الجغرافيـة دون إذن مسـبق وبفـترة زمنية قياسية.

ونمـت أعمـال الإذاعـة بعـد هـذا التـاريخ نمـواً يواكب التطور الإذاعي في العالم العربـي حتـى قضـت المصلحة العامة بإنشاء وزارة للإعلام فيما بعد، ألحقت بها الإذاعة وأقسام الإعلام المختلفة[1].

---

[1] راجع : الإذاعة السعودية دراسة وتحليل ، د. ابراهيـم محمـد ابراهيـم ، ص٥٠ / ٥٢ . الوجـيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي ، ص٣١٤ .

سكة الحديد تربط الرياض بالدمام

لماذاكانت أعمال الملك عبدالعزيز مثيرة للدهشة، وإنجازاته معجزة، وانتصاراته مضرب المثل ؟ لأنه أتى إلى صحراء يسودها الجفاف، وبادية مأهولة بالجياع، والسباع، وقطاع الطرق، وقرى تخيم عليها المجاعة والجهل والمرض، وتسيطر عليها زعامات جاهلة تحمي السكان والمكان من الخير، ولا تستطيع أن تصد عنهم غوائل السوء، وطوارق الشر، جاء إلى تلك البلاد وهو فتى لم يكتمل في بداية العقد الثالث من العمر، لا يزال أمثاله يطلبون العلم، أعزل من السلاح مجرد من المال، والقوة، ومعدات الحرب، وليس معه من الرجال إلا رفقة السفر، جاء رافعاً العصا السحرية، ليحارب بها أقوى حكام الجزيرة العربية، ويسترد ملك آبائه وأجداده، بعصاه السحرية، وعزيمته الفولاذية، ولينقذ الجوهرة الثمينة من الفك المفترس، فطوى البساط من تحت أقدام المغتصب على مدى ربع قرن، أو يزيد بأعجوبة لا مثيل لها، ثم بسطه لتلتقي عليه القلوب، وتجتمع عليه الكلمة، وتتوحد الصفوف تحت

راية "**لا اله إلا الله محمد رسول الله**"، وقد تزامن هذا الكفاح مع البناء بإيقاع منتظم، وكانت إصلاحاته -في وقتها- مضرب المثل، كما أن إنجازاته العسكرية والسياسة والجغرافية معجزة من معجزات العصر، وكان من إصلاحاته الجبارة سكة الحديد التي ربطت بين منابع البترول في الدمام، والعاصمة في قلب نجد، لقد كان مشروعاً جباراً لا تستطيع إنجازه دولة ناشئة محدودة الإمكانات، ولكن الذي استطاع توحيد الأقطار المتباينة، ونظم العقد المنفرط، وضم المناطق المتنافرة، قادر أن يصل المنقطع بين الشرق والغرب، لقد دكّ بهمته الصعاب، وشق بإرادته كثبان الرمال العالية والمتحركة، والجبال الشاهقة.

وقد كانت فكرة مد سكة الحديد من الدمام إلى الرياض، فكرة تراود الملك عبدالعزيز منذ سنوات عديدة، ولكن هناك من يفت في عضده بأنه مشروع صعب، ومحدود الجدوى من الناحية الاقتصادية، ولكن عبدالعزيز أدرك أهميته وفوائده الكثيرة، ولم يفكر فيما

قالوا عن الجدوى الاقتصادية أمام اقتناعه بفائدته من النواحي الأخرى، إن النظريات الاقتصادية أحياناً تبنى على معلومات غير ثابتة أو غير دقيقة فتخطئ التقدير، وتكون النتائج بخلاف تلك التقارير، لأن الدراسة التي تبنى على معلومات خاطئة لابد أن تكون هي الأخرى خاطئة، وهذا هو ما حصل في مشروع إنشاء خط الدمام الرياض، فقد كان الخبراء يحذرون الملك عبدالعزيز من الإقدام على التورط بالبدء به، ولكن الملك عبدالعزيز ضرب بما قالوا عرض الحائط، وأقدم على تنفيذه مستقلاً برأيه، فكان نعم الرأي الجريء المقرون بالتعقل والثبات، وكان الملك عبدالعزيز قد أقدم على ذلك لأن الدمام أصبحت هي الميناء الذي يمد العاصمة بكثير من المواد الغذائية، والضروريات، والكماليات، والمحروقات، وغيرها، كما أن الطريق من الدمام إلى الرياض طريق صحراوي شديد الوعورة يصعب على السيارات القديمة المستهلكة اجتيازه، إضافة إلى قلة تلك السيارات وندرتها،

وبالتالي غلاء أقيامها وأقيام قطع الغيار، وهذا مما يسبب غلاء أجور النقل الذي يضاف إلى قيمة السلع المستوردة، ولهذا فإن وصول القطار إلى الرياض يعد من الضرورات الملحة التي ترتكز على قيامها متطلبات الحياة، وفوائده عظيمة لم يتوقعها خبراء الاقتصاد والنقل العام الذين عارضوا الفكرة من أساسها.

وقد واجهت الشركة المنفذة صعوبات كثيرة أثناء التنفيذ، ولكن ليس معنى هذه الصعوبة الاستحالة، فقد كان يمر الطريق بسهول ومنحدرات "الدهنا" المتماوجة، التي تكثر فيها المستنقعات والصخور والأراضي الهشة التي لا تقوى على حمل عربات القطار الثقيلة، كما كان يمر بالرمال الدقيقة المتحركة، والكثبان العالية التي تحتاج إلى شق مكلف لأنها تنهال بسرعة، فصبوا فوقه الزيوت وردموه بالحجارة والخراسانات المسلحة قبل وضع الأخشاب التي تحمل القضبان الحديدية، وقد أدت هذه الصعوبة إلى مضاعفة التكاليف، حيث بلغت

ما يزيد على مائتي مليون ريال وهذا مبلغ باهظ، تدفعه دولة ناشئة لا يوجد لديها موارد غير الزيت الذي لم يكن وقتها ذا قيمة عالية ، وحصة المملكة قليلة جداً، وقد بلغ طول الخط ٥٥٦ كم الذي بدأ من الدمام متجهاً إلى حقول الزيت، ثم يتجه إلىالأحساء ماراً بالظهران، ثم "بقيق" ومن الهفوف يسير متجهاً إلى الجنوب حتى يصل إلى عين "حرض" ثم يتجه إلى الغرب مجتازاً رمال "الدهنا" وسهولها ومنحدراتها، حتى يصل إلى منطقة الخرج، الواحة الزراعية التي تشتمل على المشروع الزراعي النموذجي الذي يستهلك إنتاجه الزراعي في الرياض، وأخيراً بعد اجتياز الأراضي الوعرة التي تتخللها الصخور الجبلية، والكثبان الرملية يصل إلى الرياض عاصمة المملكة التي كانت بحاجة إلى هذا الحظ، وقد احتفلت الرياض بوصوله في صباح السبت الموافق ١٣٧١/١/١٩هـ فانطلق الناس يهرعون إلىمكان الحفل يتباشرون بهذا الحدث العظيم، وأقيم سرادق الاحتفال احتفاء بهذه المناسبة السعيدة،

وقد حضر هذا المهرجان الملك عبدالعزيز رحمه اللــه، صــاحب الفكـرة، والهمـة العاليـــة، والأيــادي البيضــاء الكريمة، فكان ذلك اليوم من أيام أفراح مدينة الريــاض الوطنية[1].

---

(1) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز للزركلي ، ص٢٢٥ - ٢٢٦ .

سك العملة السعوية

كان الملك عبدالعزيزقبل مائة عام مضت يتحرك في عصر غير عصره، ويعيش بأفكار متحضرة، في وسط يختلف عنه في التفكير، ولما عاد إلى الوطن بعد غياب زاد على عشرة أعوام، وجد الوطن على الحال التي تركه عليها مثار اهتمام المغامرين عشاق الزعامة غارقاً في الفوضى، هائماً في الحرمان، يتجرع غصص الفقر والتمزق، رهن الأوضاع الصعبة، يترنح تحت وطأة زعماء الصدف الذين قفزوا أثناء غياب العقل الواعي إلى السلطة بغير مؤهلات، فوضعوا البلاد في دوائر الحصارات المتعددة، فتحولوا إلى زمر متظاهرة، ورعايا متناحرة، تتحكم فيهم زعامات إقليمية، وعشائرية، ليس لها هدف سوى السيطرة وبسط النفوذ،فجمع تلك الزعامات المتعددة في زعامته، ووحد الأشتات المتفرقة تحت رايته، فكون من تلك الرعايا رعية، ومن تلك القطاعات دولة موحدة، مستقلة، ذات كيان، ومكان، يشار إلى قادتها بالبنان.

ولما أدرك أن أعماله التوحيدية قد أوشكت، أو أصبحت وشيكة، وأن الأوضاع السياسية بدأت تتجه نحو الاستقرار، أخذ بزمام المبادرة نحو مرحلة البناء الصعبة، فكان كل قطاع محتاج إلى العناية والاهتمام، فالتعليم من أساسيات النهضة، والتطوير، والصحة هي العمود الذي يبنى عليه هذا النشاط المهم، والاقتصاد عصب الحياة، والقوة الدافعة للحركة والنشاط، والعملية الإدارية هي المنظم للأنشطة المختلفة، فكان يوزع اهتماماته على جوانب الحياة المختلفة، ويعطي كل قطاع قسطاً من ذلك حسب الاستحقاق، وعند حلول المناسبة يمنحه جل اهتمامه.

وكان يعلم أن الدولة لا تكتمل هيبتها السياسية، ومكانتها الاجتماعية حتى يكون لها كيان اقتصادي يسير جنبا إلى جنب مع الكيان السياسي ، فأسس وزارة الخارجية ١٣٤٩هـ أول وزارة في المملكة لتنظيم شؤون القنصليات السياسية، والممثليات الدبلوماسية، ومقابلة الوفود الدولية.

ثم تلتها وزارة المالية التي تأسست عام ١٣٥١هـ أم الوزارات[1]، وكانت تهتم بالتنمية الاقتصادية، والأعمال الإدارية، والإجرائية، والأعمال

---

[1] وفي عام ١٣٤٦هـ صدر المرسوم الملكي بتوحيد جميع الدوائر المالية في الحجاز وجمعها تحت إدارة واحدة مقرها مكة تابعة للنائب العام وتعيين عبدالله السليمان الحمدان مديراً لها فأصبحت إدارة الأمور المالية مرجعا لجميع ماليات الحجاز مما دعا إلى إعادة تنظيمها ورفعها إلى وكالة ، وصدر نظامها في ١٨/٣/١٣٤٧هـ المكون من ٤٠ مادة وبقي عبدالله السليمان وكيلا لها ، وتكونت من الديوان العام وشعبتين - هما الواردات / والمحاسبة ويتبعها فرعان هما مالية مكة وترتبط بها مالية الطائف وسائر الدوائر المالية (ذات الواردات) ، وأمانة الأموال في جدة ويتبعها مالية المدينة المنورة وينبع ورابغ والقنفذة والليث والوجه وألحقت مالية ضباء بمالية الوجه - وألحقت كل من مالية العلا وتبوك بمالية ضباء ، وفي هذا العام شكلت لجنة الميزانية لتنظيم الإنفاق الحكومي وحينما بدأت الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٣٥٠هـ ، استقدمت الحكومة الخبير المالي "فان لي ون" لتنظيم الموارد المالية فجرى إعادة النظر في جميع الإجراءات المالية وتعليماتها وطرق جباية الأموال وإنفاقها ، فتطلب الأمر رفع مستوى الوكالة إلىوزارة وفي ١١/٤/١٣٥١هـ - ١٤/٨/١٩٣٢م ، صدر المرسوم الملكي برفع الوكالة للشئون المالية إلى وزارة المالية مقرها مكة المكرمة وزيرها عبدالله السليمان الحمدان والوكيل حمد السليمان الحمدان ، وتعددت أقسامها وشعبها وزادت مهامها وفروعها ومسؤولياتها وتوسعت أعمالها حتى أصبحت تشرف على معظم الدوائر الحكومية القائمة، كما تقوم بمراجعة جميع صرفيات الدولة وإيراداتها في جميع الدوائر.

وألحقت بها مصلحة الجمارك والخزينة الخاصة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م ، كما ربطت بها وكالة الدفاع ١٣٥٣هـ / ١٩٢٤م ومصلحة المعادن والأشغال العمومية ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ومصلحة الطرق ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م وغيرها ثم ألحق بها عدد من الإدارات المستحدثة فيما بعد ، ومنها ديوان الموظفين العام والمديرية العامة لشؤون الحج ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م ومكتب العمل ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م وإدارة الزراعة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م ومصلحة الزكاة والدخل ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م ، ومؤسسة النقد العربي السعودي ١٣٧١هـ / ١٩٥١م ، راجع ص٢٩٩-٣٠٠ من كتاب تطور الأعمال الإدارية في عهد الملك عبدالعزيز ، ع.د. ابراهيم عويض العتيبي.

الحسابية، والجبائية، ثم تلاها تأسيس وزارة للاقتصاد ضمت فيما بعد إلى وزارة المالية، وكان من أصعب الأمور التي تزعج الملك عبدالعزيز عدم وجود عملة نقدية تحمل اسم الدولة، فكانوا يتعاملون بالمقايضة في أول الأمر.

كما كان الناس يتداولون أنواع العملات الأجنبية المختلفة الجنسيات خاصة في الحجاز، ومن أهمها الجنيه الذهبي الإنجليزي، والجنية الذهبي العثماني، الذي كاد يختفي من الأسواق بعدانتهاء الحكم العثماني، وقيام الدولة الهاشمية، كما يوجد على قلة الجنيه المسكوفي، والجنيه البنتو، والجنيه المصري الذهبي الذي يحمل صورة الملك فؤاد، وكما يوجد عمله ذهبية اسمها الغوازي الوحدة غازية من المسكوكات التي تحمل أسماء الخلفاء من الدولة العثمانية، وكذلك المحمودية، وهي أكبر من الغازية، ثم تواجد في أسواق الحجاز الدينار الهاشمي بعد إعلان الشريف ملكاً على الحجاز عام ١٣٣٤هـ، كما يوجد ريال ذهبي

وهو أكبر من تلك، وبقي هذا الدينار متداولاً إبان فترة حكم الشريف بمكة، وهو العملة الرسمية، أما العملات الأخرى فإنها أكثر ما تستعمل للحلي، ولم تزل العملات التركية متداولة في طول البلاد وعرضها، وهي العملة السائدة، وكانت وحداتها الريال المجيدي، وأجزاؤه، ولم يوقف التعامل بالعملة التركية إلا في عهد الملك عبدالعزيز بعد سك العملة التي تحمل اسم الدولة السعودية.

وكان في الجزيرة العربية بصفة عامة الريال الفرنسي (الفرانسي) الذي يحمل صورة (ماريا تريزا) إمبراطورة النمسا، وهو الذي يدخره الأغنياء، ويقتنيه التجار في أرصدتهم التي يحتفظون بها في منازلهم، ومتاجرهم، حيث لايوجد لديهم بنوك آنذاك، وبعد استعادة مكة وجدة، وعودة الحكم في الحجاز إلى الملك عبدالعزيز طبعت كلمة الحجاز على النقود النيكلية، ونادى المنادي في الناس باستبدال العملة النيكلية التي لديهم بما جرى الطبع عليه، ومنذ بدأت الحرب العالمية

الأولـــى عــام ١٣٣٤هــ أغرقـت بريطانيــا الأســواق بالجنيهات الذهبية الإنجليزيـة لتموين ودعـم الحركـات العربية ضد الأتــراك، وأصبحـت العملـة المتداولـة فـي الأسواق الجنيه الذهب الإنجليزي، ومن الفضـة الريـال الفرنسي.

وكان من وسائل التداول في الســواحل، وخاصــة الأحساء، الروبية الهندية والريال الفرانســي، كمـا كـثر تداول العملات التركية إلا أنها قليلة ونـادرة الوجود فـي كل المناطق.

كما يتداول الناس الليرة الذهبية التركية، والريـال الفرنسي والروبية الهندية وأجزاءها، ومن المسكوكات النحاسية الهنديــة البيزة ، وربــع الآنــة، وبيزة مسقط، وزنجبار، كما تظهر عملات قديمـة فـي الأحسـاء مثـل الطويلـة، وهـي تشـبه الملقـط، وتسـمى سـنارة السـمك، وهـي عبـارة عـن قضيـب، فضـي رقيــق، وقــد شــاع استعمالها فـي المنطقـة الشــرقية، وهــي نقــد فارســي الأصل اسمه لارين، والقطعة وأجزاؤها والتفليسية.

وهكذا يرى المطلع أن الجزيرة العربية كانت مهملة حتى من العملة التي تخلد ذكرها، وكان الاقتصاد فيها يعيش بدون هوية إن وجد اقتصاد يذكر.

وقد وضع الملك عبدالعزيز لهذه المتاهات الاقتصادية والفوضى النقدية نهاية ورسم لها حدا، فأسرع إلى سك النقود التي تحمل اسم الدولة، ففي عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م اتخذ خطوة إيجابية، فقد أجرى تعديلات على مسكوكات الحجاز النحاسية فضربت من جديد، وطليت بالفضة، وخفضت قيمها الشرائية إلى النصف، وفي نفس العام جرى سك عملة برونزية جديدة من فئة نصف القرش المبري وهو القرش الدارج، فكانت هذا المسكوكات النيكلية تحمل اسم ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، وألغى التداول الرسمي بالعملة التركية.

ثم تبعتها مسكوكات فضية مكونة من الريال وأجزائه، وذلك في منتصف عام١٣٥٠هـ/١٩٣٠م وفي ١٣٥١/٥/١٧هـ - ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م تقرر استعمال

اللقب الجديد "ملك المملكة العربية السعودية"، وظهرت أول عملة تحمل هذا الاسم عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م وهي من فئة الريال وأجرائه، كما جرى إصدار وسك العملة النيكلية من فئة القرش، وأجزائه التي تحمل اللقب الجديد عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م ، وظل يعاد سبكها حسب الحاجة ، وجمد التاريخ على الكوبرنيكليه من عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م، وعلى الفضية من عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م حتى ١٤/١١/١٣٧٢هـ.

كما جرى إصدار إيصالات نقدية ورقية من فئة عشرة ريالات وريال واحد مساعدة للحجاج، وحرصاً من الملك عبدالعزيز على تنشيط الاقتصاد، وحفظ حقوق الدولة، وأبناء شعبه، فقد أمر بتأسيس مؤسسة النقد العربي السعودي التي تقوم بمراقبة الأسواق النقدية، ومعادلة العملات وسك النقود اللازمة حسب الحاجة، وإلحاقها بوزارة المالية، لقد استطاع الملك عبدالعزيز سد هذه الثغرة، والسيطرة على الفوضى النقدية في أسواق المملكة، وتكوين اقتصاد ينافس

الـدول الأخـرى، بعـد أن كـــانت الجزيــرة تعيــش فـــي متاهـات العمـــلات المختلفـــة، فــلا يوجــد بيــن البـــائع والمشتري أي عملة تكون وسيلة تبادل التجاري، ويعــد مــا قـام بــه الملك عبدالعزيـز عمـــلاً جبـــاراً، وخطــوة حضاريـــة لا يســتهان بهــا وضعــت حــداً للمشــكلات الاقتصادية القائمة آنذاك[1].

---

[1] كتاب مؤسسة النقد العربي السعودي ، محمد سعيد الحاج علي ، ص٤١/٦٢ .

القسم الرابع:

المقومات الأساسية لبناء شخصية الملك عبدالعزيز التاريخية

المقومات الأساسية لبناء شخصية الملك عبدالعزيز التاريخية

- ١ -

شخصية الملك عبدالعزيز القيادية النادرة، وعبقريته التاريخية الفذة تنطلق من عدة محاور رئيسة أو تعتمد على عدد من الأركان البارزة أهمها **الإيمان الراسخ** فقد كان الملك عبدالعزيز يتمتع بالإيمان القوي والثقة بالظهور والنصر على خصومه لاسترداد جميع حقوقه التاريخية المسلوبة معتمداً على الله في جميع شئونه قاصداً بأعماله وجه الله وعزة الدين ورفعة الوطن وإقامة العدل بين الناس، وكان يعلم أن الإنسان حينما تكون أهدافه شريفة، فإنه لابد أن يظهر أمره ويعلو شأنه وينتصر على عدوه.

وقد استوحى الحقائق الإيمانية من واقع الكتاب والسنة وسير سلف الأمة، وأدرك أن الساعي بعمل الخير منصور مهما ناله من تعب، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كافية لاستخلاص الدروس والعبر وكفى بالرسول صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة يقتدى بها وبأصحابه من بعده، فإن النتيجة في النهاية النصر

المؤزر ولاشك أن حسن المقاصد وشرف الوسائل أساس انتصار المجاهد، وكان الملك عبدالعزيز يتمتع بصدق الإيمان وطهارة الوجدان وهذه الصفات غريزة ثابتة وملكة راسخة تكمن بين جوانحه وتقوده إلى المغامرة وتحقيق المطامح، ومن القنوات الرئيسة التي يستمد منها قوته الإيمانية أن صاحب الحق الذي يسعى لاسترداد حقه المسلوب من خصومه المعتدين أقوى من المعتدي وإن كان ضعيفاً بنفسه فكل من حوله يؤيده ويقف بجانبه، والنصر دائماً لصاحب الحق فالمعتدي مخالف للنواميس السماوية والقوانين البشرية ويقولون "إن فرس الباغي عثور" فحجة صاحب الحق قوية ولواؤه منصور ورايته مرفوعة في تاريخ البشرية كلها قال صلى الله عليه وسلم "دعه فإن لصاحب الحق مقالاً" قالها صلى الله عليه وسلم حينما أمسك يهودي بتلابيبه وكاد يخنقه ، وكان يطالبه بدين عليه فقال أحد الصحابة -ولعله عمر- دعني أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم " دعه فإن لصاحب الحق مقالاً "، ولهذا

فإن الملك عبدالعزيز متأكد تمام التأكد مما استفاده من الدروس والعبر أنه معان على استرداد حقوقه التاريخية المسلوبة، وأن النصر حليف الحق إذا صاحبت الجهاد نية صادقة وسيرة حسنة فلم يعتد على الآمنين، ولم يظلم في كفاحه المسالمين، وكان الملك عبدالعزيز يفتح البلاد من أيسر السبل، ومن المنطلقات الداعمة لكفاحه، ونجاحه، الصبغة الدينية التي ترافق مسيرة الجهاد المباركة، وتلف حولها سلوكياته وسلوكيات رجاله، وتجعل تحركاته أكثر لمعاناً، وجاذبية وقدرة على النجاح والبقاء، والتغلغل في الأعماق البعيدة والأبعاد السحيقة.

ومن الروافد الفرعية صلة الرحم فواصل الرحم مرحوم وموفق في مساعيه الدينية والدنيوية، ولهذا فإن الملك عبدالعزيز كان واثقاً بنصر الله وأنه لن يخيب مسعاه لأن من حفظ الله حفظه الله ، ومن عف عن الأعراض، وأبعد عن الخنا ، والمظالم تحققت غلبته، والعاف عزيز منصور شامخ الأنف رافع الرأس، كما

أن بر الوالدين منجاة من المهالك ومنقذ في الأزمات والمآزق، وكان الملك عبدالعزيز يتصف بكل هذه الصفات الحميدة ، ومن كانت هذه صفاته فإنه لن يخذل ولن ينهزم حتى النهاية، ومن الأمور التي قوت عزيمته صفاء السريرة وصلاح السيرة وإقامة شعائر الدين في المنشط والمكره والعفة عن الحرام وعن ظلم الآخرين وكل هذه المعاني موصلة إلى النصر والملك ونجاح المساعي ونيل المآرب.

- ٢ -

ومن أهم منطلقات الملك عبدالعزيز **القوة الذاتية** ويستمد الملك عبدالعزيز قوته الذاتية التي يتمتع بها من عدة قنوات رئيسة وروافد فرعية وتشمل القوة الذاتية، القوة البدنية في كمال الجسم والقدرة العقلية والتوازن النفسي والمكانة الاجتماعية والعراقة الأسرية والثقة بالنفس التي هي عامل من عوامل الطموح وباعث قوي من بواعث علو الهمة وحافز لإحراز الأهداف النبيلة وبلوغ الغاية والمآرب ودافع من دوافع

المغامرات الصعبة وكل هذه المعاني والصفات متوفرة لدى الملك عبدالعزيز، فقد كان جسمه من أكمل الأجسام في عصره ومن أحسن معاصريه صحة بدنية فصحته الجسمية ممتازة للغاية والصحة الجسمية تساعد على تحمل المتاعب والمشاق وتمنحه شحنات من الحيوية وتزوده بطاقات من النشاط وأنواع الاستقرار النفسي، والصفاء الذهني، والرغبة في السعي للحصول على أكبر كمية من المطامح، وقد منحه الله القوة البدنية التي تعينه على تحمل الإصابات في المعارك التي يخوضها واحتمال كثرة المشي على الإقدام، والسهر والجوع والعطش وغير ذلك مما يمر بالمحاربين الذين يقطعون الصحاري الشاسعة القاحلة على الجِمال ، وقد يصاب في المعركة الإصابة البليغة ومع ذلك لا يستسلم لتلك الإصابة ما دامت تدب في جسمه الحياة، ويقاوم بقدرة فائقة، فلا تتحرك في جسمه الأمراض والآفات التي تقعده عن مواصلة الهجوم أوالتراجع أو الإدلاج في الليل والنهار في الحرارة

الشديدة أو البرودة المزعجة ، وقد يصاب غيره بمايصاب به فتقعده الإصابة عن مسعاه ، أو قد تهلكه لعدم قدرته على تحمل الألم والصبر على المصائب ومعلوم أن الضعف العام والأمراض البدنية تؤدي إلى الاضطرابات النفسية التي تحد من النشاط والطموح، وتؤثر على القدرات العقلية وقد قيل العقل السليم في الجسم السليم، ولكن الملك عبدالعزيز لكمال جسمه واعتدال صحته أقل تأثراً بذلك مما سواه، وقد نقل عنه المؤرخون المحققون الذين رافقوه في كفاحه في مسيرته وأخذ من مفهوم خطاباته التي ألقاها في كل مناسبة ما يدل على هذا القول، ومن أروع الصور ما نقله " قلعجي" في كتابه موعد مع الشجاعة ...

" لقد بلغت الجراح في جسمه ثلاثة وأربعين جرحاً بعضها من السيف، وبعضها من الرصاص، وبعضها من شظايا القنابل، وهذه الجراح أعظم شاهد على ما امتاز به من شجاعة وبطولة وإقدام، فهو دائماً في الصميم من المعركة، يزاحم الأبطال ويتلقى بصدره

السيوف والنبال، وقد عرف مرارة الهزيمة مرة ولذة النصر مرات، فلم يكن ليقنط من روح الله في انكسار وما كان ليستشعر الخيلاء في انتصار.

ومن أروع صور بطولته وأصدق الأمثال على شجاعته ما حدث في وقعة كنزان، وقد انهزم فيها جند عبدالعزيز، وانهزم هو مع الجند. وكان وشاح الليل يلف أرض المعركة، فأخذ عبدالعزيز يتفقد فلول جيشه، فشاهد اثنين من خدم أخيه سعد كانا يرافقانه، فسألهما عنه، فقالا :

- لقد قتل ..

فقال عبدالعزيز

- أكبر ظني أنه أصيب فتركتموه وانهزمتم.. ويجب أن أرجع لإنقاذه.

فقال المرافقان ومن معهما :

- يا عبدالعزيز إن الأعداء كانوا قابضين على زمام فرسه، وقد قتلوه ونحن ننظر إليه ..

فأبى إلا أن يعود إلىأرض المعركة للبحث عن أخيه سعد، لعل فيه بقية من رمق فينقذه من الموت.

وكان أفراد العدو لما عرفوا شخصية سعد قد تشاوروا فيما بينهم ، وأجمع أمرهم على أن عبدالعزيز لن يترك سعداً ولابد أن يعود إليه، فتركوه ملقى على أرض المعركة وكمنوا حواليه ينتظرون قدوم عبدالعزيز.

ولما رأى عبدالعزيز بياض سعد في ظلام الليل، ترجل عن فرسه وحمله وأخذ يقبله ، فأطلق رماة العدو النار عليه ، وأصابت إحدى الطلقات حزامه المملوء بالرصاص فانفجرت منها أربع رصاصات وشقت بطنه شقاً، فأسرع إلى شده بحزام آخر، وعاد بأخيه إلى معسكره، ولم يعلم الجند المرافقون له بإصابته إلا في الصباح حين رأوا الدم ، فسألوه فأجاب:

- جرح بسيط في فخذي مسّ الجلد مساً رفيقاً.

ولما وصل إلىنخل القصيبي في ضواحي الحسا، بعث خيالاً ليأتيه بملابس وشاش، ونزل في ساقية

الماء، ثم كشف عن جرحه فأعاد الأمعاء والشحم إلى مكانها، ولف عليها الشاش، وكان معه سلطان الجبر وسعيد الماجد، فقال لهما:

- إذا علم أحد بإصابتي غيركما حاسبتكما حساباً شديداً.

ثم غيّر ملابسه وعاد إلى المعركة وكان الجند قد ضعفت عزيمتهم لما أصاب قائدهم فلما رأوه بينهم بطلعته المهيبة وابتسامته المشرقة، استعادوا شجاعتهم وبسالتهم، أما هو فخاطبهم قائلاً :

- أيها الأخوان، لو أنني بقيتُ وحدي دونكم فلن أتقهقر، وقد عزمت على أن أدفن هنا أو أبلغ النصر، فمن شاء أن يبقى معي فليعمل مشكوراً، ومن شاء أن يعود فليرجع إلى أهله.

فأجابه الجند بصوت واحد :

- نحن معك يا عبدالعزيز حتى الشهادة.

وتجددت المعركة ، وكان الفوز لعبدالعزيز في نهايتها.

وكانت شجاعته تقترن بالشهامة والنبل، والإيمان بالله، ولعل أعظم مظاهرها الترفع عن الانتقام وهو قادر عليه، فما من عدو ظفر به وانتقم منه مهما كان ذنبه بليغاً، بل كان يعفو عمن حاربوه، وأصابوه بالجراح، وقتلوا من أهله وجنده، ويستقبلهم بعطف صادق، ومودة صافية، وقلب لايعرف الضغينة والحقد. كان عبدالعزيز قد اكتسب المحبة والمهابة بالنية الطيبة والعمل الصالح والخلق الكريم واقتناع الجميع بأنه لا يريد إلا مرضاة ربه ، ولا يتمنى إلا أن تتحد كلمة العرب، وتتساند قوى المسلمين ، ليستردوا مجدهم المضيّع وسلطانهم المسلوب.

وقد أوحت هذه المعاني العميقة إلى المستشرق المجري جرمانوس أن يقول في عبدالعزيز هذه الكلمات المضيئة:

ابن سعود بطل بماتسعه هذه الكلمة القصيرة من معان، فقد جرح مرات عديدة في حياته التي قضاها دون خشية من أحد، إلا من الله العلي القدير. وهذه

الجروح تؤكد لنا حقيقة البطولة في قلبه الذي قُدَّ في الشدائد من صخرة ، وهو بعيد عن تلك ليّن هيّن سهل، تحمل دخائله ماتحمله القلوب التي تدري كل شيء فى الحياة.

ولقد أحصيت وأنا أتأمله بأناة ودقة جملة ما يشعّ من عينيه من ظواهر الصفات التي تفصح عنها بعض العيون، فإذا أنا من هاتين العينين، حيال بريق تخرج منه الجرأة النادرة ، النافذة الآسرة ، ولكن الجرأة والإرادة تحوطهما أضواء كثيرة للدلالة على ما فيه من خصائص الطيبة والمحبة.

ولقد استروحت في أحاديثه، العواطف التي تصدر عن أب يحيط ابنه بجليل سجاياه، حتى يتأثرها ويحتذيها. وكانت هذه الأحاديث دلالة قوية على أني أجلس إلى رجل غربي التفكير، مع ما هو مفطور عليه من إغراق في رعاية الجانب الديني وتسويده على مشاعره جميعاً.

وهكذا مستتي وأنا أصافحه تلك الرهبة التي تمس العارف بأقدار الأبطال حينما تكون يده ملء يد البطل. نعم لقد دلني الملك ابن سعود وأنا أصافحه أنني أضع يدي في يد بطل من أكبر أبطال العالم في الجيل الحديث ".

ومن الأمثلة الكثيرة التي رويت عن جلده وصبره وقوة تحمله للألم ، أنه كان جالساً في مخيمه بعد إحدى المعارك، وكان عنده بعض قادة الجند ورؤساء القبائل، فتسلق أحد أفراد العدو نخلة وأطلق النار عليه، فلما أحسوا بوقع الرصاصة بينهم، تطلعوا فيما حولهم وسألوا:

- هل أنت سالم يا عبدالعزيز ؟

فقال : أنا سالم ، ولكن هل أنتم سالمون ؟

ولم يتزحزح من مكانه ولبث هنيهة ، ثم قال للجند المحيطين به :

- ابتعدوا فاني أريد أن أختصر بالجماعة.

فلما ابتعد الجند، قال لمن بقي معه من خاصته:

- الرصاصة أصابتني في فخذي، ولكني سليم إن شاء الله .. وسوف استند عليكم بحجة أن رجلي تخدرت من الجلوس ، إلى أن أدخل الخيمة ، وأنت يا هباش بن هرشان احمل المفرشة لئلا يرى الجند الدم فيها.

ودخل الخيمة وغير ملابسه ، وكانت الرصاصة مخترقة الفخذ، وحشا موضع الإصابة بالصبر، وحزمها وخرج على الجند وقال لهم:

- ما رأيكم في الذهاب لابن صباح نتقهوى عنده ؟

ومشى على رجليه .. ولم يعلم أحد من الجند أنه مصاب.

وروى الدكتور رشاد فرعون طبيبه الخاص قصة عجيبة من هذا القبيل ، فقال :

" أردت أن أخرج رصاصتين استقرتا في بطن جلالته أثناء إحدى المعارك، فأتيت بالمخدر لأحقنه به، فقال لي:

- ماهذا ؟

قلت : البنج.

قال : لماذا ؟

قلت : للتسكين ، حتى لا تتألم ..

فضحك وقال:

- دعك من هذا .. وبعد البنج ماذا تنوي أن تفعل ؟

قلت: بعد ذلك أشق بالمبضع جلد البطن في موضع الرصاصتين وأخرجهما ثم أخيط الجلد ..

فطلب مني المبضع، وتناوله بيده، وشقّ موضع الرصاص، وأخرج الرصاصتين، ثم قال لي:

- الآن تستطيع خياطة الجرح، ولاتحتاج معي إلى البنج..

وقال الدكتور فرعون : كان رحمه الله أقوى من الألم! .. " انتهى[1].

ويروى أنه قد أصيب في وقعة البكيرية إصابة قوية يبرك منها الجمل ومع ذلك ظل ماشياً ولم يستسلم

---

[1] موعد مع الشجاعة ، قدري قلعجي ، ص ٢٥٣ / ٢٦١ .

لتلك الإصابة ونجاه الله منها[1].

ومن الصفات الجسمية التي يتمتع بها القوة العضلية وهذه ميزة يراها أترابه ولداته من الصفات التي لا تتوفر إلا في القائد عادة فقد ظهرت عليه موهبة القيادة وصفات الزعامة وهو شاب يافع وكان طويل القامة يبلغ طوله أكثر من المترين عريض المنكبين ولم يكن في جيله من يساويه في كمال الأجسام والقوة البدنية ، وكان إذا ركب الحصان تكاد تصل رجليه إلى الأرض.

وأما الأبعاد النفسية فإنه يتمتع بحالة نفسية عالية مستقرة وبهذا الكمال الجسمي والنفسي يكون كمال

---

(1) لما اشتدت المعركة في البكيرية ارتبك المحاربون و لم يتمكنوا من تنفيذ الخطة التي رسمها لهم الملك عبدالعزيز بسبب كثرة عدد العدو وعتادهم واستخدامهم للأسلحة الجديدة والقنابل التي يحدث انفجارها دوياً هائلاً لم يعرفه بعض رجال الملك عبدالعزيز من قبل، فأرهبهم هذا السلاح ، ولما وجد أن رجاله أخذوا يتراجعون وأن خطته الحربية قد فسدت ترجل من على جواده وانطلق راجلاً باتجاه العدو فانفجرت أمامه قنبلة ، وعلى بعد بضعة أمتار منه فأصابت شظاياها يده اليسرى مع جروح بليغة في ركبته حتى سبح بدمه فنقل فاقد الوعي إلى خيمته فارتج الناس وهموا بالفرار ظناً منهم أنه قتل ، ولما أفاق من إغماءته أدرك أنه إن لم يره المحاربون فإنه سوف يخسر المعركة وإذا خسرها لا يعلم ماذا يكون بعدها فضمد جراحه بسرعة ثم امتطى جواده -رغم الإصابات المؤلمة- وظهر للمحاربين وسط المعركة فأثار ظهوره حماسهم وأعاد إليهم نشاطهم، راجع بنو ميشان، ص٩٠ .

العقل كما قد قيل " العقل السليم في الجسم السليم "، وكان من أكمل مرافقيه عقلاً، وأحدهم ذهناً، وأشدهم ذكاء وأكرمهم خلقاً، والمعروف أنه لا يسود على الجماعة إلا من كان يتمتع بهذه الصفات، وقد اعتمد بعد الله على قوته الجسمية ، وقدرته العقلية، وحكمته ودهائه، وثقافته الدينية والسياسية وعراقته الأسرية.

ولذلك يوجد الشخص الواحد فيسود الجماعة وفيهم من هو أكبر منه سناً وقد يساويه في القوة البدنية ومع ذلك فإن الإجماع ينعقد على هذا الشخص ويرضى به الجميع لهذه الأشياء التي انفرد بها من بين أقرانه وإخوانه وأبناء عمومته ورفاقه، ولذلك فقد أقروا عبدالعزيز على الرئاسة وبايعوه على الإمارة على الرغم من صغر سنه من بينهم والمعروف أنه في واقعه ذلك لا يخشون سطوته لأنه ليس له سلطة أو شوكة ولكنهم ساروا خلفه رغبة وانضموا إليه لتحقيق مآربه وطموحاته.

وأما البعد الاجتماعي فإن عبدالعزيز بحكم مكانته الأسرية، وعراقته الأصيلة في النسب، وحقوقه التاريخية القديمة، فإن الناس عامة في أنحاء الجزيرة العربية -الموطن الأصلي للعنصر العربي- تكن له الولاء والوفاء والمحبة ويملك عبدالعزيز رصيداً ضخماً من التأييد والولاء والوفاء، ولذلك فإنه بمجرد أن سمعوا بدخول عبدالعزيز الرياض تسارعوا لتأييده ومبايعته ومساعدته واستجابوا لدعوته، وناصروه وساروا خلفه مباركين، وكان للنزعة الدينية والدعوة الإسلامية التي يتصف بها جهاده دور هام يحمل الناس على تأييده، لأنه أصبح في نظر الجميع يمثل اتجاهاتهم وطموحاتهم المختلفة، فالمتحمس لنصرة الدين يجد رغبته في شخصية الملك عبدالعزيز، والذي كان يفكر بالجماعة وإقامة العدل بين الناس وتحكيم الشرع ونشر الدعوة الإسلامية والعيش بأمن وأمان في بلده وفي حقله وفي مكان عمله يجد ذلك في الملك عبدالعزيز، والذي يطمع في العزة والكرامة والرفعة والسؤود

لبلاده يجد ذلك في مرافقة عبدالعزيز، ومن هذه المنطلقات المتعددة ومن تلك المسارات المتنوعة كثر أنصاره وتزاحم عليه المؤيدون، فكان الملك عبدالعزيز لا ينطلق من فراغ بل إنه ابن وحفيد لعدد من الملوك والزعماء الذين سادوا في نجد منذ عام ٨٥٠هـ ، وهذا عامل قوي من عوامل استقباله وتأييده ومنحه الولاء والوفاء والمحبة.

- ٣ -

ومن منطلقات شخصية الملك عبدالعزيز القيادية النادرة وعبقريته التاريخية البارعة **الحق التاريخي الذي يعزز مركزه ويقوي حجته**، فالتاريخ لم ينس ليلة الرحيل ، لقد ظل الإمام عبدالرحمن تلك الليلة ساهراً يطارد الأفكار السوداء حتى دوى آذان الفجر الندي فوق أمواج الليل الصامت.

لقد رحلت الأسرة الكريمة بأكملها من القصور والسلطة إلى التشرد عبر الصحراء المحرقة تحدق بها الأهوال، وتحفها الأخطار المتقاطرة تاركة وراءها

الدار والديار، والأهل والإخوان، والجاه والأبهة والسلطان، تترنح بطريق الجلاء الموحش ستارها ظلمة الليل الدامس البهيم، لا تملك شبراً من الأرض تضع فيه طنب الخيمة، فذهبت تستجدي بضعة أشبار من الأرض ولو بصفة مؤقتة لتضع عليها الأوزار وتحط عليها الرحال بعد أن كانت تملك الجزيرة طولاً وعرضاً بحراً وجواً وأرضاً، فلم تجد من يستجيب لإيوائها، ويحقق رجاءها فبقيت حائرة دائرة بين اليأس والأمل والمحافل تعقد الاجتماعات وتجري المشاورات فيمن يجرؤ على استقبالها وفتح أبواب بلاده لدخولها، لقد تشرد أفراد الأسرة في متاهات الصحاري الواسعة وظلت نهب أفواه الفيافي وخوف المجهول وذل الجلاء.

لقد جُردت الأسرة من السلطة، وطردت من البلاد والأهل، ومضارب العشيرة تهيم في الصحراء وقد سدت في وجوه أفرادها الآفاق فلا يرون من الأبواب إلا باباً يتسلل منه بصيص من الأمل في النجاة وهو طريق الصحراء تلج منه في الظلام الدامس بعد

أن تنام عيون حراس العدو الذي ضرب الحصار على البلاد حتى لا يخرج فرد من تلك الأسرة، لقد وقفت عصا السلطة في وجوههم حتى من الهرب وكان البحث عن النجاة هو المطلب والمهرب الوحيد الذي لا تريد به بديلاً.

أما المُلك والسُلطان فقد سقط تحت سيطرت عدوهم اللدود الذي لم يبق عليه إلا إبادة البقية الباقية من أفراد الأسرة السعودية الذين ما زالوا على قيد الحياة ، أراد بذلك قلع الدوحة المباركة ومسح أثر الجذور من الوجود، ومن ثم النوم هادئاً مسترخياً في أي بلد من بلدان نجد لا يخشى منازعاً ينازعه السلطة ويكدر عليه صفو عيشه ولكن الفاتح الأسطورة عاد من الكويت لاستعادة الحق المسلوب وقد تحقق أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ولهذا فإن كفاح الملك عبدالعزيز في بسط نفوذه على البلاد لم يأت من فراغ بل كان ينطلق من أبعاد تاريخية عريقة ومن أصالة ملوكية مغرقة في القدم فما زاد عبدالعزيز عن السعي

لاسترداد ملك آبائه وأجداده المسلوب الذي غلبهم عليه معتدون طامعون في فترة حرجة ألجأت الأسرة المالكة إلى التخلي عن حقوقها وممتلكاتها حينما تكالبت عليها النكبات وتزاحمت حولها أطماع الأعداء ومزقت ملكها الخلافات الأسرية وهدمت المنازعات الداخلية البناء الأسري، حينما طوقتها المحن وأحاطت بها الإحن إنه لم يتجاوز الحدود التاريخية القديمة التي غطاها نفوذ الدولة السعودية في دورها الأول، ومما يثبت أن الملك عبدالعزيز لم يطالب إلا بحقوقه المسلوبة رفضه التاج المثلث الرياض ومكة وصنعاء حينما أشار عليه "فلبي" الانجليزي آنذاك الذي كان يعبر عن وجهات نظر المسؤولين الإنجليز بضم اليمن مع أنه وقتها كان قادراً وقد سنحت له الفرصة ولكنه رفض ذلك وقال (هذه ليست لي) يقصد أنها لم تكن من ملك آبائه وأجداده، وفي كل المحافل الدولية وفي جميع الديانات والأعراف والقوانين الوضعية أن صاحب الحق مؤيد ومنصور، ولا اعتراض على مطالبته

بحقوقه ولذلك فإن الملك عبدالعزيـز، كـان يتكلـم بمـلء فيه ويعلن على الملأ عن حقوقـه فـي كـل محفـل مـن المحافل الدولية والاجتماعات ولا يجد في ذلك حرجاً ولا غضاضة، ولا يوجد من يعترض عليه أو يقف فـي طريقه، وقد كانت كل الدول المنصفة والعادلة تساعده، وإذا لم تتعاطف معه فإنها تلزم الحياد، أما خصومه فإن هزائمهم تتوالى والدول الكبرى تدينهم وتعترض على اعتداءاتهم لأنها تعرف أن الملك عبدالعزيز لم يتجاوز حدوده ولم يطالب بأكثر من حق ثابت تاريخياً وهذا التأييد الدولي المادي والمعنوي من المحاور الرئيسية التي استمد منها عبدالعزيز قوته وبخاصة في مهمته الصعبة وقد حاول الشريف حسين إقناع الدول الإسلامية والعالمية وبالأخص بريطانيا وأمريكا بالتدخل ومنع الملك عبدالعزيز من فتح مكة وجدة أثناء حصاره لها ولكن الدول عامة لما كانت تعلم أن الملك عبدالعزيز بجهاده يحاول استرداد حقوقه المسلوبة وإعادة البلاد المنهوبة إلى السلطة الشرعية التي

انفصلت عنها بعد المحنة التي حلت بها بسبب تسلط ابن رشيد ومساعدة الدولة العثمانية لاعتداءاته، وفي النهاية انتصر الحق وزهق الباطل.

- ٤ -

ومن منطلقات شخصيته القيادية الثقة بالرصيد الشعبي الضخم المتعاون معه والمؤيد لجهوده ، لقد كانت ثقة الملك عبدالعزيز قوية بهذا الرصيد الشعبي الضخم الذي يؤيده ويتعاون معه في حصوله على حقوق التاريخية المشروعة، ولهذا فإن الملك عبدالعزيز لم يتجه إلى بلد من البلدان التي يريد أن يفتحها إلا كان له فيها أعوان ومؤيدون من الأعيان والأهالي المنادين بزعامته، فمنذ أن أقبل عام الفتح من الكويت إلى الرياض ومعه رفاقه كان يأمل أن يلتقي بالذين تعرف عليهم وقابلهم أثناء حصاره للرياض في العام الماضي وكثير من الأهالي والأعيان الذين لم يقابلهم ولم يتفق معهم لما سمعوا به أقبلوا إليه مؤيدين ومبايعين، وهذه الأمور التي كانت من الأسباب التي حقق بها فتوحاته

وإنجازاته السياسية التي لم يتم لأحد مثلها في سنه آنذاك فلو لم يكن مؤيداً من قبل الأهالي لأخبر به صاحب الدار الذي طرقه ليلاً ليلة الفتح حيث ذكرت التواريخ أنه هرب من البيت لما رأى عبدالعزيز ورجاله، وترك لهم منزله خوفاً من سطوة عجلان في حالة عدم نجاح العملية فلو لم يكن مؤيداً له لذهب في الحال وأخبر عنه، ولا يدخل في العقل أنه لم يرهم أحد في ليلتهم تلك وخاصة أنهم تسللوا قريباً جداً من الحامية الرشيدية والقصر المحروس، ولابد أن يكون حول القصر عيون وجواسيس، وكان الوقت مشبعاً بالخوف وعدم استقرار الأمن، ولكن الذين شاهدوه كانوا يؤيدون دخوله ويرغبون أن ينتصر حتى لو لم يساعدوه بأنفسهم لأنهم في حالة من الضعف أو لأنه لم يطلب من أحد وقتها مساعدته لأنه ليس بحاجةللمساعدة فهو يريد المفاجأة التي تحسم الموقف بسرعة.

وبعد نهاية العملية ومجرد إعلان النصر امتلأ القصر بالمهنئين والمبايعين، ولم يتوان أي فرد عن

التأييد والمبايعة، كما أنه لما ذهب إلى جهات الخرج استقبله أميرها عامل ابن رشيد وأدخله وكذلك أهل الحوطة ووادي الدواسر وفي القصيم استقبلوه ورحبوا به، وفتح له أهل بريدة أبواب البلد عنوة دون علم أميرها الموالي لابن رشيد آنذاك وفي قصر ابن عقيل قبل معركة الشنانة فتح له صاحب القصر ابن عقيل باب قصره وساعده وأدخله هو ورجاله، وفي "الخرمة" و"تربة" ناصره أمير الخرمة خالد بن لؤي وفي الأحساء رحب به الأهالي في صباح الفتح وبايعوه والحامية التركة قد تحصنت في القلعة، وفي حائل سلم له الأهالي البلد وابن رشيد متحصن في قصر برزان.

ثم إن الذين يحاربون معه في جميع معاركه لا يسيرون معه طمعا في الجاه والسلطان والعطايا والمنح لأنه لم يكن لديه مالاً فيعطيهم ولا مناصب مغرية يمنحها لهم ، ولكنها المحبة والتأييد والرغبة في أن يتم له الحكم المطلق في كل أنحاء الجزيرة.

ومن تلك المقومات التي اعتمد عليها الملك عبدالعزيز في انطلاقته الكبرى لتأسيس المملكة العربية السعودية **الظروف الملائمة التي رافقت مسيرة التوحيد وواكبت ملحمة الكفاح**: وأعني بالظروف كل فرصة استفاد منها الملك عبدالعزيز أو خدمت جهوده ولم يكن سبباً في وجودها ويطول تفصيل جزئياتها ولكن أشير إلى الأهم بالإجمال بداية بالصداقة الحميمة التي انعقدت بين عبدالعزيز وقريبه الأمير مبارك الصباح[1] قبل توليه الإمارة والتي زادت قوة ومتانة بعد أن استولى على إمارة الكويت مما قوى عبدالعزيز وشدَّ أزره وأسند ظهره حينما أراد الخروج من الكويت فاتحاً وإن لم يُفد منه قاصداً فقد استفاد منه ضمناً. العداوة التي زادت ضراوة بين حاكم الكويت وبين ابن رشيد حاكم حائل العدو اللدود لآل سعود بعد معركة "الصريف".

---

[1] كانت والدة مبارك الصباح (لولوة بنت محمد بن مرخان) تلتقي مع آل سعود في جدهم الأعلى.

أمل ابن صباح وطموحه أن يكون سيد الجزيرة وأن يبني الدولة العربية الكبرى على أرض شبه الجزيرةالعربية، ويريد أن يتقوى بجالية نجد وزعمائها المقيمين في الكويت وخاصة آل سعود الذين يملكون رصيداً ضخما من التأييد والولاء الشعبي في نجد.

هزيمة ابن صباح في معركة "الصريف" وانهيار آماله في إقامة دولة كبرى على أرض نجد.

وزيادة حقد ابن صباح على ابن رشيد بعد هزيمته في المعركة الفاصلة معركة "الصريف" ورغبته القضاء عليه ولو بيد غيره. مضاعفات الهزيمة وتسلط ابن رشيد علىأهالي نجد وتعقبه المنهزمين بعدالمعركة والإجهاز عليهم وعلى الجرحى والفلول المنقطعة في القرى والصحاري ومتابعتهم والأمر بقتلهم صبراً بعد أن وضعت الحرب أوزارها حتى كرهه الناس وحقدوا عليه وكرهوا حكمه وتطلعوا إلى البديل فصادف ظهور عبدالعزيز على الساحة السياسية.

الوهن الذي أصاب زعماء نجد أثناء حكم ابن رشيد المستبد، فقد سئموا من الحروب وأنهكتهم بقضها وقضيضها وأفنت رجالهم وألجأتهم إلى الحاجة المذلة وحطمت معنوياتهم حتى أصبحوا يعيشون بقلوب هشة ونفوس عليلة، وحياة ذلة وقلة، وتفرقت عنهم الجماعات التي تؤازرهم وتشد عضدهم فلم يعد هناك مقاوم أو مساوم كما كانت الأمور في الأيام السابقة. المجاعة الخانقة التي عمت سكان الجزيرة وخاصة نجد التي كسرت أجنحة الطموح لدى الزعماء وقلمت أظفار عزائمهم. تنافس أسرة الرشيد على السلطة وقتل بعضهم بعضاً. انحسار ظل الدولة العثمانية وتقلص سلطتها وعجزها عن مساعدة ابن رشيد وجلاؤها عن الجزيرة العربية. وبداية نكوص بريطانيا الوريثة للدولة العثمانية.

زيادة أطماع بريطانيا في الخليج والتي بدأت تبحث عن بديل لابن صباح ، حيث خيب أملها بعد هزيمته بـ "الصريف" وكانت تريد أن تجد الزعيم

المناسب الذي يستطيع القضاء على ابن رشيد حليف الدولة العثمانية وكانت ترى أن عبدالعزيز هو الرجل البديل المناسب الذي يملأ هذا الفراغ الذي يوشك أن يظهر للعيان. أطماع أمريكا في الخليج ومزاحمة بريطانيا التي بدأ ضعفها يلوح في الأفق بعد الحربين العالميتين وتقربها إلى عبدالعزيز.

واجتماع الرئيس الأمريكي "روزفلت" بالملك عبدالعزيز الذي أبرز أهميته في نجد ، وفي الدول العربية..

بحثت الدول الكبرى عن الزعيم العربي الذي يفاوض باسمهم وتكاد تجمع الدول المعنية علىاختيار الملك عبدالعزيز، حيث وجهوا له خطاباً وطلبوا منه الموافقة باسم زعماء الدول العربية وخاصة الذين في شبه الجزيرة العربية.

بعد بروز قضية فلسطين ورفع شعارات القومية العربية في الأقطار العربية المعادية لدول الاستعمار وخاصة بريطانيا وفرنسا، وتبني الملك "حسين" هذه

المناداة وتنكره للدولة البريطانية مما جعل بريطانيا غير مرتاحة لحكمه في الحجاز. خلاف الملك حسين مع خالد بن لؤي أمير "الخرمة" وانشقاقه وصرف ولائه إلى عبدالعزيز ملك نجد، وانضمامه إلى جيش عبدالعزيز ومحاربته ابن عمه الشريف حسين وكانت جهوده معروفة في استعادة تربة والخرمة والطائف ومكة ثم جدة.

- ٦ -

الاعتماد على عنصر المفاجأة وإحكام خطة الهجوم أكسبه شهرة قيادية: كان الملك عبدالعزيز لا يعتمد على عدده وعتاده بل يعتمد على المفاجأة والمباغتة. والمفاجأة مرتبطة بالسرية التامة، فقد كان لا يعطي سره لأحد من رجاله ولا لأقرب المقربين إليه ولا حتى لمن يثق بهم ، فإذا نوى الهجوم على موقع أشاع أنه متجها إلى موقع آخر حتى إذا ضمن مفاجأة الخصم قبل وصول الخبر إليه سمح بتسرب الخبر، وقد يذيعه بينهم بنفسه، ويعطيهم التعليمات الكافية للهجوم مع

ملازمة الحذر، وبث العيون حتى لا يفاجأ فيشرب بالكأس التي أعدها لخصمه، مع إحكام الخطة قبل الهجوم فلا يدخل في معركة إلا وقد قسم السرايا والركائب والخيل والمشاة وأعدها الإعداد الكافي، ولا يعتمد على القادة في أي معركة من المعارك فهو الذي يقود القوات المقاتلة بنفسه عند الهجوم.

كما يفضل دائماً أن يكون البادئ بالهجوم حتى يختار الوقت المناسب والمكان الذي يرتاح له، كما أنه يحاول عدم لقاء خصمه في الفضاء والأماكن المكشوفة، وقد أبدع في حصار المدن لأن الحصار سلاح صامت يحتاج إلى الصبر والأناة وطول النفس وسعة البال والذي يدعوه إلى ذلك أنه لا يحب كثرة العدد في المعارك التي يخوضها لأن كثرة الرجال تحتاج إلى مؤن وذخيرة وسلاح، وسلبيات الكثرة أكثر من إيجابياتها، فالكثرة تكون سبباً في كثرة الوفيات بين الطرفين وهو يتحاشى ذلك، كما أنه لا يحب أن يصاحبه شخص يكره صحبته ومن أراد العودة إلى

أهله سمح له بدون إحراج، وكانوا يـأتون إليـه يطلبـون الالتحاق بالقوات بأنفسهم وقد تصل المسألة إلى التوسط بقبول الذين يطلبون الالتحاق بالقوات، بعكس خصومـه فإنهم يرغمون رعاياهم وأتباعهم علـى الحـرب وكـانوا يأتون إلى العائلة التي فيها رجلين فيأخذون واحداً علـى الأقل بالإجبار ولهذا فإن المحارب المجبر لا يمكـن أن ينتصر[1].

- ٧ -

جهـاد الملـك عبدالعزيـز مسيرة تاريخيـة طويلـة ربطت أقاليم المملكة بثوابت موحدة لا تتغير خطوطهـا العريضـة، وإن تطـورت وفـق الإيقـاع الزمنـي الـذي تفرضه الظروف الراهنة والضـرورات التـي تقتضيها حركة الحياة المتجددة.

وكـان الملـك عبدالعزيـز فـي بدايـة أمـره يقـوم منفـرداً برسـم الأبعـاد السياسـية لخطـوات جهـاده علـى أساس من الوضـوح والنضـوج ويسـتوحي منهجـه مـن

---

(1) تاريخ آل سعود يثبت أن الدين هو العنصر الأساسي الذي اعتمدوا عليه في قيام الدولة وبنائها.

الكتاب والسنة، وينطلق من مفاهيم الأخلاقيات الإسلامية، والأطر العربية الأصيلة، بعيداً عن الضجة الإعلامية التي تؤدي إلى حشد الخصوم، والمزيد من المتاعب وتعقيد المشكلات الأساسية، وتخلق ظروفاً صعبة تتجاوز الاحتمالات المطروحة والبارزة على الساحة العربية والدولية، وقد اشتهر الملك عبدالعزيز بالكتمان وحجب الأسرار الخطيرة عن أقرب قريب.

وكان ذو قدرة فائقة علىالصمت والكتمان، وما من شك أن البوح بالأسرار فيه إفسادللخطط وإفشال للمشاريع والأهداف المرسومة التي يريد القائد أن يصل إليها.

فكان حجب الأسراروعدم البوح بها من مقومات شخصية الملك عبدالعزيز التاريخية النادرة التي أدت إلى نجاح حملاته التوحيدية، وسيطرته على خصومه وهذه الصفات لا تتنافى مع كونه صريحاً مع رفاقه ورجاله، ولا يؤدي الكتمان إلى وصفه بالغموض، فالملك عبدالعزيز لم يكن غامضاً في حياته العملية

والخاصة ولكنه يصون الأسرار الخطيرة التي لا ينتفع بإفشائها أحد سوى العدو المتربص.

- ٨ -

وكان ما أنجزه "الملك عبدالعزيز" فوق الطموح والطاقة، وأبعد من الأحلام والخيال فأعاد إلى سكان الجزيرة وربوعها الأمن بعد الامتحان الشديد بفقده أزماناً طويلة، وبعد العسف الذي تجرعوه على يد الظالم العنيد "محمد علي" وجلاوزة الأتراك المعتدين، والتنكيل بالضعفاء والبائسين ، فهيأ الله لهذه الأمة "الملك عبدالعزيز" لإنقاذها من التمزق الإقليمي، والخلاف القبلي، والضياع البشري، وكانوا بأمس الحاجة إلى مثله لسد الفراغ الذي أحدثه ضعف وإهمال الدولة التركية وتعقب ابن رشيد لزعماء البلاد، مع عجزه عن زعامة وقيادة الأمة العربية القيادة الرائدة التي تستطيع أن تخلص الأمة من ويلاتها، وأن يكون لها صوتاً مسموعاً بين دول العالم.

ولقد أحدث جلاء الدولة العثمانية المريضة فراغاً هائلاً في المنطقة، وكان لتراجع دورها وتقلص ظلها في الجزيرة العربية، فجوة واسعة تحتاج إلى زعيم مناسب يسد ذلك الفراغ، وقد استطاع الملك"عبدالعزيز" أن يملأ ذلك الفراغ بجدارة وقدرة فائقة، وأن يسد الفجوة بأهلية تامة، وغالباً ما تكون البدايات محفوفة بالمخاطر والعثرات والأخطاء التي قد يقع فيها الآخرون، ولكن الملك عبدالعزيز ببراعته الفائقة تجنب الأخطاء والسلبيات من بداية حكمه حتى النهاية، ومن عايش فارس التوحيد في مرحلة التأسيس يدرك المصاعب والمتاعب التي واجهته أثناء تحقيق المعجزة التاريخية المثيرة للدهشة منذ فتح باب التاريخ الواسع، لقد وجد الميدان الفسيح والكيان الممزق وليس من السهل أن تلتئم أشلاؤه وسط زخم قبلي وبيئة فقيرة وأبعاد غير متصلة الحلقات في جو صاخب يعج بالخلافات، ومجتمع مضطرب في زمن الأمن فيه سهم

ضائع، ولكن بحكمته وبراعته وسياسته استطاع جمع الشتات ولم المتنافرات وتقريب أبعاد المسافات.

وكانت قراراته في المواقف الحساسة الصعبة متوازنة لا تجره إلى المآزق والخسارة المادية، والمعنوية فتكون سبباً في اهتزاز هيبته ومكانته وتوصله إلى مراتب الإحراج مع الآخرين، وكانت سياسته تميل إلى التأني وقراءة الأحداث قراءة فاحصة وبشكل موضوعي، ولا يحب أن ينفرد بقرار لا يتفق مع رغبات الآخرين. وإذا أراد طرح مشروع فضل أن يكون جماعياً بعيداً عن الانفراد به حتى يكون بتركيبة سياسية موحدة تضم عددا من الزعماء العرب المتواجدين على الساحة السياسة آنذاك ودائماً تكون أدوار الزعماء سلبية تؤزم المواقف و تجبره إلى اتخاذ قرار فردي يضمن مصلحته ومصلحة بلاده دون النظر إلى اتفاق هذه القرارات مع رغبات أولئك الذين رفضوا الطرح الجماعي المشترك والتعاون المستمر، وقد يضعهم هذا التدابر والسلبية في خانة الانحياز ضد

مصالح شعب الجزيرة العربية والأمة بأسرها التي تبحث عن الأمن والاستقرار ولقمة العيش المفقودة.

وقد حشد نجاحه العظيم جحفلاً من المؤرخين الذين يسيرون وراءه لجمع ما خلفه لهم من أحداث بارزة لا يمكن أن يتجاهلها التاريخ، وقد استهوت شخصية الملك "عبدالعزيز" كثيراً من الكتاب الأجانب ليقوموا بالرحلات والزيارات لشبه الجزيرة العربية، حتى يكتبوا عن كثب عن شخصية الملك عبدالعزيز، وقد كتب الكولونيل "لورانس" كتابه المشهور عن تجاربه في الجزيرة العربية تحليلاً لشخصية الملك "عبدالعزيز" وقد بنى تحاليله الشخصية المعجزة على سبعة عوامل رئيسة قامت عليها عبقرية الملك عبدالعزيز وزعامته حتى بنى دولة ، ومنها:

كان الملك عبدالعزيز شديد التمسك بالدين، فكانت مجالسه شبيهة بمجالس العلماء، يتلى فيها القرآن، والأحاديث، وتقرأ فيها السيرة النبوية، وكان لا يشغله عن أداء الصلاة شاغل إذا دخل وقتها، وقد جند نفسه

للدفاع عن الدين، وإقامة شعائره، وتنفيذ الشرع، يناصر الدعاة والمرشدين، ويكرم العلماء ويشركهم في المسئوليات، وكان من أكرم الزعماء في الجزيرة العربية في عصره، لايجاريه أحد في كرمه، يعطي عطاء الأغنياء وهو لا يجد شيئاً في بداية أمره، وكان إذا ركب يجعل بجانبه أكياس الذهب والفضة فيعطي من يسأله، ومن لا يسأله إذا اقتضى نظره ذلك.

فقد أعطى رجلاً كفيف البصر حفنة من النقود، وكان يظنها فضة حسب حال المعطي، فلما أخرجها وجدها ذهباً لم يعدها إلى الكيس، وقال هذا نصيبه، وأخبر الكفيف أنه أعطاه جنيهات ذهبية حتى لا يغرر به، وكان يعفو عن كثير من مرتكبي المخالفات، وخاصة إذا كان الحق يخصه أو يخص أحد أفراد الأسرة، أما إذا كان الحق للغير فإنه يتحمل الحقوق الخاصة، ويعفو عن الحق العام، وكان معروفاً عنه الشجاعة المتناهية، فهو شجاع في الميدان، وشجاع في الإقدام، وشجاع بإتخاذالقرارات، وحسم الأمور، وكانت

شجاعته مقرونة بالحكمة، والرأي السديد، فلا يقدم إلا إذا كان الإقدام أفضل من الإحجام، وكان لا يتقهقر عند اللقاء، وهذه هي الشجاعة الحقة.

أما الشجاعة المجردة من الرأي، والحكمة، فإنها تسمى تهوراً وانتحاراً مشهوداً، وكان من أسباب نجاحه في تصفية خصومه أنه كان شديد الصبر قوي التحمل، لا يكل، ولا يمل، وقد أكثر في فتوحاته من الاستفادة من هذه الصفة، وكان يميل إلى الحصار الذي يعتمد على طول النفس، والأناة ، حتى يتسرب إلى خصمه الملل، فيستسلم منهزماً دون قتال، وهذه من المميزات التي برزت في مسيرة جهاده، وكان كريم الخلق، عفيف النفس، نزيه العرض، فلا يأخذ وهو قادر إلا بحق، صادقاً في كل معاملاته، وسلوكياته الخاصة والعامة، عادلاً في أحكامه لا يجور، ولا يظلم، وكان كثير التروي في الأمور التي تحسم في لحظة الغضب، ومن كان سبب نفسه فقد ظلمها، -والكمال لله وحده- وكان ذو عقل راجح، وتفكير سليم، وغالباً ما يكون

العاقل الرزين تفكيره سليم، وخاصة إذاكان واسع الاطلاع، لماح الذكاء، عالماً بعادات الناس، وتقاليدهم مطلعاً على تاريخ الأقدمين، وقد دون هذه الصفات بإسهاب الكولونيل لورانس ونقلها محمد المانع في تاريخه، ثم نقلتها باختصار بتصرف وإضافات[1].

وأختم الكتاب بنبذة مختصرة عن حياة الملك عبدالعزيز الحافلة بالدروس والعبر، والتضحية والإيثار، والمواقف الإنسانية التي تثبت أنه بحق إنسان الجزيرة، وعاهل الجزيرة، وموحد أقطارها، وجامع شمل أبنائها على عقيدة التوحيد، وعلى المحبة والوفاء.

*****

(1) راجع توحيد المملكة العربية السعودية، محمد المانع، ص ٢١٣ - ٢٢٦ .

الملك المؤسس للمملكة العربية السعودية
عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود
١٢٩٣ - ١٣٧٣هـ[١]

(١) سبق أن ذكرت نسب آل سعود في كتابي عن الدولة السعودية الأولى والثانية فمن أراد الاستقصاء يمكنه الرجوع إليه.

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأمه سارة بنت أحمد بن محمد السديري المعروف بـ"الكبير"[1] مؤسس المملكة العربية السعودية وموحد أقطار الجزيرة العربية، حفيد مؤسس الدولة السعودية الثانية (تركي بن عبدالله)، حفيد مؤسس الدولة السعودية الأولى

---

(1) المولودة في الأحساء ما بين عام ١٢٧٠ إلى ١٢٨٠هـ مقر إقامة والدها أحمد السديري المعين أميراً للأحساء من قبل الإمام فيصل بن تركي ، وقد تزوجها الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي فيما بين ١٢٨٩ - ١٢٩١هـ ، ويحدد الأستاذ عبدالرحمن الرويشد تاريخ زواجها به في عام ١٢٩١هـ ، وذلك بعد طلاقها من الزوج السابق عبدا لله بن أحمد بن عبدالجبار الذي لم تنجب منه ، وذكر أن عدم الإنجاب كان سبب الطلاق ، وقد تمنت على ا لله أن يرزقها بالولد فاستجاب ا لله لدعائها فأنجبت فيصلاً ثم نورة ثم أنجبت عبدالعزيز سيد جيله ، ثم منيرة أو (بزة) وهيا وسعداً ، وقد نشأت في بيئة رفيعة المستوى فتربت تربية عالية وكانت من أكمل النساء عقلاً وأجملهن شكلاً ، موصوفة بالجمال والكمال وطول القامة ، وكانت سيدة جسيمة وسيمة تميزت بالحسن وكمال الأخلاق ويقال إن منها جاء طول القامة لسلالتها ، وزاد آخر فقال إنها امرأة فارعة الطول ذات حسن وجمال تجمع بين الجسامة والوسامة ، وعملت سارة على تربية أبنائها وتوجيههم الوجهة الصحيحة وأعدتهم الإعداد الملائم لتحمل التبعات في مستقبل الأيام ، فقاسمت زوجها الإمام عبدالرحمن الاغتراب عن الوطن ، حيث تجملت بالصبر وتابعت زوجها في ترحاله وأحاطت أبناءها بعنايتها ورعايتها ، وعندما عزم عبدالعزيز على استعادة ملك آبائه وأجداده وجد في والدته خير معين وسند ، وتجلى ذلك في معاني التضحية والإقدام إذ طلبت من والده أن يسمح له بتكرار المحاولة لفتح الرياض ، وقد أشار إلى دورها في مسيرة ابنها بعض من كتب عن الملك عبدالعزيز ، فوضحوا تأثره بها وفضلها في توجيهه ، كما أن الملك عبدالعزيز كان يذكرها ويشيد بماكان لها من فضل عليه في كل مناسبة ، وقد توفيت في الرياض في أواخر عام ١٣٢٧هـ ، الزركلي ص٦١.

(محمد بن سعود)، فهو كثير الشبه بوالد جده مؤسس الدولة السعودية الثانية تركي بن عبدالله، ولذلك فقد سمى أكبر أبنائه "تركياً" وتكنى بذلك فهو أبو تركي، ويعتز بهذه الكنية ويفتخر بها، ومن شبهه بجده فيصل، فقد قارب الصواب إذ إن فيصلا يشبه أباه "تركياً".
وائلي النسب، سعودي اللقب، نجدي المولد والنشأة، سلفي العقيدة، طويل القامة، لايباريه أحد في الطول إلا غلبه، كامل الجسامة، بارز الوسامة ، متناسق الجسم، قوي البنية، عريض المنكبين، كث الحاجبين أجش الصوت، جميل الهيئة، عظيم الهيبة، فيه من سطوة الحكام، وإقدام الشجعان، ووقار العلماء، وتواضع الزهاد، وتوكل أهل الإيمان، ودهاء الحكماء، العارف المجرب، السياسي المحنك، صاحب العزيمة القوية، والإرادة الفولاذية، قوي في الحق، شديد علىالباطل، اسمه يثير الرعب في نفوس الخصوم، وينشر الطمأنينة بين الإخوان، جامع الشمل، ومتعب الزمل، ومسرج الخيل، جابر عثرات الكرام، محضر البوادي، ومؤسس

الهجر، وجامع الحضر، تاج الأسرة، ومحارب العسرة، سيف النصر،وأعجوبة الدهر، صاحب الباب المفتوح، والقلب العامر بالإخلاص والمحبة، عون المظلوم، وناصر المهضوم، اقتحم أبواب التاريخ عنوة، وحطم رموز البغي والعدوان، قضى على الزعامات المتعددة، وأزال آثارها المدمرة ، السياسي الذي لا يبارى، والكريم الذي لا يجارى، صاحب السيف المسلول، والمال المبذول، والكلام المقبول، رفيع العماد، طويل النجاد، قوي الشكيمة، شجاع بحكمة، وسداد رأي، إذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا عمل أبدع، صاحب اليد الثرة، والنفس البرة، يسهر مع النجوم لمفاجأة الخصوم، ليله إدلاج، ونهاره جهاد، السيف رفيقه، والسلاح صديقه، لا يعرف الطريق إلى الراحة، كأن بينها وبينه خصومة.

خضع له من الجزيرة ما بين البحر الأحمر والخليج العربي، وما بين الشام واليمن، قال عن نفسه

"ما في المملكة من شبر إلا قاتلت عليـه"[1]، وكـان أحـد طلبة العلم فـي وقتـه يشـبهه بـالملك "طـالوت" أتـاه اللـه بسطة في العلم والجسم وأعطاه الملك، والله يؤتي ملكه من يشاء[2].

ولد الملك عبدالعزيـز عـام ١٢٩٣هـ وقيـل عـام ١٢٩٧هـ والأول أقرب إلى الصحة لتقديم أكـثر الـرواة له وتأييد كبار الأسرة لذلك أمثـال الأمـير عبداللـه بـن عبدالرحمن أخي الملك عبدالعزيز والأمير سـلمان بـن عبدالعزيـز، إذ لكل منهمـا اهتمـام بتـاريخ هـذه البـلاد بصفة عامة، وتاريخ الأسرة بصفة خاصة.

وكـان وقـت ولادة الملـك عبدالعزيـز مشـبع بالحروب والفتن ما ظهر منها وما بطـن، وكـان أفـراد الأسرة يتصارعون علىماتبقى من سراب السلطة وابن رشيد وأسرته يتراكضون علـى نهـب الأسـلاب وجمـع التركة، وقد أحاطت بوالده عبدالرحمـن محـن العصـر،

---

(١) ابن عبيد ، تذكرة أولى النهى.

(٢) القائل صالح بن عيسى والراوي الأمير عبدا لله الفيصل الفرجان ،كنت مع الملك عبدالعزيز، ص٣٣٤.

وداوهي الدهر، وتكالبت عليه القوى ، وتقاطرت عليه الإعداء حتى أفلت الزمام من يده أو كاد ، لا يقر له قرار، ولا يستطيع الفرار ، وقد طوقت الرعية البلايا، وطاردتها المنايا ، فتن كقطع الليل المظلم، هذه أيام طفولته المتقدمة رعود المعارك تدوي في كل الآفاق، وأعاصيرها المدمرة تزمجر في كل الجهات، والطفل مندهشاً، يظن أن هذه الكوارث من طبيعة الأشياء وليس هناك سواها، وقد يبتعد شبح الحروب قليلاً عن المدن في بعض الفترات فلا يحس الأطفال به كثيراً إلا بما يسمعون من الأخبار المزعجة، والبكاء والنشيج على الأموات والشهداء (قتل فلان وفقد فلان)، ولما كبر الصبي، وأدرك كان لابد أن يتعلم كغيره من أبناء الأسرة وليس هناك مدارس نظامية ، ولكن هناك مدارس أهلية تشبه الكتاتيب، أو هي الكتاتيب ذاتها تعلم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ومسائل من الحساب، وقد يضيف المعلم شيئاً من النصوص من أحاديث نبوية وقطع شعرية، ولكن هذا لا يكون إلا لما

بعد حفظ القرآن وختمه ، هذا مدى ما تدرس تلك الكتاتيب، أما طلب العلم فإن مكانه حلقات المشايخ في المساجد التي تتكرر بعد كل صلاة. لقد عهد الإمام عبدالرحمن بابنه عبدالعزيز إلىالقاضي عبدالله الخرجي من علماء الخرج ليعلمه مبادئ القراءة والكتابة وبعض سور القرآن القصار-مرحلة الكتاتيب-[1].

ثم عهد به إلى الشيخ محمد المصبيح لحفظ القرآن الكريم، فلازمه حتى ختم القرآن كاملاً، وهذه مرحلة خاصة تكاد تكون أعلى مستوى من السابقة، ثم نقله والده إلى حلقة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الذي أعد له منهجاً خاصاً بتعلم الفقه، والتوحيد، والحديث، والتفسير، وهذه مرحلة متقدمة، وليس لها نهاية وكل يأخذ منها بقدر ما يستوعب حسب ذكائه ورغبته[2] .

وبحكم مكانته الاجتماعية، فقد أتيحت له الفرصة لإبراز مهاراته، وتنمية قدراته ومواهبه الخاصة، كما

---

(1) الزركلي ، ص ١٧ - ١٩ .

(2) الزركلي الوجيز ص ١٧ - ١٩.

حصل على تمارين شاقة، وممارسات قاسية، وعرضه والده لظروف جوية بالغة الصعوبة، حتى تدرب على تقاليد الأسرة الصارمة، وتعود على شظف العيش، وافتراش الأرض، والتحاف السماء[1]، وفي أيام الجلاء أخذ يألف حياة البادية القاسية، ونكد المعيشة ومشاقها، وسوء الأحوال فيها ، والبؤس والتعاسة.

وتهيأ له من الظروف المحيطة بطفولته ما صقل مواهبه وأثرى تجاربه ، وهيأ له الجلوس مع القادة ما مكنه من المعرفة بأمور الدين والسياسة والتاريخ وحوادث الزمان ، وحينما اجتمعت الصفات الذاتية مع التجارب الحياتية كَوَّنَ اندماج هذه المواهب مع التجارب شخصية تاريخية فذة نادرة[2].

سكن القصور الضخمة، وسكن البادية، وسكن الدور المتواضعة ، وتقلب في عدد من مناحي الحياة، وقد مر في صغره بالنعيم في قصر الحكم بالرياض

---

(1) الزركلي ، الوجيز ، ص٢٠ .

(2) د. عبدالله العثيمين ، تاريخ المملكة ، ص٤٦ .

المحفوف بالمكاره والمخاطر، وشظف العيش وقسوة الحياة في الصحراء -شمال الربع الخالي- مع البادية، والعيش بين العالم في الكويت في دار مؤلفة من ثلاث غرف أمضى فيها عشرسنوات رأىفيها النعيم المبرقع، وشظف العيش المذل، والعز المزيف المهزوز، كل هذه جعلت منه الرجل الأعجوبة الذي ساد جيله، ثم هيمن على السلطة بدهائه وشجاعته وحكمته.

كما تعلم مبادئ الفروسية، وأساليب ركوب الخيل والكر والفر، وفن المبارزة والمنازلة، ومحاورة الخصم على الفرس، والرماية، وركز الرمح، والضرب بالسيف، واستخدام جميع الأسلحة المستعملة آنذاك، وكيفية الدفاع عن النفس[1].

وقد شارك في الحياة السياسية في وقت مبكر من حياته، فقد خرج مع الوفد المفاوض في الصلح مع ابن رشيد في حصاره الرياض بعد وقعة المليداء، كما اشترك مع والده في مأساة الجلاء والتنقل بين مضارب

---

(1) د. عبدا لله العثيمين ص٢/٤٨ ، الزركلي الوجيز ، ص١٩ .

البادية في الربع الخالي، كما بعثه والده إلى البحرين وقابل حاكم البحرين آنذاك، وتفاوض معه في قضية الجلاء ، وإسكان عوائل الأسرة في البحرين، وقد نجح في هذه المهمة، كما أرسله أبوه إلى الهفوف ليفاوض الترك بالسماح لهم ولرجالهم بالإقامة فيها أو في جوارها، ولكن هذه المفاوضة لم تنجح لأن الترك لايريدون غضب ابن رشيد الحليف الجديد[1].

وقد تزوج الملك عبدالعزيز عدداً من الزوجات، وكان قادة المسلمين وخلفاؤهم منذ عهد النبوة يكثرون من الزواج لأسباب سياسية أو اجتماعية أو إنسانية، وقد لايكون لمجرد الشهوة الجنسية، أو الرغبة النفسية، فقد تكون بعض القبائل قوية أو غنية فيريد هذا القائد أو الخليفة أن يتقوى بهم، وبما معهم فلا يدرك ذلك إلا بالمصاهرة والاندماج فيها، وهذه من الأمور التي لمحها الملك عبدالعزيز، وخاصة عندما كان بحاجة إلى

---

[1] المرجعان السابقان .

المساندة أو على الأقل كف الأذى[1]، لأن الزواج رابطة عائلية قوية فحينما يتزوج من قبيلة كبيرة وأسرة عريقة تتشرف بمصاهرته، ستظل موالية له هي ومن يدور في فلكها مدى الدهر، كما أن في تعدد الزوجات كثرة للأولاد، وهذا مطلب ديني ودنيوي، فالديني قال "صلىالله عليه وسلم" تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، والدنيوي كما قال الله تعالى:﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات﴾ ، فالأولاد بالإضافة إلى أنهم زينة فإنهم قوة ومنعة وعزة وكثرة للعدد[2].

وقد طبق الملك عبدالعزيز هذه السياسة في كثير من مصاهراته، وإثبات هذه الزيجات في سيرته رفعاً للاحتمالات، ودفعاً للتكهنات والمبالغات التي تنشأ من

---

[1] فقد يوجد عوائل كبيرة قتل رجالها في الحروب وبقيت بدون عائل فتزوج منهم حتى يرفع من قدرهم ويرد لهم كرامتهم وحمايتهم وهذه من الدوافع الإنسانية. وقد يقتل كبير الأسرة في بلد من البلدان فيحس بالضيم والمذلة والخوف بعد ، فقد عميد الأسرة، فيصاهرهم ليردلهم اعتبارهم ومكانتهم التي فقدوها بفقده ، وهذه ناحية إنسانية واجتماعية.

[2] محمد المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية ، ص٣٣٦.

عدم وجود المعلومات الصحيحة الموثقة، وسير الشخصيات التاريخية وزعماء العالم يلح الكثير من الناس على معرفتها، وخاصة الباحثين، فإذا لم يجدوا ما يروي عطشهم لجأوا إلى الاجتهادات والتكهنات والمبالغات الخيالية، ولهذا فإن من الأفضل قطع خط الرجعة على من يريد تشويه الحقائق، والإساءة إلى التاريخ، وإثبات ذلك حسب الواقع يحسم المزايدات الرخيصة، لأنه زواج قد أباحه الإسلام، وتم على كتاب الله وسنة رسوله "صلى الله عليه وسلم"، ولاغضاضة في ذلك ولا محذور، وقد صاهر في حياته الحافلة كثيراً من القبائل والعائلات يتعذر في هذه العجالة الدخول في تفصيل ذلك[1].

---

(١) وأذكر من زوجاته **وضحاء** بنت محمد بن برغش بن عقاب من بيت آل عريعر من كرام شيوخ قبيلة بني خالد فأنجبت له تركي بن عبدالعزيز، وأخاه الملك سعود بن عبدالعزيز، وأختهما منيرة، وقد توفيت عام ١٣٩٥هـ بعد أن أدركت وفاة ابنها الملك سعود – رحمهم الله – ، ومنهن **"طرفة"** بنت الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، أنجبت له فيصلاً (الملك) الذي ولد عام ١٣٢٤هـ ، والأميرة نورة عام ١٣٢٢هـ وقد توفيت ، وعمر فيصل لا يتجاوز بضعة أشهر ، ومنهن **الجوهرة** بنت مساعد بن جلوي بن تركي بن محمد بن سعود ، وقد أنجبت محمداً وخالداً (الملك) ، والأميرة العنود ، وقد توفيت عام ١٣٣٧هـ بالمرض الوبائي الذي حلّ بالعالم ، وقضى على كثير من حاضرة وبادية نجد، وهو ما يسميه أهل نجد سنة "الرحمة" ، ومنهن **حصة** بنت أحمد بن محمد السديري فولدت له الأمير سعداً توفي صغيراً ، ثم أنجبت له الملك فهداً (خادم الحرمين الشريفين) وسلطاناً (النائب الثاني) وعبدالرحمن ، وتركياً ، ونايفاً ، وسلمان ، وأحمد ، وبنتاً سميت فلوة ، وبنتاً أخرى سميت شعيع توفيتا صغيرتين ، ثم أنجبت له موضي، ولولوة ، ولطيفة ، والجوهرة ، وجواهر ، وعاشت بعد عبدالعزيز مدة ، ثم وافتها المنية عام ١٣٨٩هـ. ومنهن **"فهدة"** بنت العاصي بن شريم من شيوخ قبيلة شمّر ، فأنجبت له الأمير عبدالله (ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني)والأميرة صيتة والأميرة نوف، ثم توفيت في حياة الملك عبدالعزيز رحمهما الله، كتاب قصر المربع ، للأستاذ عبدالرحمن الرويشد.

وزعم الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار أن الملك عبدالعزيز قد أصهر في القبائل كلها، وهو زعم لم يذكر ما يؤيده ولم يذكره غيره.

وتحدثت بعض الصحف الغربية -آنذاك- عن قيمة تلك المصاهرات حتى زعمت جريدة (ديلي إكسبريس) البريطانية أن مصاهرة الملك عبدالعزيز لنوري الشعلان شيخ قبائل (الرولة) عام ١٣٥٤هـ، تعني عقد محالفة دبلوماسية بينهما لأن الشيخ الشعلان يحكم قبيلة كبيرة، ولصداقته شأن في سياسة الملك عبدالعزيز في الصحراء.

وعلى أي حال فإن هذا التعدد له ما يبرره وتقتضي متعلقاته العادات القبلية والظروف السياسية والاجتماعية، فهو وسيلة سياسية أكثر من كونه شهوة جنسية[١].

---

[١] نقلاً بنصه ومعناه من كتاب قصر المربع للأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد مع شيء من الاختصار والإضافات البسيطة ، نشر على شكل حلقات في جريدة الرياض بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية.

برنامجه اليومي[1]: كان الملك عبدالعزيز نسيج وحده في كل شأن من شؤون حياته ، وكان يبدأ نشاطه اليومي من قبل أذان الفجر ، فكان يقوم في الثلث الأخير من الليل فيتوضأ ثم يبدأ صلاة التهجد (القيام) حتى طلوع الفجر الثاني حينما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم يتجه إلىالمسجد الداخلي بعد أن يقوم بنفسه بإيقاظ النائمين من الأبناء والعاملين في القصر ، ثم يترك الأمر للمكلفين بهذه المهمة وتقام الصلاة وبعدها يتفقد الجماعة بنفسه فيقول أين فلان؟ وأين فلان؟ ينادي على الذين لم يحضروا الصلاة ، ثم يرسل إليهم

---

(1) فقد دخلت بعض التعديلات التي فرضتها كثرة الأعمال وضيق الوقت ، فقد تغير موعد الغداء من قبل الظهر إلى بعد الظهر وموعد العشاء من بعد العصر في الزمن السابق إلى بعد المغرب ، ثم إلى ما بعد العشاء ، وهذه تعديلات ليست جوهرية تمشياً مع الوقت الأوسع لأن البرنامج اليومي يأخذ بعين الاعتبار أوقات الصلوات الخمس ووقت الصلاة يفرض بداية ونهاية العمل ، فكل عمل يبدأ قبل الصلاة لابد أن ينتهي إذا حان وقت الصلاة ، وهكذا المجتمع الإسلامي دائماً يبني أعماله اليومية على مواعيد الصلاة وأداء الفريضة في وقتها. وفي بدايات حكم الملك عبدالعزيز ليس هناك رؤية واضحة للعمل اليومي ، ولكن العمل يتحدد في نهاية اليوم حسب الظروف والأحوال التي تطرأ أثناء ذلك اليوم ، فالرتابة التي تتكرر يومياً هي التي تفرض وقت العمل وتحدده ، أما بعد نهاية توحيد المملكة واستقرار الأحوال فقد تحددت الأعمال اليومية وجرت برمجتها ، وقد وجد اختلاف يسير بعد الاستقرار للتغيرات التي طرأت على المجتمعات العربية ولابد أن تؤثر على المجتمع السعودي.

في الحال من يحضرهم فيقف كل متخلف أمامه يسأله عن أسباب تخلفه، فإن كان عذره مقبولاً صفح عنه وإن كان عذره واهيا أقام عليه حدالتخلف وهو "الجلد" الضرب بالعصا أو السجن، وأحياناً هما جمعاً، وبعد أن يجري عليه اللازم ينصحه بهذه النصيحة أو نحوها "ياولدي الدنيا ليست بدار قرار، فلا تتهاون في صلاتك، ولا تتكاسل عنها، فالصلاة عمود الدين، وصلة الإنسان برب العالمين، من ضيعها ضيعه الله،وباء بغضه ولعنته"هذه نصيحة عالم بأمور الدين، ثم يبقى في مصلاه يذكر الله ويقرأ القرآن حتى تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس صلى ركعتين تمشياً مع نص الحديث، "من صلى الصبح في جماعة وبقي في مجلسه ذلك يذكر الله حتى تطلع الشمس كان له من الثواب ما يعدل حجة أو قال حجة معي أو كما قال "صلى الله عليه وسلم".

ثم يخرج إلى المنزل يتفقد عوائله ويلبس ثيابه ثم يخرج إلى مكان القهوة ويقدم له الفطور مع أبنائه

وبعض الحاشية، وكـان فطـوره فـي أول الأمـر قـرص بالسـمن(المراصيـع) أو المقاشـيش المغمـورة بالعسـل والـروب المبستر بالطريقـة النجديـة[1]، ثـم يخـرج إلـى النـاس فيجلـس لهـم ويسـلمون عليـه ويسـتمر المجلـس مقدار ساعة تدار في هذه الجلسة القهوة والشاي، ويقرأ فيها القرآن والأحاديث والسيرة ويسلم عليه فيها الزوار والوفود، ثم يخرج منها إلى الديوان، فيعرض عليه ابن "دغيثر" البرقيات ويأخذ منه التوجيه ، ثـم يخـرج إلـى الطبيشي وابن "عيدان" فيعرضـان عليـه طلبـات النـاس فيـأخذون التوجيـه الملكـي، ثـم إلـى الشـعبة السياسـية والأخبار، ثم إلى ابن جميعة فـإذا انتهـى مـن كـل هـذه الأعمال خرج إلى البديعة وهي النخل المعروف غـرب الرياض يصلي الظهر هناك، ثم يعود إلى القصر فيجـد أن الغداء قد أعدت موائـده فيدخـل هـو ومـن معـه مـن الضيوف والوفود، فكان يباشر عليهم ويدني لهم ما بعد عنهم ويحثهم على الأكل حتى الشبع، وكان يتأخر على

---

[1] حيث يوضع الحليب على النار إلى درجة الغليان ، ثم يبرد ويشرب حليباً أويروب فيكون مخيضاً.

المائدة فيكون آخر من يقوم حتى لا يتعجل الحضور بالقيام قبل الشبع، وقد اعتاد الناس أن لا يقوم أحد من على الطعام حتى يقوم كبيرهم فإذا قام قاموا جميعاً وتركوا الطعام وأنفسهم تطلبه، فأبطل هذه العادة وأمرهم بعدم القيام حتى تطيب نفوسهم فكانوا يقولون بعد ذلك في نهاية الطعام (سعودية) يعني أن كل إنسان لايقوم إلا بعد الشبع ولا يتقيد بقيام كبير القوم، ثم يغسل يديه ويرش الطيب على ضيوفه، ثم يدخل إلى القصر عند عوائله وحاشيته ومنه إلى غرفة نومه ومكان راحته حتى أذان العصر فيغير ملابسه ويخرج إلى صلاة العصر، ثم يجلس بعد الصلاة جلسة عامة مثل جلسة الضحى، ما يقرب من الساعة وبعدها يقوم من مجلسه ذلك ويتجه بمن معه من الوفود خارج الرياض بما يسمي "الدكة" فيجلس فيها حتى يصلي المغرب، ثم يعود إلى القصر، فيجد موائد العشاء قد جهزت وهيئت فيدخل هو والوفود والزوار وجميع أفراد الحاشية، وبعد العشاء يدخل إلى القصر ويرتاح

قليلاً، ثم يبدل ملابسه ويخرج لصلاة العشاء وبعدها يجلس جلسة تلاوة وذكر، ثم يقابل الوفود والعلماء والوجهاء بما يقارب الساعة، ثم يدخل إلى المنزل، وهكذا ينتهي برنامجه ذلك اليوم ويتكرر ذلك في كل يوم في الأيام العادية التي لا يتخللها أمور طارئة أما الأمر الطارئ فإنه يفرض نفسه ويغير من وقائع هذا البرنامج[1].

مجلس الملك عبدالعزيز العام:

كان للملك عبدالعزيز مجلساً عاماً يستقبل فيه العامة والخاصة يتكرر ثلاث مرات في اليوم، ومن العادات المتبعة والتقاليد الخاصة بالمجلس العام أن يتصدر الملك عبدالعزيز المجلس، ويجلس آل سعود عن يمينه في صف واحد بحسب أعمارهم الأكبر فالأكبر، ويكون عن يمين الملك فراغ يتسع لعدد من الأشخاص المتوقع حضورهم فيما بعد للسلام على

---

(1) قد يتأخر العشاء إلى ما بعد صلاة العشاء لأمر من الأمور، كما أنه قد لا يخرج قبل الظهر إلى البديعة فيصلي الظهر في المسجد في الصفاة، ثم يعود لإكمال ما تبقى من الأعمال، ثم يتوجه إلى القصر لتناول طعام الغداء.

الملك، ومن عادته أن يصافح الناس واقفاً ويقف معه الجميع، ثم يشير الملك إلى المكان الذي يريد أن يجلس فيه القادم إلى مجلسه، وقد يكتفي بعض من يدخل إلى المجلس بالسلام عليه من بُعد، يصبحه أويمسيه بالخير، ثم يجلس حيث ينتهي به المجلس.

وإذا تحدث الملك عبدالعزيز في المجلس أنصت الجميع إليه، فإذا انتهى من حديثه فلكل من الحضور كبيراً كان أو صغيراً أن يتكلم موجهاً كلامه إلى الملك، ومن عادة الملك ألا يقاطع من يتحدث.

وأكثر ما يكون وقت المجلس العام قبل الظهر، وبعد صلاة العصر من كل يوم، ومجلس آخر بين الخاص والعام يكون بعد صلاة العشاء، ويقتصر هذا المجلس في الغالب على حضور كبار الموظفين وبعض الأعيان والضيوف ، وقلما يحضره الأمراء.

يفتتح الملك جلسة المجلس العام بالحديث الديني، يقرأ فيه فصولاً مختلفة من التفسير والتاريخ، وبعض كتب الأدب والأخبار، ويكون القارئ غالباً من رجال

العلم، ويجلس في أقصى مقعد على يسار الملك، والعادة أن يبدأ بتفسير القرآن الكريم ، ثم يقرأ في كتب التاريخ، والغالب أن هذه القراءة لا تزيد مدتها عن نصف ساعة، وربما علق الملك عبدالعزيز على القراءة أو طرح استفساراً أو سؤالاً على بعض ما ورد فيها، فيتناوله بعض العلماء بالتفسير أو التعليق.

وهي من العادات الإسلامية الطيبة التي اختص بها أمراء وملوك آل سعود[1].

وفي الأيام الأخيرة من حياته ظهرت عليه أعراض أمراض الشيخوخة التي تفتك بالمسنين والتي أكثرها شيوعاً ومبادرة تصلب الشرايين يصحبها الضغط والأزمات القلبية، لقد بدأت تسوء حاله منذ عام ١٣٧١هـ فاضطر بسبب تأثر ركبته التي قد أصيبت في شظايا قنبلة في معركة "البكيرية" قبل ما يقرب من خمسين سنة إلى استعمال الكرسي المتحرك الذي أهداه

---

(١) نقلاً من كتاب قصر المربع للأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد ، نشر بجريدة الرياض على حلقات يومية بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية.

له روزفلت الرئيس الأمريكي في تنقلاته بعد نزوله من السيارة، فزاد عجزه مرضاً مع إصراره على نظامه الغذائي وممارسة برنامجه اليومي رغم اعتلال صحته، ولكن بعد انحراف صحته كان أقصى مايصل إليه من قصر المربع إلى البديعة، وكان آخر الحفلات الرسمية والشعبية التي حضرها هي الاحتفال بافتتاح سكة حديد الرياض/الظهران عام١٣٧٠هـ/١٩٥١م المشروع العملاق الذي قام بتمويله وإنجازه باستثناء حضوره بعض الاحتفالات الشعبية في الطائف في نهاية عام ١٣٧٢هـ وبداية عام ١٣٧٣هـ[١].

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٣٧٢هـ سافر إلى الحجاز على متن طائرته الخاصة (إسكاي ماستر) ونزل بالحوية، ثم دخل الطائف ليسلم عليه الناس وهو رهن الإعياء، ولم يتمكن من رئاسة الحج ذلك العام فأناب ابنه وولي عهده سعوداً[٢]، وقد أمضى زهاء

(١) عبدالله فلبي ، تاريخ نجد ص٤٢٠ .

(٢) الوجيز ، خيرالدين الزركلي ، ص٣٦٩ .

ثلاثة أشــهر بيـن الحويـة والطـائف بعد أن اشـتد عليـه المرض في هذه الفـترة مـن حياتـه، وفـي صبـاح يـوم الإثنين في الساعة العاشرة والنصف قبل صلاة الظهـر ٢/ ربيع الأول عام ١٣٧٣هـــ الموافـق ١٩٥٣/١١/٩م أعلنـت وفاتـه، وصـدر نعيـه إلـى شـعبه، وإلـــى الأمــة العربية والإسلامية، وقام بتغسيله عبدالرحمن بن عويـد ويساعده ابن مبـارك[1] وصلـي عليـه فـي الطـائف بعـد صلاة الظهر في الجامع الكبـير، ثـم نقـل بالطـائرة مـن الطـائف إلـى الريـاض ويرافـق الجثمـان فـــي الطـــائرة الأمير فيصل وبقية أبناء الأسرة الموجودين أثناء الوفاة بالطائف، وقد وصلت الطائرة المقلـة لجثمانـه الريـاض قبل الغروب بنصف ساعة، وكان في اسـتقبال الجثمـان في المطار الأمير نايف بـن عبدالعزيـز أمـير الريـاض آنذاك والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتـي الديـار السعودية وجمع من العلماء والوجهاء والأعيان وحشـد

---

[1] يصب عليه الماء. عبدالرحمن بن عويد هو الذي كان يلازمه في مرضه ويعتـني بـه مـع ابـن مبـارك وأمين العبد العزيز (مملوك) ، كنت مع الملك عبدالعزيز ، ص١٩٩.

من الجماهير الشاكية الباكية الملتاعة، وبعد تعزية الأمير فيصل والأمراء المرافقين للجنازة نقل الجثمان بالسيارة إلى مصلى العيد بالرياض وتمكنوا من الصلاة عليه بعد صلاة المغرب، أم المصلين عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي العام، ثم حمل بالسيارة إلىمقبرة الأسرة في الرياض، حيث دفن آباؤه وأجداده، وقد تولى إنزاله في القبر الأمير فيصل وإخوانه يساعدونه على ذلك.

وكان عمره حين وفاته ثمانين سنة قضاها في الجهاد في توحيد أقطار الجزيرة ، وبناء دولة واسعة الأرجاء، راسخة البناء ثابتة الأركان[1].

وقد أصيبت الدول العربية والأمة الإسلامية -إثر إعلان وفاته- بصدمة عنيفة هز صداها أنحاء العالم فأعلنت كثير من الدول الحداد ونكست الأعلام، وبعثوا الوفود للتعزية والمواساة، وفقد بموته أبناء الجزيرة العربية قائدهم الموحد، والعرب زعيمهم، وفقدت الأمة

---

(1) الشيخ إبراهيم بن عبيد ، تذكرة أولي النهى أحداث عام ١٣٧٣هـ .

الإسلامية رافع رايتها، وفقد العالم أحد أبرز زعمائه. وعزاء الجميع استلام أبنائه الملوك والأمراء تلك الأمانة، فسلكوا طريقه، وساروا على نهجه لإكمال بناء الدولة التي ثبت أركانها، وحدد أهدافها وهويتها، ورسم سياستها، وأزال كل العقبات التي تعترض مسيرتها المباركة.

وقد مربنا في أقسام هذا الكتاب شيء من جهاده وكفاحه أثناء توحيد البلاد تحت راية التوحيد التي برزت فيها بطولته وشجاعته، وبعض من إنجازاته وأعماله الإصلاحية الناجحة التي تجلى فيها إخلاصه لشعبه ونصحه لهم.

ولا شك أن الزعامة لايوصل إليها إلا بالتضحية والفداء والكفاح المر، وكثير من زعماء العالم نال هذه المكانة العالمية بمغامرة نجحت، أوفرصة سنحت، أو صدفة لمحت، أومشاركة نادرة في إصلاح اجتماعي لم يسبق إليه يحرر البلاد من الثالوث الفتاك الجهل، والفقر، والمرض.

فالزعامة تكون بقيادة المعارك الناجحة، وتوجيه النشاط السكاني، والخروج بالبلاد من حروب طاحنة، وإنقاذها من الدخيل المستغل، فمن قاد البلاد حتى تخرج من أحد هذه الأزمات المستعصية، فقد استحق الزعامة دون جدال.

والملك عبدالعزيز زعيم بقيادة معارك التوحيد، وزعيم في البناء والتعمير، وزعيم بالإصلاح والتطوير، فقد استحق هذا الاسم من عدة جوانب توحيد الأقطار، وجمع الكلمة، وإعمار الديار، وتأسيس أركان الدولة، وإرساء قواعد العقيدة الإسلامية، وإصلاح المجتمع، وتعليم أفراده، والخروج بالبلاد الواسعة من الفقر، والجهل، والأمراض، إلى الغنى، والعلم، والصحة، وكانت حياته الحافلة بالتضحيات وقفاً على البلاد وشعبها.

وقد شهد العالم بأكمله بزعامته الفائقة ، ومقدرته المتميزة، في قيادة شعب الجزيرة العربية، وكتبت المجلدات في بطولاته وشخصيته الفذة، فقدكتب عنه

الإنجليز ،والفرنسيون والإسبان، والسويسريون، والإيطاليون، والأمريكيون، والروس بشكل لم يسبق له مثيل، ومفكرو الدول العربية، ومن أراد الوقوف على ذلك، فعليه زيارة المكتبات العالمية ليرى أنه أكثر زعيم عربي كتبت عنه هذه الكتب التي في بعض الأحيان تلحق بالأساطير[1] ، حتى غصت المكتبات بسيرة وكفاح هذا البطل الذي أتعب الأقلام، وشغل الأفهام بعبقريته النادرة، وشخصيته التاريخية الفذة، وبطولاته المتميزة، ولاشك أن هذا الإجماع لا يأتي من فراغ ونحن نقول بحق للجزيرة أن تفخر به، وللشعب العربي وللأمة الإسلامية أن ترفع به الرأس، فإنه قل أن تلد الحرائر مثله.

---

[1] ونذكر بعضاً من الأجانب الذين كتبوا عنه ، ومنهم : فلبي ، وبنو ميشان، ودورتي ، وهو حارس، جون حبيب ، وموريس تاميزية ، ومن العرب أمين الريحاني ، وبولس سلامة ، والزركلي ، وقلعجي ، وفؤاد حمزة ، وحافظ وهبه ، ومنير العجلاني ، وأحمد عسه ، ومحمد البتنوني وغيرهم ، ومن الشعب لا يحصى من قام بذلك.

إطلالة على أخلاقه وخلقه وتواضعه:

كان الملك عبدالعزيز يحفز العلماء على الجد في طلب العلم ، فقد كان يلقي عليهم مسائل في مجلسه، مما يدفعهم إلى المزيد من المطالعة وطلب العلم خشية أن يسألهم فلا يستطيعون الإجابة، فالذي يرغب حضور مجلس الملك عبدالعزيز يلزمه أن يكون ملماً بالكثيرمن المعلومات ومستعداً لأي سؤال قد يطرحه عليه ، وإلا مخير له ألا يحضر[1].

يروى أن شخصاً ادعى على الملك عبدالعزيز إن له مائة ريال ديناً علىوالده فقال له الملك عبدالعزيز وهل لديك شهود؟ فقال يشهد الله على ذلك، فاتفقا على الخصومة لدى القاضي سعد بن عتيق، وذهبا إليه في مكان القضاء[2] ، ولما طرق الملك عبدالعزيز الباب عرفه الشيخ فقال له هل أنت ضيف أم خصم، فقال بل خصم قال الشيخ إذن اجلس مع

---

(1) عبدا لله البراهيم ابن سليم ، كنت مع الملك عبدالعزيز ، ص٣٠٣.

(2) وكان القاضي يقضي بين الخصوم في بيته ، ص٤٢١ كنت مع الملك عبدالعزيز.

خصمك على الأرض، فامتثل للأمر، ثم حكم القاضي بعد سماع الدعوى بينهما وانصرف الخصم راضياً، فالتفت الشيخ على الملك عبدالعزيز وقال له "الآن أنت ضيفي" فأدخله في مجلسه وشربا القهوة معاً[1].

جاء مرة الإنجليزي السياسي (كوكس) في زيارة رسمية فأدخله الملك عبدالعزيز في مجلسه بالقصر الملكي، فتكلم الشيخ سعد بن عتيق في السوق، قال "أعوذ بالله أعداء الله يكرمون هذا الإكرام"، وكان من رأي الشيخ أن يوضع لهم مكان يقابلهم به خارج البلد، ولايدخلونها، فغضب عبدالعزيز وتأثر من كلام الشيخ ابن عتيق، فشكا الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالله بن عبداللطيف من مقالة الشيخ ابن عتيق، وهل هو محق بما قال؟ ، فقال الشيخ ابن عبداللطيف للملك "ابن عتيق أبرأ ذمته ونحن داهناك ياعبدالعزيز" فأرسل الملك عبدالعزيز الشيخ محمد بن فارس إلى الشيخ سعد بن عتيق يسترضيه، وجاء الاثنان إلى الملك عبدالعزيز

---

[1] كنت مع الملك عبدالعزيز ، ص٤٢٣ .

فدخلا عليه، فقال الشيخ ابن فارس للشيخ ابن عتيق "قبّل رأس الملك" فقال على أي شيء أقبل رأسه، فقال الملك عبدالعزيز، بل أنا الذي سوف أقبل رأسه، فقام الملك من مكانه وقبل رأس الشيخ سعد، وهكذا كان تقدير العلماء، ومعرفة فضلهم، ومكانتهم العلمية.

وكان يداعب ضيوفه وزواره بما يفيد، فكان يسألهم من ربك؟ ما دينك؟ ومن نبيك؟ وأول ما فرض الله على الإنسان، وعن أركان الإسلام، وشروط الصلاة، وفروض الوضوء، كما يصل أحياناً بالسؤال إلى معنى "لااله إلا الله" وحد التوحيد.

وكان الملك عبدالعزيز إذا اجتمع بالمعلمين وطلبة العلم والعلماء يحثهم على الاجتهاد والإخلاص، وتعليم الناشئة أمور الدين والترغيب فيها، والأمر بأداء الصلوات الخمس جماعة في المساجد، وكان يحفز العلماء على طلب العلم.

وكان يعرف المتفوقين والموهوبين والأذكياء من طلبة العلم ، وكان يلقي عليهم مسائل بسيطة وسهلة

كحافز لهم على التعلم، فكانوا يجتهدون في القراءة وكثرة الاطلاع خوفاً من أن يسألهم فلا يعرفوا الإجابة، فالملك عبدالعزيز يعد أستاذهم، ولذلك فإن الذي يرغب الحضور في مجلس الملك يلزمه أن يكون مستعداً للإجابة على أي سؤال قد يوجهه إليه، وإلا فخير له ألا يحضر تحاشياً للإحراج.

ومن المواقف الإنسانية المشرفة أنهم عارضوا امرأة في الطريق في الصحراء تسير وحدها دون محرم فتعجب الملك عبدالعزيز من تفريطها بنفسها وسيرها في الفضاء دون محرم فأرسل إليها من سألها عن شأنها فعلموا أنها ذاهبة إلى الأحساء لتشتري بعض حاجاتها فعنفها الملك، وكانت لم تعرفه فردت على تعنيفه أن العدل والسلام قدعم الأرض بفضل الله ثم بفضل حكم عبدالعزيز، وسهره على مصالح رعيته حتى إنه لا مبرر للخوف من السير في البادية وحدي لأن عبدالعزيز قد وضع في السماء برقية، وفي الأرض مرية فأعجبه ردها كثيراً.

ثم طلب الملك عبدالعزيز ورقة وقلماً، وكتب للمسؤولين في الرياض أن يعطوها ما تحتاج إليه من طعام وكساء وقهوة وهيلاً وزنجبيلاً وخلاف ذلك، فأعطوها الورقة وقالوا ارجعي للرياض وخذي ما تحتاجين بدون مقابل، قالت إن هذا الفعل لا يفعله أحد إلا الملك عبدالعزيز، وكأنها عرفته فأثنت عليه ودعت له، ثم ردت إبلها وعادت إلى الرياض، والملك عبدالعزيز ينظر إليها وهي تعيش فرحتها الغامرة[1].

يقول أحد الذين عملوا مع الملك عبدالعزيز إنه عندما أراد العمل معه، وكان هذا الطالب شاباً، قال له الملك عبدالعزيز "أوصيك بثلاث خصال: التزم بالصدق في كل أقوالك وأفعالك في سرك وعلانيتك، واحفظ عرضك ولا تمد يدك إلى ما لغيرك" فتمسكت بها فطابت لي معه الصحبة[2].

---

(1) كنت مع الملك عبدالعزيز، ص٣٥٣ - ٣٥٤.

(2) المرجع السابق، ص٣٥١.

وكان الملك عبدالعزيز صاحب فراسة في الرجال تكفيه مجرد النظرة إلى وجه الرجل ليقرأ دخيلته ويكشف سره وما تنطوي عليه شخصيته مثل الكتاب المفتوح، وقبل أن يكمل الرجل كلامه يستكشف الملك عبدالعزيز ما يريده فيبادره بالجواب السديد[1].

وكان ينصر المظلوم مهما كان، حدث مرة أن ضرب الطباخ في المقناص أحد الصبيان (الأجراء) فصاح المضروب، فقال الملك عبدالعزيز انظروا ماشأن هذا الصائح فوصله الخبر بأن الطباخ ضرب أحد عماله، فاستدعاه وسأله عن السبب، فلم يجد مايوجب الضرب، فأمر بالضارب فطرح علىالأرض وضرب حتى طاب خاطر المضروب، وأعطى المعتدى عليه بشت المعتدي الذي -ربما- كان سبب الخلاف بينهما[2].

---

(1) المرجع السابق ، ص٣٥٢.

(2) المرجع السابق ص١٧٤ .

وكان يكرم الحجاج، ويجمعهم في مأدبة عشاء ليلتي السابع والثامن من شهرذي الحجة قبل الخروج إلى منى، ثم يعود بعد الحج إلى مكة فيمكث فيها عدة أيام، ثم يتوجه إلى جدة فيمكث فيها مايزيد على الشهر حتى يخرج الحاج من مكة[1].

وكان يتلقى الأخبار من رشدي ملحس وعبدالله بن سلطان بعد سماعهم للإذاعات، وقد يكون في مجلسه فرصة للمرح، والدعابة والترفية، البريء بالنكت المقبولة والتعليق على بعض أعضاء "المدرسة" الذين وضعوا أنفسهم وبذلوها لمثل هذه التهميشات من زملائهم[2].

ومن النكت أن الملك راهن يوسف ياسين على وضع شيء في رأس جبل (أبو مخروق) على أن يحضره بالليل، فأرسل الملك شخصين ينتظران هناك دون أن يعلم بهما يوسف ياسين، فلما وصل إلى الجبل

(1) المرجع السابق ص٢٠٦ .

(2) أعضاء المدرسة هم ماجد بن خثيلة ومطلق الجبعا وسلطان المنديل.

خرجا عليه وقالا من أنت ياهذا، فتمالكه الفزع وهرب يردد أنا يوسف ياسين أحد رجال الملك عبدالعزيز ورجع دون إحضار ما وضعه فخسر يوسف ياسين الرهان[1]، هذه من أمور الترفيه البريء الذي يزيل الوحشة ويذيب الفوارق بين الجلساء ويرفع التكلفة.

وكان الملك عبدالعزيز لا يميل إلى طول السهر ولايجلس طويلاً بعد صلاة العشاء، ففي الأيام المعتادة ينام بعد غروب الشمس بمايقرب من ثلاث ساعات أي بعد صلاة العشاء بساعة واحدة ، ولم يكن تبكيره حباً للنوم، ولكن اتباعاً للسنة[2].

وكان من أسباب نجاح وفلاح الرجل الذي يريد الاستمرار فى خدمة الملك عبدالعزيز أن يكون صادق اللسان، طاهر القلب، نقي السريرة، نظيف السيرة، وأن يؤدي فرائض الله وأن يتجنب كل ما فيه غضبه وبهذه الخصال يضمن الطريق إلى قلبه ويحظى بثقته[3].

---

(1) كنت مع الملك عبدالعزيز ، ص٤١٠ .

(2) المرجع السابق ، ص ٣٥٧ .

(3) المرجع السابق ، ص٣٥٣ .

وكـان فـي مجلسـه يتقبـل أي نقـد يوجـه إليـه ولا يغضـب، بـل ينـاقش المتكلـم حتـى يصـل الجميـع إلــى الحق. حدث ذات يـوم فـي إحـدى الجلسـات العامـة أن تكلم أحد الحضـور فقـال أسـبلت ثوبـك يـا عبدالعزيـز! فناداه عبدالعزيز، ثم قـام الملـك واقفاً وسـأل الحضـور هل أنا مسبل كما قال هذا فرد الحضور ومنهم العلمـاء بالنفي، فسأل القائل هل تقرأ القرآن؟ قال نعـم فقـال لـه إقرأ، فما عرف شيئاً، فقال له اقـرأ الفاتحـة، فلـم يجـد قراءتهـا فقـال: عبدالعزيــز معتــذراً لــه -لمــا عــرف حقيقته- لعله التبس عليه الأمر فلـم يفـرق بيـن الطـول والعرض، فظن أن الإسبال يكون بـالعرض كمـا يكـون بـالطول، وكـان يرتـدي عبدالعزيـز وقتهـا ثوبـاً واســعاً فضفاضـاً، فكان حاذقاً في الـرد، حاذقـاً فىالحـوار، مـع اتساع مداركه فى الثقافة الدينية والعلمية.

وكان قد وزع الأعمال الحكوميةوالمهام الوظيفية علـى الشـعب والأقسـام، فـالأمور السياسـية لهـا شــعبة ومستشـارون، والأمـور الدينيــة لهـا علمـاء آخــرون،

والبرقيات لها شعبة خاصة، والأمور الحربية يستشير فيها رؤساء القبائل، يرسل إليهم ويجمعهم، ثم يأخذ رأيهم، وهذه سياسة ناجحة لأن رؤساء القبائل سوف يشتركون في تنفيذ العمليات بأنفسهم ، فإذا كان رأيهم ضمن الخطة الحربية يكون حرصهم على نجاحها أكثر. وكان حاذقاً في إقناع أبناء البادية من الإخوان المعارضين لوجود المخترعات الحديثة، فيأخذهم باللين والصبر، وإيراد الأدلة من الكتاب والسنة ، ومن الواقع حتى يصل بهم إلىالقناعة ويرضيهم بالاهتمام بآرائهم، وإن كان يعلم أن آراءهم لا تستقيم أمام الدليل، ولكن يسير معهم حتى يصل بهم في النهاية إلى ضدها. وكان لا يترك عادته في التهجد، حتىٰ في أسفاره كلها، وحتى في البحر وهو على ظهر السفينة، كان يتهجد في عودته من مصر، وكان الموج يأخذ بالسفينة ذات اليمين وذات الشمال وهو ساجد في تهجده لا يحس بما يدورحوله، "يصف ذلك شاهد عيان"[1].

---

[1] "كنت مع الملك عبدالعزيز ، ص٣٦٣ - ٣٦٤ .

وكان لا يحتجب عن الناس وقضاء حوائجهم حتى في مرضه الذي مات فيه، كان يخرج إليهم ويسمع دعواهم ومطالبهم ويقضي حوائجهم، وكانت حرارة جسمه مرتفعة جداً، وظل على هذه الحال حتى اللحظات الأخيرة[1]. وكان عوناً للضعيف ولا يرد له طلباً ويخصه بالعناية والاهتمام والعطف واللطف، ويكرمه في مجلسه، وكان حريصاً على جبر الخواطر المكسورة، وكان بابه مفتوحاً للجميع، وليس لديه حجاب يمنعون الناس من الدخول عليه، وهذه حقيقة يعرفها كل الناس[2]. وكان لا يستعين إلا بمن يثق بسداد رأيه وغزارة علمه ورجاحة عقله ونصحه له ولرعيته، وكان لا يتخذ رأياً ذا بال حتى يستشير العلماء والخبراء وأهل الرأي والنظر ، ثم لا يخرج عما اتفقوا عليه[3].

---

(1) المرجع السابق ٣٦٣ – ٣٦٤ .

(2) المرجع السابق ، ص٣٦٠ .

(3) المرجع السابق ، ص٣٦٢ .

وكان يعتمد على العلماء في تدبير السياسة وإدارة شئون الملك، وكان يغار على الدين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وينفر نفوراً شديداً ممن يتعاطى المحرمات، ويرتكب المخالفات، وإذا رأى شخصاً قد أسبل ثوبه أمر بقصه أمام الناس ، ومن يتأخر عن أداء الصلاة يقيم عليه حد الضرب أو السجن يوماً أو يومين حسب الحالة.

وكان دائماً يردد هذا الدعاء "**ربنا أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه**".

وكان يحب المشورة في أسفاره وغزواته فيبدأ بالعلماء وكبار رفاقه ، وكان القارئ يقرأ والركائب تمشي، وكان يوضع في الليل سراج في رأس الراية مثل النجمة يرى من بعيد تسير عليه، الحملة والسرايا يتقدمها الملك عبد العزيز، وكان يغزو صيفاً وشتاء، ويمشي الغزو بالليل والنهار، وكل عشرة لهم بعير يحمل متاعهم، وهم يمشون على الأرجل.

وكان الملك عبدالعزيز يتقدم الصفوف والبيارق، ولا يمشي إلا وسيفه في يده، وكان يأمر رجاله بأن لا يتعرضوا لكبار السن ولا النساء، ولا صغار السن، وكان يقول لهم " لا تدفنوا آبار المسلمين، ولا تحرقوا النخيل أو المزارع أو البيوت، ومن استجاركم فأجيروه"، وكان يواكلهم ويشاربههم ، ويجلس معهم على الأرض بدون فراش.

وكان من حزمه أنه لا يحتقر من الأمور شيئاً، فكان يقول استعد للحصني –الثعلب– كما تستعد للأسد، وكانت حياة الملك غاية في التقشف لايختلف كثيراً عن الآخرين[1].

وكان الملك عبدالعزيز يوصي رجاله في الغزو بالضعيف والأرملة والكبير والصغير الذي لم يبلغ الحلم، أما الظالم الذي ينطح بالسلاح فلا أرى فيه إلا حكم الله.

---

(1) المرجع السابق ، ص٣٩٦ .

وكان يوصي عمال الزكاة بقوله ياعيالي لاأريد منكم أن تتركوا شيئاً من حق الله ، ولا تظلموا أحداً إياكم والظلم أعطونا حق الله وحقوق الناس اتركوها لهم[1].

وكان يجلس في الظهر والعصرعند باب القصر، حيث تلتف حوله الحاشية والخدم والمكان مفتوح لدخول الجميع دون تمييز، وكان حريصاً على الالتزام بشريعة الإسلام، فلا يسمح لأحد في مجلسه أن يلقي شعراً ماجناً أو مخالفاً للعادات والتقاليد أو يخرج عن حدود الآداب الشرعية أو يخل بالشرف والمروءة.

وكان حاذقاً في كشف الأسرار وإدارة الحوار. وكان لا يأخذ بالظاهر ولا يعاقب حتى يتحقق في الأمر وتثبت المخالفة بالإقرار أو بالشهود العدول حتى ولو كان الأمر يسيراً[2].

هذه المواقف النبيلة التي نقل إلينا بعضها مرافقو الملك عبدالعزيز الثقات تدل على أنه قائد متمكن،

---

[1] المرجع السابق ، ص١٧٩ .

[2] المرجع السابق ، ص٣٥٧ ، ٣٥٩ .

ومعلم ناجح، ومرب حكيم، وسياسي محنك، عالم بأساليب الحكم وأصوله، يضع الأمور في نصابها، ويسير بالوضع بأسلوب متدرج بعيداً عن المجابهة والعنف، ومع أنه فوق تصورات زمانه، فإنه جم التواضع، عالي الخلق، يعطي كل ذي حق حقه، وما دوّن التاريخ شيئاً من أشياء تعبق بها السيرة العطرة، وقد ملك القلوب بالمحبة والبذل والإخلاص، وملك الأرض بالسيف والجهاد المتواصل، وبنى الدولة بالحلم والصبر والأناة، وتعامل مع دول الجوار بالسياسة والحكمة والدهاء، علَّم أمة طولاً وعرضاً، وربى شعباً بأكمله، وأصلح جزيرة بمساحة قارة، وصانها وحفظ حدودها، حتى فرض احترامه وتقديره على الكل، فاستحق الوفاء والمحبة والدعاء.

أبناء الملك عبدالعزيز حسب ترتيب أعمارهم:

- الأمير تركي بن عبدالعزيز: بكر أولاد عبدالعزيز، وبه كان يكنى "أبوتركي"[1].

- **الملك سعود بن عبدالعزيز:** شقيق تركي ومنيرة، ولد في الكويت سنة ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) وتولى إدارة نجد سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) مدة غياب أبيه في الحجاز، وزار مصر مستشفياً من ألم في عينيه، سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) وشهد كثيراً من المعارك مع أبيه، وكان في جبال اليمن أيام الحرب السعودية - اليمنية ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) وظفر في وقعة "حرض" وتوغل حتى اقترب من غمدان، وتولى الملك بعد وفاة أبيه في ٥ ربيع الأول ١٣٧٣هـ (١٢/١١/١٩٥٣م)، وانتهى حكمه لأسباب خلافية أدت إلى إنهاء حكمه في جمادى الثانية ١٣٨٤هـ (١/١١/١٩٦٤م)، فرحل إلى أثينا حيث أقام ، وتوفي في أثينا سنة ١٣٨٨هـ (١٩٦٩م)،

---

[1] أمه وضحاء بنت محمد بن برغش بن عقاب بن عريعر ، من بني خالد ، وهو شقيق الملك سعود رحمه الله، ومنيرة. توفي مع ولدين آخرين من إخوانه بالوافدة الاسبانيولية ، شتاء سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) ويسميها أهل نجد "سنة الرحمة".

وحمل جثمانه بالطائرة إلى مكة حيث صلى عليه أخوه الملك فيصل مع جمع من الأمراء والمسلمين صلاة الجنازة ، ثم نقل إلى مدفنه بمقبرة العود في الرياض.

- **الملك فيصل بن عبدالعزيز:** يوصف بأنه دماغ جزيرة العرب المفكر، ولد في الرياض ١٤ صفر ١٣٢٤هـ (٩ أبريل ١٩٠٦م)، ووالدته طرفة بنت الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، من آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عرف من أول نشأته بالرؤية وبُعد النظر، فوجّهه والده توجيهاً سياسياً، فأوفده في أواخر ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) إلى إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وغيرها، حيث أمضى قرابة ستة أشهر، وقاد سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢٦م) جيشاً لإخضاع بلاد عسير، وأقامه والده في جمادى الثانية ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) رئيساً للحكومة بمكة، ثم نائباً عاماً عنه، في الحجاز، وأضيفت إليه رئاسة مجلس الشورى١٣٤٥هـ(١٩٢٧م)، ثم وزارة الخارجية ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م).وقاد الجيش السعودي في تهامة أثناء حرب اليمن ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) فاحتل "ميدي"

و"الحديدة" وسواهما ، وأقر النظام في الجنوب ، ولما عقدت معاهدة الطائف، عاد إلى مكة بعد غيبة لم تتجاوز أحد عشر أسبوعاً.

وبويع بولاية العهد، إثر وفاة أبيه الملك عبدالعزيز، وولاية أخيه سعود، سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م) فرأس وفد بلاده في مؤتمر "باندونغ" ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) ، وفي مؤتمر "بلغراد" لرؤساء الدول غير المنحازة ١٣٨١هـ (١٩٦١م) ، وترأس مؤتمر القمة العربي الثاني، في الإسكندرية ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) وهو خطيب مرتجل كثيراً ما يتمثل بفصيح الشعر في خطبه.

تولى عرش المملكة العربية السعودية في ٢٦ جمادى الثانية ١٣٨٤هـ (نوفمبر ١٩٦٤م) واغتالته اليد الأثيمة وهو في الديوان الملكي بالمربع بالرياض عام ١٣٩٥هـ.

- محمد بن عبدالعزيز: ولد في الرياض ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) دخل المدينة المنورة عند انتهاء الحرب

الحجازية، فمنحه والده لقب "أمير المدينة المنورة" وتولاها وكيلاً عنه، وشارك في وقعة "السبلة" ومطاردة فلول الدويش ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م). أمه الجوهرة بنت الأمير مساعد بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن سعود وهو شقيق الملك خالد والأميرة العنود.

- **الملك خالد بن عبدالعزيز:** ولد في الرياض ١٣٣١هـ (١٩١٣م) وصحب أخاه فيصلاً في بعض رحلاته الرسمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وانقطع مدة لأعماله الزراعية التي يحبها كثيراً، ثم تولى نيابة رئاسة الوزراء، وبعد تولي الملك فيصل عرش المملكة صدر مرسوم ملكي يجعله "ولياً للعهد" وهو الأخ الشقيق للأمير محمد، آثره محمد على نفسه بولاية العهد، ولما اغتيل الفقيد الكبير "فيصل" تغمده الله برحمته ورضوانه نودي بالأمير خالد ملكاً للعربية السعودية فحمل أعباءها، يؤازره عضده الأيمن ولي عهده أخوه صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز (خادم الحرمين الشريفين):

- ناصر بن عبدالعزيز: أول من تولى إمارة الرياض، بعد دخول الحجاز، مولده ١٣٣٧هـ (١٩١٩م)، وقد توفي إلى رحمة الله.

- سعد بن عبدالعزيز: ولد سنة (١٣٣٧هـ (١٩١٩م) ، وتوفي إلى رحمة الله.

- **الملك فهد بن عبدالعزيز:** (خادم الحرمين الشريفين) ولد سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) وتولى وزارة المعارف في أواخر أيام أبيه ، واستمر بعد وفاة والده، ورأس عدة وفود سعودية لحضور اجتماعات مجلس الجامعة العربية في المغرب ولبنان، ثم ولي وزارة الداخلية وضمت إليه نيابة رئيس مجلس الوزراء ، أمه حصة بنت أحمد السديري، وقد تولى الملك بعد وفاة أخيه الملك خالد، وما زال يقود المسيرة.

- الأمير منصور بن عبدالعزيز: ولد في الرياض ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م)، توفي في باريس ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م[1].

- الأمير عبدالله بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) وهو الآن ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني ونائب خادم الحرمين الشريفين.

- الأمير بندر بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م).

- الأمير سلطان بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) وتولى في عهد أبيه رئاسة الحرس الملكي في الرياض، ثم اختير وزيراً للزراعة، وقام برحلة إلى أوربا سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)، وتولى وزارة الدفاع والطيران والمفتش العام في عهد الملك فيصل، ولايزال إلى الآن، كما يشغل منصب النائب الثاني

---

[1] وتولى إدارة القصر الملكي فيها، ثم كان أول وزير للدفاع، توفي مستشفياً في باريس ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) ودفن بمكة.

لمجلس الوزراء ، وعدداً من المناصب الهامة في الدولة.

- الأمير مشعل بن عبدالعزيز: المولود سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)[1].

- الأمير مساعد بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م) له ميل إلى الأدب وقرض الشعر.

- الأمير عبدالمحسن بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) ، وتولى إمارة المدينة المنورة، وقد توفي إلى رحمة الله.

- الأمير مشاري بن عبدالعزيز: ولد سنة١٣٤٩هـ (١٩٣٠م).

- الأمير متعب بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م)، وناب عن أخيه الأمير مشعل في إدارة وزارة الدفاع سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) وهو الآن وزيراً للأشغال العامة وللإسكان.

---

(١) ناب عن أخيه الأمير منصور في وزارة الدفاع ، ثم وليها بعد وفاة منصور ١٣٧٠هـ (١٩٥١م)، وقام برحلة إلى فرنسا وأمريكا ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) ، وتولى الإمارة لمنطقة مكة المكرمة وتركها ، منقطعاً إلى أعماله الخاصة.

- الأمير طلال بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١م)، وعين سفيراً في باريس، فوزيراً للمالية فترة من الوقت في عهد الملك سعود، مثقف ثقافة واسعة ويميل إلى الأدب والأعمال الإنسانية.
- الأمير عبدالرحمن بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٠هـ (١٩٣١) ، وهو الآن نائب وزير الدفاع والطيران.
- الأمير بدر بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) وهو الآن نائب رئيس الحرس الوطني بالرياض.
- الأمير تركي بن عبدالعزيز: المولود سنة ١٣٥١هـ (١٩٣٢م)[١].
- الأمير نواف بن عبدالعزيز: المولود سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م)[٢].

---

[١] (١٦-١-١٣٩٤هـ) وقد كان يشغل نائب وزير الدفاع والطيران، ثم تفرغ لأعماله الخاصة.

[٢] أقام مدة في الولايات المتحدة للدراسة ، وتولى رئاسة الديوان الملكي فترة قصيرة في عهد أخيه سعود ، وأعيد إليها في عهد الملك فيصل ، وكان يشغل وظيفة المستشار الخاص.

- الأمير نايف بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٣م) ، وتولى إمارة الرياض حقبة من الزمن، وهو الآن وزير الداخلية ابتداء من ٨ شوال ١٣٩٥هـ/ ١٤أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٥م، ورئيس المجلس الأعلى للإعلام.

- الأمير فواز بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٢هـ (١٩٣٤م) ، وتولى إمارة الرياض في عهد الملك سعود ثم أميراً لمنطقة مكة المكرمة(١).

- الأمير سلمان بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، وهو الآن أمير منطقة الرياض، كما يشغل عدداً من المناصب الكبرى ومنها رئيس اللجنة العليا لتطوير مدينة الرياض، ويتعلق به كثير من المهام الضخمة في تدبير شئون الدولة.

---

(١) قد نشرت له جريدة "عكاظ" (٢٣-٦-١٣٩١هـ) حديثاً عن والده الملك عبدالعزيز جاء فيه: "كان -رحمه الله- شديداً وقت الشدة ، ولكنه يحرص دائماً على أن يدخل علينا ما يسرنا ، وكان مربياً كبيراً، ضربني مرة لأني تعديت على أحد الجنود وقال لي: هذا الجندي يسواك (أي مساوٍ لك)، وكذلك أي مواطن في الشارع ، لا تعتقدوا أنكم -وحدكم- أولادي، أنتم وأولاد الشارع متساوون عندي ، ولا يمكن أن تكونوا مغرورين أو أي شيء من هذا النوع لأنكم أبنائي ، هؤلاء أبنائي مثل ما أنا أبوكم".

- الأمير ماجد بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، عمل فترة وزيراً للشؤون البلدية والقروية، ثم أميراً لمنطقة مكة المكرمة.
- الأمير عبدالإله بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨)،كان أميراً لمنطقة القصيم، ثم أميراً لمنطقة الجوف.
- الأمير أحمد بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م)، شغل منصب وكيل إمارة منقطة مكة المكرمة والآن نائب وزير الداخلية.
- الأمير سطّام بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م)، وهو الآن وكيل أمير منطقة الرياض.
- الأمير ثامر بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٥٩هـ (١٩٤٠م)، وتوفي بحادث في أمريكا سنة ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م).
- الأمير ممدوح بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) ، رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية.

- الأمير مشهور بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٦٠هـ (١٩٤١م).
- الأمير هذلول بن عبدالعزيز: ولد سنة١٣٦٠هـ (١٩٤١م).
- الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) أمير منطقة المدينة المنورة.
- الأمير مقرن بن عبدالعزيز: ولد سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) أمير منطقة حائل.
- الأمير حمود بن عبدالعزيز[١].

هؤلاء هم أبناء الملك عبدالعزيز وله سبع وعشرون بنتاً وردت اسماؤهن في كتاب "الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية"، أما الأحفاد وأبناؤهم فإنهم عدد كثير ذكرت اسماؤهم بالتفصيل في الكتاب السابق ذكره آنفاً، وهذه من بركات الملك عبدالعزيز، وصلاح الآباء يدرك البنين، ويلحق الصلاح أو ضده بالذرية إلى الحفيد السابع كما يقولون - والعكس بالعكس-[٢].

---

(١) شبه الجزيرة العربية للزركلي، ص ١٤٢٠/٢ وما بعدها .

(٢) الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية، الأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ص٣٤٦-٣٥١

إخوة الملك عبدالعزيز:

١ - **فيصل بن عبدالرحمن:** أكبر إخوة عبدالعزيز: توفي عام ١٣٠٨هـ أيام حصار ابن رشيد للرياض بعد المليداء من مرض ألم به لم يمهله سوى سبعة أيام[1].

٢ - **محمد بن عبدالرحمن:** من أبطال آل سعود ولد في الرياض، بعد ولادة أخيه عبدالعزيز بنحو ستة أشهر، وترعرع معه، ورافقه في تنقلاته أيام النكبة، وخاض معه غمار المعارك إلى أن استقرت الأمور، فاختار العزلة، توفي بالرياض في ٢٣ رجب ١٣٦٢هـ (٢٦يوليو ١٩٤٣م).

٣ - **سعود بن عبدالرحمن:** شارك أخاه في كثير من الوقائع وتوفي سنة ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

٤ - **عبدالله بن عبدالرحمن:** عالم آل سعود، وأديبهم كان كبير مستشاري أخيه عبدالعزيز، وقد توفي إلى رحمة الله.

---

(١) تحفة المشتاق، عبدالله بن محمد البسام، مخطوط أحداث عام ١٣٠٨هـ، ص١٦٣-١٦٤ .

٥ - **سعد بن عبدالرحمن:** قتل في معركة "كنزان" مع العجمان سنة ١٣٣٣هـ(١٩١٥م)شقيق الملك عبدالعزيز أمه سارة السديري.

٦ - **سعد (الثاني) بن عبدالرحمن** : سمي على اسم أخيه سعد (الأول) ، وتوفي سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).

٧ - **أحمد بن عبدالرحمن:** كان يقيم في الرياض.

٨ - **مساعد بن عبدالرحمن:** أديب عالم بالشؤون المالية ، ولد سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) وتولى "ديوان المظالم" في أواخر عهد أخيه الملك عبدالعزيز، وهو أول من أنشأ مكتبة عامة في مدينة الرياض سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٣م)، ومن أوائل الداعين إلى الإصلاح الاجتماعي كتعليم البنات وتنظيم التعليم وتعميمه وإنشاء أندية ثقافية ورياضية، وبعد وفاة أخيه، تولى وزارة "الداخلية" ثم "وزارة المالية والاقتصاد الوطني"، ثم طلب الإعفاء منها، وتوفي إلى رحمة الله.

٩ - **عبدالمحسن بن عبدالرحمن.**

١٠ - خالد بن عبدالرحمن[1].

١١ - فهد بن عبدالرحمن[1].

وللإمام عبدالرحمن اثنتا عشر بنتاً ، بالإضافة إلى الأبناء البالغ عددهم اثنا عشر ابناً.

---

(١)

(١) ذكرهما في الأوائل من أبناء الإمام عبدالرحمن ، الأستاذ عبدالرحمن السليمان الرويشد في كتابه الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية ، يراجع شبه الجزيرة العربية للزركلي ١٤٠١/٢.

الخـــاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فإن كل إنسان ينشد الكمال -والكمال للـه وحده- ، وكل يريد الإجادة ، وشروط الإجادة قد لا تتوفر لـدى كل من يريد أن يعمل، وخير الأمور أوسطها ، ومن عمل فقد أثبت وجوده، وعلـى قـدر عملـه تكـون منزلتـه، ومكانتـه، والاشتغال بتـاريخ الوطـن إثباتـاً للوطنيـة، وخدمـة للحـاكم والمحكوم، وحب الوطن غريزة لدى كل مخلوق له حاسة، والدفاع عنه واجب وطنـي، والبـذل مـن أجلـه علامـة مـن علامـات المواطنـة، والتـاريخ يسـجل كـل حركـة، وكـل موقـف، وحـادثـة، والرجـال هـم صـانعو التـاريخ، والملـك عبدالعزيز من أشهر أولئك الذين صنعوا التاريخ، فقد شغل الأقلام، والأفكار والمطابع، أكثر من نصف قرن، والأقلام تـنزف المـداد والأيـام تطـوي الصحـائف، والأفكـار تتـابع خطوات القائد الذي أقـام الدنيـا وأقعدهـا، مئـات المجلـدات كتبت عن مفاخره منذ اقتحم أبواب التاريخ، وأثـار اهتمـام العالم. وعندمـا فكـرتُ فـي الكتابـة عـن الملـك عبدالعزيـز

الذي ما سمع به مفكر إلاِ ألمت به فكرة الكتابة عنه، فقلت أكتب عن أعماله، وإنجازاته، فهذا جانب ثر يستحق أكثر من بحث، ثم قلت أكتب عن المقومات الأساسية لبناء شخصيته التاريخية، وهذا جانب مهم، ولكن المناسبة تركز على التوحيد، والتوحيد ماتم بالكلام المعسول، ولا بالتهديد من بعيد، ولا بالحروب المنجمة، ولكن بالمناجزة، والجهاد المتواصل المنظم، وحتى نصل إلى نهاية المشوار، لابد أن نتابع قائد المسيرة منذ بداية ملحمته التاريخية، وحتى نصل إلى خط النهاية، حينما أغمد السيف، وعلق البندقية، ووضع الحزام على الرف، ودخلت تلك الأدوات دنيا الآثار، وصارت خبراً من الأخبار، وفي نهاية المطاف تمت الكتابة عن كل هذه الجوانب، وشحاً بالوقت والجهد توخيت الاختصار من غير إخلال بالمعنى.

والله من وراء القصد ؛؛؛

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم..

المؤلف

الدكتور/ عثمان بن صالح الصوينع

المصادر والمراجع

اسم المؤلف **اسم الكتاب**

١- إبراهيم ، د. بكر محمد

الإذاعة السعودية دار الشبل

٢- إبراهيم، سيد محمد تاريخ المملكة العربية السعودية

٣- إبراهيم، د.عبدالعزيزعبدالغني

صراع الأمراء ، دار الساقي

٤- البسام، عبدالله ، تحفة المشتاق من أخبار نجد

والحجاز والعراق مخطوط.

٥- آل سعود، الأمير طلال بن عبدالعزيز

صور من حياة الملك عبدالعزيز

٦- البتنوني، محمدلبيب، الرحلةالحجازية مكتبة المفارق

العامة ، دار الكاتب العربي

٧- بنو ميشان، سيرة بطل ومولد مملكة نقله

الى العربية عبدالفتاح ياسين

٨-التركي، د.عبدالله بن عبدالمحسن، الملك عبدالعزيز

الزهراء للإعلام العربي

٩- تاميزية ، موريس تاميزية رحلة في بلاد العرب
الدكتورمحمد عبدالله آل زلفة
مطابع الشريف

١٠-التويجري، عبدالعزيز بن عبدالمحس، لسراة الليل
هتف الصباح، الطبعة الأولى

١١- حبيب ، جون ، الإخوان السعوديون في عقدين
عربه د. خبري محمد حسن
دار المريخ

١٢- الحاج، محمد سعيد، مؤسسة النقد العربي السعودي

١٣- الحارثي د. ساعد العرابي، الملك عبدالعزيز
رؤية عالمية، مطابع الفرزدق

١٤- حمزة ، فؤاد في قلب جزيرة العرب
مكتبة النصر بالرياض

١٥- حمزة ، فؤاد البلاد العربية السعودية
مكتبة النصر بالرياض

١٦- الحنبلي، راشد بن علي، مثيرالوجه في انساب
ملوك نجد - دارة الملك عبدالعزيز

١٧- خميس، عبدالله بن محمد، معجم جبال الجزيرة العربية - مطابع الفرزدق
١٨- الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله ، يوم وملك مطبعة سفير
١٩- درويش، الدكتورة مديحة، تاريخ الدولة السعودية دار الشروق
٢٠- الدوسري ، شعيب بن عبدالحميد ، امتاع السامر بتكملة متعة الناظر، دارة الملك عبدالعزيز
٢١- الرشيد ، ضاري بن فهيد ، نبذة تاريخية عن نجد دار اليمامة
٢٢- الرفاعي د. عبدالعزيز ، بناء المملكة العربية السعودية في التاريخ، الحديث والمعاصر- المكتبة العالمية
٢٣- الرويشد ، عبدالرحمن السليمان ، قصر المربع
٢٤- الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ج٢ دار الريحاني للطباعة والنشر
٢٥- الريحاني ، أمين ، تاريخ نجدالحديث

دار الجيل بيروت
٢٦- الزركلي ، خـيرالدين ، شـبه الجزيـرة فـي عهـد الملك عبدالعزيز ج٤
٢٧- الزركلـي، خـيرالدين، الوجيز فـي سـيرة الملـك عبدالعزيز - دار العلم للملايين
٢٨- الزعارير، محمد عبدالله ، إمارة آل رشيد في حائل - بيسان للنشر والتوزيع
٢٩- السعدون، خالد محمود السعدون ، العلاقـات بيـن نجد والكويت دارة الملك عبدالعزيز
٣٠- السلمان د. محمد ، الأحوال السياسية في القصيم المطابع الوطنية للاوفست
٣١- الصوينع ، د.عثمان ، المنهاج إلى أصول الدين مطابع الفرزدق
٣٢- الصوينع ، د. عثمان، حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر، ج٢ -مطابع الفرزدق
٣٣- عبده ، د. إبراهيم ، إنسان الجزيرة المطبعة النموذجية

٣٤- العبيد ، الشيخ إبراهيم ، تذكرة أولي النهى والعرفان ٥ أجزاء ، مطابع النور-الرياض
٣٥- العتيبي ، د.إبراهيم عويض ، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز
٣٦- العثيمين ، د. عبدالله الصالح ، تاريخ المملكة العربية السعودية ٢ج
٣٧- العثيمين، عبدالله الصالح ، معارك الملك عبدالعزيز المشهورة العبيكان
٣٨- العثيمين ، د. عبدالله الصالح ، محاضرات وتعليقات - مكتبة التوبة
٣٩- عزام ، محفوظ نظرات في الثقافة الإسلامية
٤٠- عسه ، أحمد عسه ، معجزة فوق الرمال المطابع الأهلية اللبنانية
٤١- عطار ، أحمد عبدالغفور ، صقر الجزيرة
٤٢- علي ، أحمد علي آل سعود ، دار الشبل
٤٣- العيدروس ، د. محمد ، تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر عين للدراسة والبحوث الإنسانية

٤٤- فلبي، عبدالله، تاريخ نجد تعريب عمر الديراوي
المكتبة الأهلية ، بيروت
٤٥- القابسي ، محي الدين ، المصحف والسيف
دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع
٤٦- قلعجي ، قدري موعد مع الشجاعة
دار الكاتب العربي
٤٧- الكليب، فهدبن عبدالعزيز ، الرياض ماض تليد
وحاضر مجيد ، دار الشبل
٤٨- المارك، فهد ، من شيم الملك عبدالعزيز ٣ أجزاء
٤٩- المارك، فهد ، محمد العوني ٢ج مخطوط
٥٠- المانع، محمد عبدالله الغيلاني ، توحيد المملكة
العربية السعودية ، مطابع المطوع - الدمام
٥١-المهرجان الوطني للتراث، كنت مع الملك عبدالعزيز
٥٢-المهرجان الوطني، رجال وذكريات مع عبدالعزيز
٥٣- وهبة، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين
٥٤- هذلول ، الأمير سعود تاريخ ملوك آل سعود
٥٥- هورات ، داوود ملك الصحراء

المحتويــــات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
القسم الأول	١٣
جهاد الملك عبدالعزيز ، وجهوده التوحيدية في مسيرته التاريخية الخالدة والمعارك التي خاضها أثناء ذلك التوحيد.	
- أيام ما قبل الرحيل	١٥
(معركة المليداء التي انتصر فيها ابن رشيد على أهل القصيم فكانت بداية النهاية لحكم آل سعود في الدور الثاني).	
- معركة الصريف	٢٩
(التي انتصر فيها ابن رشيد على حاكم الكويت ابن صباح وكانت المبشرة بفتح الرياض واستعادت الحقوق التاريخية المسلوبة من آل سعود).	
- يوم الفتح المعجزة التاريخية أو أسطورة العصر	٤١
- الدولة العثمانية	٦٩
- فتح الأحساء وضم المنطقة الشرقية إلى السلطة الشرعية في نجد.	٧٧
- الملك عبدالعزيز يدعو إلى الوحدة العربية	٨٥

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣